سردم العربي

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي- العربي
تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر
السنة الرابعة- العدد السادس عشر- ربيع ٢٠٠٧

موقع المجلة على الإنترنيت
www.sardamco.com

المراسلات
عن طريق مدير التحرير
nawzadaa@yahoo.com
آسيا سيل: ٠٧٧٠١٤٢٠٩٠٩
سانا تيل: ٠٧٣٠١١٨٠١٤٢

الغلاف
قادر ميرخان

التصميم
جمال حسين

رئيس مجلس الادارة
والمدير المسؤول
شێركۆ بێكەس

مدير التحرير
نوزاد احمد اسود

المستشار الثقافي
محيي الدين زەنگەنه

هيئة التحرير
د. شاهۆ سعيد
دانا احمد

المشرف على الطبع
فرهاد رفيق

محتويات العدد

دراسات وبحوث

دراسات تأريخية

دراسات ادبية ونقدية

شعر

قصة

مسرح

حوار

وثائق

محتويات العدد

شخصيات كردية

محطات ثقافية

واقع الشعب الكردي في سورية راهنا

د. عبدالباسط سيدا
جامعة اوبسالا- السويد

لاتوجد احصائيات معلنة تحدد بدقة عدد السكان الكرد في كردستان سورية، كما ان الدستور السوري لايعترف رسميا سوى بوجود العرب في سورية. فكل مواطن يحمل الجنسية السورية هو مواطن عربي اولا، سوري الجنسية ثانيا، وذلك بموجب القوانين النافذة، ربما كان القصد من هذا هو ايجاد صيغة من الربط بين جملة العناصر التي يتشكل منها مايسمى عادة الموزاييك السوري[1].

الاجهزة الامنية تعرف بدقة عدد ابناء الشعب الكردي في سورية، وذلك كونها تجري بين الحين والآخر دراسات –كما يسمونها- في هذا الميدان، تتقصى بموجبها الاصل القومي لكل مواطن. بل انها تتحرى الى جانب ذلك اسم العشيرة التي ينتمي اليها الفرد، او كان ينتمي اليها، بالاضافة الى موطنه الاصلي، وما الى ذلك من معلومات تفصيلية دقيقة، يجري جمعها بناء على توجهات امنية لايفصح عنها، ولاتعلن نتائجها امام الرأي العام.

الى جانب هذه الصعوبة التي بيننا وبين الوصول الى العدد الدقيق للكرد في سورية، هناك صعوبة اخرى تتمثل في وجود اعداد كبيرة من المكتومين الذين لاتعترف السجلات الرسمية بوجودهم اصلا. تلك السجلات سواء الخاصة منها بالمواطنين، او تلك التي تتضمن اسماء المواطنين الكرد «الاجانب» الذين جردوا من الجنسية السورية بموجب الاحصاء الاستثنائي الذي اجري حصرا في محافظة الحسكة عام ١٩٦٢[٢]. وعدد هؤلاء المكتومين هو في تزايد مستمر نتيجة عدم موافقة وزارة الداخلية السورية على تسجيل حالات الزواج التي تعقد بين الكرد ممن يحملون الجنسية السورية، وبين اولئك الذين قد جردّوا منها. واذا اخذنا بعين الاعتبار ان عدد المواطنين الذين جردوا من الجنسية السورية كان اكثر من ١٥٠ الفا في عام ١٩٦٢، اي قبل اربعين عاما، نصل الى نتيجة فحواها ان هذا العدد قد تضاعف مرات ومرات سواء بالنسبة الى الاجانب او المكتومين على وجه التحديد. وربما وصلنا هنا الى نتيجة ما اذا ما قارنا بين عدد سكان سورية الذي كان يبلغ في ذلك الحين- عام ١٩٦٢- نحو اربعة ملايين نسمة، وبين هذا العدد في يومنا الراهن الذي يزيد فيه عن ستة عشر مليونا. فاذا كان عدد السكان في سورية قد تضاعف ثلاث مرات منذ ذلك الحين، فالاحرى بعدد الكرد ايضا ان يتضاعف،

خاصــة اذا اخذنا في الاعتبار واقع ان متوســط عدد افراد الاســرة الكردية في المناطق الكردية هو اكبر من متوسط عدد ابناء الاسرة العربية.

في مقابــل هــذه العراقيل، لايجد المرء امامه ســبيلا ســوى التخمين الذي يمكنه ان يقترب من الصواب، اذا وضعنــا في اعتبارنا جملة من المؤشــرات، في مقدمتها نســبة الاصــوات في الانتخابــات المحليــة –الجداول الخاصــة بالبطاقات التموينية- جداول عدد الســكان في القرى الكردية- الاحصائيات الرســمية التي تحدد عدد السكان في المناطق الكردية بصورة عامة- واخيرا وليــس آخرا، تقدير نســبة الكــرد الى بقية الاقليات القديمــة المتواجدة هناك. لكــن الوصول الى كل هذه المعطيات ليس بالأمر السهل، خاصة اذا ادرك المسؤولون عنها انها بقصد تحديد عدد الســكان الكرد، الموضوع الذي يظل امرا يدخل في دائرة المحظورات، وســرا من اســرار الدولة لاينبغي ان يعلن مطلقــا. اما اذا كانت التوجهات مغايرة، فكان بالامكان اجراء احصاء رسمي دقيق يســتند الى معطيات علمية، بعيدة عن الضغط والاكراه، يبين بدقة عدد الكرد، ويقطع الطريق امام الاجتهــادات والمغالطات، فضلا عن الارقام العشــوائية التي تكشف عن توجهات اصحابها المتناغمة مع نزعة التعصب القومي لديهم.

هنــاك تقديرات خاصة بالحركة الكردية في ســورية قريبــة مــن الدقة الى حــد ما، لانهــا حصيلة تبادل المعلومــات بين افراد ينتمون الى مختلف المدن والقرى الكردية، تذهب هذه التقديرات قوام كردستان سورية نحو مليــون في الجزيرة، وحوالي ٢٠٠ الف، في منطقة كوباني، وفي حدود ٣٠٠ الــف في عفرين وتوابعها. اما الباقي فيتوزع بين دمشق في حدود ٣٠٠ الف ومايزيد علــى ١٠٠ الــف في بقية المــدن الســورية، خاصة دير الزور،والرقــة، وحماة وريف ادلــب، وريف اللاذقية، وريف حمص، وريف دمشــق، وحوران، بل نســتطيع القول بانه لاتوجد محافظة سورية واحدة خالية من التواجــد الكردي بهذه الصــورة او تلك. واغلب هؤلاء هاجروا من المناطق الكرديــة نتيجة ظروف خاصة، منها اقتصادية، ومنها امنية واجتماعية.

اللغة الام بالنسبة الى ابناء الشعب الكردي في كردستان ســورية هي اللغة الكردية، اللهجة الكرمانجية. وهي اللغــة التي يتعملها الاطفال قبل الذهاب الى المدرســة، حيث تفــرض عليهم اللغــة العربيــة بوصفها اللغة الرســمية الوحيدة في ســورية. اما كرد دمشــق فهم ينقســمون بخصــوص هذا الموضــوع الى مجموعتين: الاولى تشــمل الكرد الذين هاجــروا اليها من المناطق الكردية منذ اوائل القرن العشرين وحتى الآن. هؤلاء يتكلمــون اللغة الكردية فيمــا بينهم على الاغلب. في حــين ان المجموعة الثانيــة تضم الكــرد الايوبيين. فضلا عــن اولئك الذيــن هاجــروا الى المدينة خلال الحكم العثماني[٤]. هذه المجموعة تتحدث العربية، الا انه من الملاحظ ان انتشار الوعي القومي بين ابنائها، خاصة الشــباب منهم، ادى بهــم الى الاقبال على تعلم اللغة الكردية، واطلاق الاســماء الكردية على المواليد الجديــدة والمحلات التجارية. وما عزز هذا الاتجاه هو تزايد معــدل الاحتكاك بين هؤلاء وابناء شــعبهم في المناطــق الكردية وذلك عبر الطلبة، والعمل المشــترك ضمــن الاحــزاب الكرديــة، الى جانب تطور وســائل الاتصال، ونعني بها طرق المواصلات والهاتف والفاكس والانترنيت، هــذا بالاضافة الى العلاقــات الاقتصادية والاجتماعية، مثل الزواج والتجارة. وعلاوة على ذلك كله، يشــار هنا الى اهمية التلاقي بين كورد دمشــق، وابناء شــعبهم من اجزاء كردســتان الاخــرى الذين دفعت بهم ظــروف النضال الى التوجه نحو دمشــق، والاستقرار فيها لمدد متفاوتة.

اما الكرد الذين يســكنون المحافظات السورية الاخرى مثــل: حماة، ادلب، اللاذقية، حمص، فهم لايتحدثون الكردية، لكنهم يعتــزون بكرديتهم، ويتعاطفون مع ابناء شــعبهم، يتبادلون واياهــم الافراح والاتراح، اما التجمعات الكردية الحديثة نسبيا في دير الزور، والرقة، وحلب، والمدن الاخرى، فان ابناءها يتحدثون الكردية،

بل يحتفظون باوثق الصلات مع المناطق الكردية التي قدمت منها. الابجدية التي يستخدمها الشعب الكردي في كردستان سورية هي الابجدية اللاتينية، وتضم واحدا وثلاثين حرفا.

A B C Ç D E Ê F G H I J K L M N O P Q R S Ŝ T U Ŭ V W X Y Z

وهي الابجدية التي وضع اسسها الامير جلادت بدرخان[٥]، وذلك بقصد ايجاد الحل لجملة المصاعب التي كانت تواجه المؤلفين والقراء الكرد، هؤلاء الذين كانوا يستخدمون الاحرف العربية وفق صيغة معدلة، لتكون قادرة على التعبير عن الاصوات التي لاتضمها الابجدية العربية، مثل حروف: ذ ث ض ط ظ، لكن الاخطاء كانت مع ذلك كبيرة وكثيرة، خاصة مايتصل منها بالاحرف الصوتية، فاللغة العربية تتضمن كما هو معروف ثلاث حركات صوتية هي الحركات الاعرابية: الفتحة والضمة والكسرة، تعتمد من اجل التعبير عن الاصوات القصيرة. اما الاصوات الطويلة فيتم التعبير عنها بوساطة الحركات عينها والاحرف نصف الصوتية –اذا صح التعبير- وهي احرف الالف والواو والياء. اما اللغة الكردية فهي تتضمن ثمانية احرف صوتية، اربعة منها طويلة وهي: A I E U، واربعة قصيرة هي:

وما توخاه الامير جلادت من خطوته الجرئية هذه في المقام الاول، هو اعتماد ابجدية سهلة توحد بين ابناء الامة الكردية في جميع انحاء كردستان، الامر الذي دفعه نحو التنسيق في ذلك الحين مع العلامة توفيق وهبي، وغيره من الباحثين في هذا الميدان من اجل الوصول الى رأي محدد. ولكن لاسباب لامجال لذكرها الآن، لم يتم الاتفاق، فما كان من جلادت الا ان اعلن ابجديته من جانب واحد. وقد كان توصل اليها نتيجة دراساته المعمقة في خصوصية اللغة الكردية، فضلا عن اطلاعه الواسع على اللغات الاخرى التي كان يتقنها مثل الالمانية والانكليزية والفرنسية، الى جانب التركية والعربية.

ولعل مأثرة جلادت الكبرى تتمثل في انه انقذ ابناء الشعب الكردي في كردستان تركيا من خطر جسيم، خطر كان يهددهم بسلبهم امكانية القراءة الكردية والكتابة بها والى الابد. وذلك حينما فرض مصطفى كمال بصورة قسرية الابجدية اللاتينية في الدولة التركية الحديثة، والغى بفرمانات صارمة استخدام الاحرف العربية التي كانت تكتب بها التركية سابقا. فالخطر كان يهدد الكردية ايضا التي كانت تكتب هي الاخرى في ذلك الحين بالاحرف العربية المعدلة نسبيا كما اسلفنا. ولكن بعد اعتماد ابجدية جلادت من قبل المثقفين الكرد، وانتشارها بين الناس وتقبلهم لها، نظرا لسهولة تعلمها، وقدرتها على تجسيد اصوات اللغة الكردية بصورة شبه كاملة، تراجعت خطورة ما كان مصطفى كمال يخطط له عن سابق قصد وتصميم بالنسبة الى الشعب الكردي، ونعني بذلك محاولته الرامية الى سلب الشعب الكردي كل امكانية للتعليم، كي يصبح مستقبلا طيع الانقياد، سهل الوقوع ضحية للتضليل، وقد تناول اسماعيل بيشكجي توجه مصطفى كمال هذا في كتابه: كردستان مستعمرة دولية، قائلا: (القى مصطفى كمال في الثلاثينيات خطابا امام اعضاء جمعية تأريخ تركيا شرح فيه وجهات نظره حول حروب التحرير التي خاضتها امم البلقان ضد الامبراطورية العثمانية وتساءل: «لماذا خسرنا شعوب البلقان» وقدم الاجابة عن هذا التساؤل بنفسه مؤكدا على ان شعوب البلقان كانوا قد اسسوا معاهد للبحوث السلافية واعدوا دراسات مفصلة عن لغاتهم وادائها وتأريخهم وثقافتهم)[٦].

وما يستخلصه بحث بيشكجي من هذا التوجه هو ان مصطفى كمال كان يعني بذلك انه (اذا ما اردنا اخضاع امة وتحويل شعبها الى عبيد وسلب هويتها، واذا ما اردنا ان يبقى الاستعمار طاغيا في منطقة ما، علينا ان نقضي على ابجدية تلك الامة، وعلينا ان نمنع على تلك الامة او على ذلك الشعب ان يتحدث بلغته ونحول بينه وبين ثقافته)[٧].

وعلى الرغم مـن الامكانيات المتواضعـة التي انطلق منهـا المثقفـون الكرد، انتشـرت الابجديـة الجديدة بسـرعة غير منتظرة بـين ابناء الشـعب الكردي في كردسـتان سورية وكردسـتان تركيا، الامر الذي اكد مجـددا وجود ثغرات في اسـتخدام الابجدية العربية التـي كانـت تعتمدها الكتابـة الكردية سـابقا، تلك التغييرات التي كانـت تجعل امكانية القراءة والكتابة حكرا على مجموعة خاصة، كانت هي وحدها القادرة على فك طلاسم الخط العربي وغير العربي في الوقت ذاتـه، ونعني بذلـك تلك التعديلات التـي كانت قد ادخلـت على بعض الاحرف العربيـة، لتغدو موائمة للنطق الكردي. ان مسـألة اعتماد ابجدية جديدة هي على غاية الحساسـية والدقة، واحيانا تكون الخسائر الناجمـة عنها باهظة الثمن، ولاسـيما اذا كانت ذات خلفية سياسـية وايديولوجية، تدفع بالمتحمسين لها الى فرضها من فوق، وبأسـاليب غير مستساغة. وربما تندرج التجربـة الكمالية ضمن هذا السـياق، اما اذا كانـت بغرض الوصول الى تحقيق نوع من الانسـجام المطلـوب بين طبيعـة الاصـوات، والادوات التي تعبر عنها، مما يؤدي بطبيعة الحال الى تسهيل عملية اتقان القراءة والكتابة، فهذا امر منشود، بل مهمة ضرورية لابد من انجازها. وهنا يمكن الاشـارة الى ما حصل في بلاد مابين النهرين خلال المرحلـة البابلية الحديثة «الكلدانية» ٦٢٧-٥٣٩ ق. م. حينما انتشـرت الابجدية الآرامية، وحلت بدلا عن الكتابة الاكادية ذات الخلفية السومرية[٨].

وهـذا ما تحقق في اطار اللغة الكردية على يد جلادت بدرخـان، وخير دليل على مـا حققته تلك الابجدية من نجاحات، هو واقع انتشـارها اليوم بصورة مطلقة في كل من كردسـتان تركيا، وكردستان سورية، وبين كرد المهاجر، خاصـة كرد جورجيا وارمينيا، ولبنان، واوربـا، وامريكا، واسـتراليا. وفي الآونة الاخيرة بدأت تنتشر جزئيا في كردستان العراق. وهناك اليوم نقاش مسـتمر بين المثقفين الكـرد حول ضـرورة اعتماد جميع الكرد هـذه الابجدية، وذلـك لتيقنهم من ان قضية الاخذ بابجدية موحدة ستفرض نفسها عاجلا ام آجـلا، وكلما تم الاسـراع في تسـويتها، كلما كانت الخسائر اقل والفوائد اعم بطبيعة الحال. غير ان هذا الموضوع يحتاج الى تسـاؤل معمق، متشعب الاتجاهات، لذلك سأدع الخوض فيه الى مناسبة اخرى.

امـا ما ذهـب اليه منـذر موصللـي في كتابه «عرب واكـراد» تحت عنـوان «المحـاولات الفاشـلة لوضع ابجديـة كرديـة»، حيث يدعـي ان تجربة بدرخان في وضـع ابجدية لاتينيـة (لم يكتب لهـا البقاء)[٩]. ويقـول كذلك: ان غالبية اكراد سـورية يسـتعملون الحرف العربي وليس اللاتيني في كتابة لغتهم، زاعما انه بذلـك يرد على عبدالرحمن قاسـملو الذي ربما –على الحد من زعم المصلي- (اوهمته العكس تجربة بدرخان هذه)[١٠].

فالموصللي يطالب- انطلاقا من تعصبها لسـلطوي غير المسـتند الى اي علـم- بضرورة تبني الكـرد الحرف العربي باعتباره الحرف (الذي يعبر عن وحدة المشاعر الكردية والثقافة الكردية والقومية الكردية والاخوة العربيـة- الكردية واصولها التاريخية)[١١]. كلام منمق لكنه مع ذلك لايستطيع ان يغطي التوجهات الشوفينية التي ينطلق منها صاحبه، هذا الذي يحاول بين الغمز واللمز ان يوحي او يلمح بان مسـألة اعتماد الابجدية اللاتينية هـي مؤامرة من ايعـاز الدوائر الخارجية، وليست ناجمة عن حاجة داخلية، ذات علاقة بنيوية بخصوصيـة اللغة الكرية نفسـها. ومنعا لاي التباس قـد يحصل لدى القارئ العربـي. نبين هنا ان اعتماد الابجديـة اللاتينية من قبل القسـم الاكبر من ابناء الامـة الكردية في يومنا الراهـن، ليس معناه التقليل من شـأن الابجدية العربية الجملية، او اللغة العربية نفسـها المحبوبة لدى الكرد، كونها لغة القرآن الكريم، الكتاب المقـدس لدينا اكثر من ٩٥٪ مـن الكرد. لكن الدعوة الى الابجدية اللاتينيـة التي كانت من جانب جـلادت وغيره من الباحثين الكرد في ذلك الحين، قد

نجحت علـى كل حال، واصبحت واقعا يتمثل في آلاف الكتب والابحاث الكردية، بالاضافة الى اعتمادها وسيلة في تدريس اللغــة الكردية من قبل الجامعات الاوربية التي تتضمن اقســاما للغة الكرديــة، خاصة جامعتي السوربون وابسالا Uppsala في السويد وغيرهما..

ان هذه الدعوة كانــت تختلف بكل المقاييس عن تلك التي طالب بها ســلامة موسى بخصوص اللغة العربية قائلا: (الواقع ان اقــتراح الخط اللاتيني هو وثبة الى المســتقبل لو اننا عملنا به لاســتطعنا ان ننقل مصر الى مقــام تركيا التي اغلق هذا الخــط ابواب ماضيها وفتح لها ابواب المستقبل)[١٢]. تلك الدعوة التي وجدت فيما بعد صدى لها عند ســعيد عقل، لكنها اخفت في بدايتها، حينما تخلى عنها صاحبها الذي كان يســبح –على الاغلب عن حسن نية- ضد التيار، اعتقادا منه ان مســألة كبرى كهــذه يمكن ان تحــل بدعوة وقرار فوقيــين. لكنــه ادرك فيما بعد ان مثل هذه المســألة لايمكــن بلوغها ما لــم يتقبل النــاس الدعوة، وتجد ضالتهــا، لانها تتصل بــاداة التفاهم الاساســية فيما بينهــم. هذا بالنســبة الى ســلامة موســى، اما دعوة جــلادت بدرخــان فقد نجحت في اســتقطاب جمهور كبير من المهتمين في بدايتها الاولى، واصبحت الاســاس المعتمد لاحقا من قبل القســم الاكــبر من الكرد. مما يعد مؤشــرا يبــين تحولها الى عامل فاعــل في البنية الداخليــة للغة الكرديــة. هذا علــى الرغم من عدم سلطة سياســية كردية كان من شــأنها رعاية مراكز البحث العلمية او انشــاء الجامعات، فضلا عن المدارس التي كانت ستدرس باللغة الكردية، وتساهم في عملية تطويرها اوثرائها. من جهة اخرى، تجدر الاشارة هنا الى ان ابجدية جلادت لم تفرض بقرار سياســي، ولم يكن كل ملتــزم بها يطمح الى اية فوائد على الصعيد الشــخصي، ســوى التعرض للملاحقة والاضطهاد من قبل السلطات التي تمنع تداول الكتب الكردية، وتجبر الكرد على تعلــم العربية او التركية او الفارســية في المدارس والجامعات. ان هذه الوضعية تدل بعمق على مدى احســاس الكردي بالحاجة الى ابجدية تمكنه من التعبير عــن افكاره وتطلعاته بصورة طبيعية. والا لما كان هذا الالتزام الســاحق بابجدية وضعها امير تخلى عن كل شــيء في ســبيل امته. امير ســقط شهيدا في بئر زراعيــة كانت تمد مشــروعه الزراعي المتواضع بالماء[١٣]. ذاك المشــروع الذي كان قد استأجره لتأمين زاد يومــي يمكنــه من البقاء لمتابعــة البحث. ان هذا الالتزام اللافــت للنظر بابجدية الامــير يمثل بذاته اعجازا نادر الحدوث في المجتمعات. وهو مؤشر ايجابي يوحي بمستقبل واعد.

واخيرا فيما يتصــل بالزعم القائل ان «اللغة الكردية لــم تكن لغة كتابة مدونة بل لغة خطاب ســماعية» قبل تبني الابجديــة العربية، فاننا نرى انه لايصمد امام المعطيــات العلمية، والا لقلنا ان اللغة الفارســية علــى ســبيل المثال لــم تكن لغــة كتابة قبــل تبني الابجدية العربية. هذه مســألة تحتــاج الى حيز اكبر من المناقشــة لذلك سنتركها الى مناســبة اخرى. لكن الذي اود الاشــارة اليه هنا هو ان الصورة التي اســهم بعض المستشرقين في ترويجها حول الكرد، هؤلاء ممن كانوا يجهلون فصــول التأريخ الكردي، واكتفوا بواقع الحال كما شــاهدوه على الارض، سواء في القرن التاسع عشــر، او بدايات القرن العشــرين، ونعني بذلك تلك الانطباعــات التي تصور الكرد كونهم مجموعة قبائل تتحكم فيها العلاقات العشــائرية، والخلافات المستمرة لا اكثر. هذه الصورة تلقفها منظرو الفكر الشــوفيني في الدول التي تتقاســم كردســتان، بهدف استخدامها حجة الامة الكردية، وسعيها من اجل الانعتاق. فهؤلاء مازالوا يؤكدون عدم قــدرة الكرد على ادارة امورهم بانفســهم. كونهم لم يتخلصوا بعد من واقع الولاءات العشــائرية، لكننا اذا عدنا الى التأريخ الكردي نلاحظ ان الكرد عرفوا الاســتقرار وحياة المدينة قبل العديد من شــعوب المنطقــة، الا ان الذي حصــل في العصور الحديثة على وجه التحديد هو ان السلطنة العثمانية اتبعت نحوهــم منهجا يمثل في محاربة اماراتهم التي

كانــت في طريقهــا الى التحــول الى دول، وبذلت مافي وســعها من جهود في سبيل وضع نهاية لنفوذ وسلطة الامــراء الكرد. فلجأت من اجل ذلك الى احداث النظام البكوي والباشوي، وذلك بهدف تكريس روح الانقسام، ودفع الكرد الى التشــبث بالنظام العشائري، وذلك من اجل تقســيم المجتمع الكردي بين جملة من الولاءات المتخاصمة التي تجد في سياسة الاستقواء بالمركز حلا داعما، يمكنها من تصفية الحسابات الآنية مع الخصوم الاشقاء.

هذا في المرحلة العثمانية، ولكن ذلك الواقع تم تجاوزه فيمــا بعــد، واصبحت العشــيرة مجرد ذكــرى تردد اصداؤها في المناســبات، من دون ان تتحول الى عنصر فاعل يوجه حاضر المجتمع الكردي، او يتحكم بابعاد مســتقبله. ان ما يكتــب عن الطابع العشــائري غير القادر على ادارة الامور مع المجتمع، يهمل عن جهل او قصد الجهود الحثيثة التي يبذلها قاسملو في كردستان باستمرار للابقاء على واقع الضعف والتخلف في المجتمع الكردي. بل انه ليس سرا ان هؤلاء ينفخون بين الحين والآخــر في الرماد البارد، علهــم يحظون بولاءات من شأنها مساعدتهم في مواصلة التحكم بمفاصل المجتمع الكردي هنا او هناك. وقد بذل هؤلاء كل ما في وسعهم من اجل اخفاء الحقائق والوثائق التي من شأنها القاء الضوء على المســيرة الفعلية للتاريخ الكردي. ونشــير هنا بصــورة خاصة الى وثائق الامبراطورية العثمانية والامبراطوريــة الصفويــة، بالاضافــة الى محاضــر المناقشــات والمــداولات التي ســبقت واعقبت الحرب العالميــة الاولى. فالدول المعنية قد اتلفت هذه الوثائق (او احتفظــت بها في اماكن يصعب الوصول اليها) على حد تعبير اسماعيل بيشــكجي[١٤]. الذي يضيف قائلا: (اما الوثائق التي ســمحت بنشرها فهي كما هو واضح قد زورت بهذا القدر او ذلك)[١٥].

فالكرد في تركيا هم اتراك الجبال. وفي ايران ايرانيون. وفي العراق يســكنون «شــمال الوطن الحبيب» اما في سورية فهم مجرد لاجئين وفق مزاعم منذر موصللي وسهيل زكار ومن يشد معهما. في حين ان محمد طلب هلال، حاول قبلهما ان يختصر المســافة بدفعة واحدة قائلا: (ليس هناك شــعب بمعنى الشــعب الكردي ولا امة بمعنى الامة الكردية.. فلو رجعنا الى تاريخ اللغات ونشوئها في الحضارات القديمة السابقة لسنا بواجدين ابدا لغة اســمها اللغة الكردية بل لهجات مختلفة لكل قبيلة لهجتهــا وميزتها، وكل لهجة لاتفهم الاخرى الا بترجمان)[١٦].

كلام اوردته ليس بقصد الرد عليه، لانه مجرد تعبير عن حقد دفين ســيطر على صاحبه فاعماه. وابعده عــن كل ماهو صحيح، بــل اردت تقديم نموذج لفكر شــوفيني متطرف، يــرى ان حل المشــكلة مع الآخر صاحــب الحق يمثــل في الغاء وجــوده، على الاقل في خيالــه ان لم يتمكن من ذلــك بصورة فيزيائية على الصعيد الواقعي.

الدين والمذهب

تديــن الغالبيــة العظمى من ابناء الشــعب الكردي في ســورية بالاسلام. تبلغ هذه النسبة حوالي ٩٦٪ وربما اكثر. اما النســبة الباقيــة فهي تضم اتبــاع الديانة الايزدية الذين يسكنون في قرى تابعة لمنطقة عامودة، تربة ســيبي، ســري كانيي، عفرين، الى جانب وجود مهم في مدن الحســكة، القامشــلي، حلــب، وهم كرد يعتــزون بكرديتهم، ولهم اســهامات متميزة في اطار الحركة الكردية في ســورية. الى جانب الايزدية، يدين قســم محدود من الكرد بالمسيحية، خاصة في منطقة ديريــك حيث التقيت شــخصيا بالعديد منهم. الا ان الواقع السياســي العام في البلد اجبر العديد منهم على التنكــر لكرديته وادعــاء العروبة، امــلا في الحصول على عمل حكومي يســاعدهم على مواجهة الظروف المعيشية الصعبة في منطقة تتجاوز نسبة البطالة فيها مســتويات مرعبة، تبلغ احيانا نحو ٦٠٪ خاصة بين الاناث.

نســبة السنة بين الكرد المسلمين في سورية هي حوالي

٩٨٪ وربمـا اكثـر، امـا البقيـة فهي تتبـع الطائفة العلوية، وهذه الاقلية تسكن بصورة خاصة في منطقة عفرين.

المذهـب الذي يلزمه الكرد السـنة هـو بصورة عامة المذهب الشـافعي، ولكن توجد نسـبة لابأس بها ربما تصـل الى ٢٠٪ ممن يتبعون المذهـب الحنفي، وهؤلاء يسـكنون في دمشـق وحلب، بالاضافة الى بعض انحاء كردستان سـورية، مثل: القامشلي، الحسكة، عامودة، عفرين.

المجتمع الكردي في سـورية لايعاني مطلقا من مشكلة التعصب الدينـي او المذهبي، مع ان الغالبية متدينة. فهـذا التدين يتم التعبير عنه بصـورة طبيعية غير متطرفة تمثل في تأدية الفروض الدينية او احترامها على الاقل. الكردي المسلم يحترم اتباع الديانات الاخرى سـواء من الكرد ام غيرهم. وقد كانت العلاقة، خاصة مع المسيحيين في كردسـتان- سورية، هي على الدوام علاقـة تفاهم واحترام متبـادل. هذا على الرغم من سعي الاجهزة الامنية والحزبية بين الحين والآخر من اجل تطويق وضرب اي تفاهم بينهم وبين الميسحيين علـى اختلاف انتماءاتهم الاثنية، وذلك انسـجاما مع القاعـدة التقليديـة (فرق تسـد). لكـن العقلاء من الطرفين كانوا باسـتمرار سباقين الى معالجة الوضع، لقناعتهـم بضرورة واهمية احـترام التاريخ والعيش المشترك.

الا ان الاجهزة المشار اليها ماضية في جهودها الايقاعية -ان صح التعبير- تـروج بين الكرد عن طريق بعض المقربين منها ان المسيحيين قد سيطروا على كل شيء، وهـم لا الحكومة، يضمرون مالاتحمـد عقباه للكرد. لكنها من جهة ثانية تعطي المسـيحيين ايماءة فحواها ان الكرد يسعون من اجل السيطرة على مقاليد الامور في المنطقة، الامر الذي سـيمكنهم مستقبلا من تدبير مذابح جديدة بحق المسـيحيين، مما يؤدي احيانا الى خلق حالة من الشـك لدى هذا الطرف الاخير، خاصة الجيل الشـاب، هذا الجيـل غير المطلع علـى التاريخ الفعلي للمنطقة، الجاهل لحقيقة دور الدولة التركية، سـواء العثمانية او الكمالية في مذابح الارمن وغيرهم من المسـيحيين، وقد كان الكرد باستمرار كبش الفداء نظرا لعدم امتلاكهم القـوة الكافية التي تمكنهم من الدفـاع عن انفسـهم. فقد اصطنعـت الدولة التركية لدى الكثيريـن انطباعا جوهره ان الكـرد هم الذين قامـوا بالمذابح، وليس ازلامها سـواء مـن الاتراك او الكرد الذين نفـذوا الاوامر الصريحة الآتية من اعلى المسـتويات في الدولة التركية، هذا موضوع آخر يحتاج البحث فيه الى وقت اطول، ومناقشـة قد تبعدها عن موضوعنا الاساس الذي نتناوله هنا، لذلك سندعه الى مناسبة اخرى[١٧].

هنا يفرض مثال يخص السياسـة الامنية في الجزيرة نفسه، تلك السياسة التي تسعى من اجل التفريق بين الكرد والمسـيحيين، واعني به حادثة سـجن الحسكة المركزي عام ١٩٩٣. فالـذي حدث هو انه القي القبض على خمسـة من افراد عائلة كردية كانت تسـكن في منطقة الدرباسـية، واودعوا السـجن المذكور، نتيجة قيام احدهم بقتل احد الاخوة المسيحيين بعد خلاف مايتصل علـى الاغلب بموضوع الجـوار والارض، اي موضوع يدخل في اطار العلاقة الثنائية بين الطرفين. هذه العائلـة الكردية كانت متنفذة في المنطقة بدعم من اجهزة الامن نفسها التي كانت تتلقى منها الاموال، وربما كان قسـم من المسؤولين يشـاركونها نشاطاتها الزراعيـة الكبـيرة نسـبيا في المنطقة. هـذه العائلة كانت تضطهد الفلاحين الكـرد ايضا. وحادثة قرية Girkund مشهورة بين ابناء المنطقة، اذ كانت دائرة الاصـلاح الزراعي قد اسـتولت على مسـاحات كبيرة من القريـة المذكورة، وحرمت منهـا فلاحي القرية الذين ما زال الاغلب منهم لايمتلك شـبرا من الارض، وسـلمتها في ذلك الحين الى العائلة التي يدور الحديث حولها، وذلك بموجب صفقة سـرية تحت ستار عقد زائف بين شـركة وهميـة والعائلة المعنيـة. وحينما انكشـفت اللعبة حدث شجار بين الفلاحين الكرد من

القرية المعنية وبين العائلة وشركائها وذلك في اواخر الثمانينيات. وقد تعرض الفلاحون حينئذ للضرب والاهانة والتهديد، ولم يحصلوا على الارض، والامثلة الاخرى كثيرة في هذا المجال.

سنعود الى موضوع سجن الحسكة المركزي، فقد وضع الافراد الخمسة باسلوب كان يوحي من البدايات بنوايا عدوانية مبيتة في العنبر نفسه، ومعهم عدد كبير من السجناء الكرد بطبيعة الحال- كانت هناك بضعة سجناء من العرب وضعوا في العنبر نفسه بضورة مؤقتة.

بعد ايام من اعتقال هؤلاء تم احراق العنبر بمن فيه، مما تسبب في وفاة الخمسة، بالاضافة الى اكثر من خمسين شخصا من منطقة الجزيرة[١٨]. الاجهزة الامنية اعتبرت الحادثة من اسرار الدولة، مارست التعتيم المطلق عليه، ولم يكن هناك اي تحقيق مستقل في الموضوع. اجهزة الاعلام سواء المحلية او العالمية كانت بعيدة نهائيا عن الموضوع، وما سرب من خلال بعض المقتربين من اجهزة الامن هو ان زوجة المغدور المسيحي هي التي كانت وراء تدبير الحادث، من خلال علاقاتها بالمسؤولين.. في مقابل ذلك نقل الى المسيحيين ان الكرد يعدون العدة لعملية قتل انتقامية بحقهم. لكن العقلاء من الطرفين، كما اسلفنا تدخلوا، واكدوا ان الحادث الاول اي القتل الذي ترتب على الشجار الذي كان بين الطرفين، هو حادث جنائي قابل للحدوث في اي مكان او زمان، في حين ان ماحدث في سجن الحسكة هو امر غير اعتيادي، خاصة ان بعض الروايات تحدثت عن طلاء الجدران بمواد قابلة للاشتعال، ورش مادة غريبة ليلة الحادثة بعد اخراج السجناء من العنبر، بحجة انها مبيد للحشرات. كما ان بعضهم قال ان الباب كان مغلقا بفعل اقدام احدهم على سد موضع المفتاح بعيدان الثقاب، الامر الذي حال دون فتحه في الوقت المناسب، بينما كان السجناء يحترقون داخل العنبر في حضور المشرفين على السجن.

العقلاء من الكرد والمسيحيين اكدوا ان الحكومة من خلال اجهزتها الامنية هي المسؤولة مباشرة عن الحادث، فهي التي كانت تقف وراء تجاوزات العائلة المذكورة في المنطقة، كما ان ضحايا سجن الحسكة كانوا في عهدتها. فقد كانوا في السجن محرومين من حرية الحركة وامكانية النجاة بارواحهم. لكن الحكومة من ناحيتها ارادت لملمة الموضوع كما يقال، فانحت باللائمة على خمسة شبان كرد كانوا في عنبر آخر بتهمة تعاطي المخدرات، مدعية انهم هم الذين دبروا الحادث. وهكذا تمت تبرئة ساحة مدير السجن وحراسه والاجهزة الامنية، وكل من له علاقة فعلية بالحادث، والصقت التهمة باولئك الشباب الذين اعدموا بسرعة غير معهودة في غضون ايام معدودات. رواية شخصية وردت على لسان قريب لاحد المعدومين، اكدت ان هذا الاخير كان يبكي بحرقة لدى زيارة اهله قبل اعدامه ويقول: كيف اقدم على عمل كهذا هل تصدقونهم. انني بريء، انا اتعاطي المخدرات واتعامل معها، نعم لا انكر ذلك، لكنني لست سفاحا. وسيبقى احراق سجن الحسكة موضع جدل مستمر طالما ان الفاعل الحقيقي مجهول. الامر الذي يستلزم اعادة التحقيق من قبل لجنة مستقلة فعلا، توضع في تصرفها جميع الوثائق، وتمنح جميع الضمانات المطلوبة بانها لن تتعرض لاي تهديد من قبل المتضررين من نتائج التحقيق مستقبلا، على ان يشارك الاعلام خاصة العربي والكردي في متابعة وقائع التحقيق ونشر نتائجه.

نعود ثانية الى موضوع فقرتنا هذه التي تتناول الدين والمذهب عند الكرد في كردستان سورية. الاسلام السياسي لاجذور له بين الكرد، فهم يفصلون بين الدين والسياسة. رجال الدين الكرد يمارسون شعائرهم الدينية في المسجد ولايتدخلون في السياسة، حتى انهم احيانا يتعرضون لعتاب، وربما لانتقادات من قبل الجيل الكردي الجديد الذي يطالبهم بالكشف عن جانب من المظالم التي يتعرض لها الشعب الكردي، باعتبار ان تعاليم الدين الاسلامي تنص على ضرورة

رفض الظلم، وتدعو الى مقارعته باليد او اللسان او القلب وذلك اضعف الايمان. الاحزاب القائمة على اساس ديني غير موجودة بين الكرد، مع ان محاولات حثيثة بذلتها التنظيمات الاسلامية المنتشرة على الساحة السورية في سبيل ايجاد موطئ قدم لها في المجتمع الكردي في سورية، الا ان هذه الجهود لم تجد سبيلها الى النجاح، لانها كانت تركز على الدين وحده، وتهمل الظلم القومي الذي يمارس بحق الكرد. كما انها كانت تدعو الى التزامات معينة في المظهر وطريقة اللباس والتعامل اليومي، فضلا عن اسلوب التفكير، وجميع هذه الامور غريبة على المجتمع الكردي، لاتنسجم مع توجهات ابنائه. الطرق الصوفية التقليدية مثل القادرية والنقشبندية هي اليوم في طريقها نحو الزوال بين الكرد الذين ادركوا بعمق ان معايير التمييز بين التوجه الصحيح ونقيضه تتمثل في الموقف من مأساتهم التي لاتطاق. فمثلوا الطريقتين المشار اليهما خاصة في منطقة الجزيرة تركوا هؤلاء فتركهم وشأنهم. حينئذ توجه المتضررون باللوم الى الاحزاب الكردية التي ارتضت لنفسها – حسب مزاعمهم- طرقا منافية لتعاليم الاسلام، في حين ان جوهر الموضوع يتشخص في الحس السليم لدى الشعب الذي ادرك بعد تجارب مريرة ان هؤلاء لايريدون سوى المنافع الدنيوية الذاتية الآنية، وهم يتهربون من الدعوة الى حقوق الكرد العادلة، تحاشيا لما قد يلحق بهم من اضطهاد. لكن غلاة الشوفينيين من العرب لم يقبلوا بهذا الموقف السلبي والمتهالك من ممثلي الطريق الصوفية بين الكرد، بل طالبوهم بالانخراط في منظمات حزب البعث والاجهزة الامنية، والتنسيق معها ضد ابناء شعبهم، وهذا مافعله بعضهم، الامر الذي يذكرنا بمحاولات طلب هلال في اوائل الستينيات الذي يقول في كتابه المشار اليه في موضع سابق من هذا البحث عن بيت الخزنوي في الجزيرة مايأتي: (ليست الا مجلس «بارتية» يعني بذلك الحزب الديمقراطي الكردي في سورية الذي كان يعرف حينئذ بين الكرد بالبارتي وذلك تيمنا بالحزب الديمقراطي الكردستاني- العراق «البارتي» فهم ليسوا من الدين في شيء واستطيع الآن تقديم شاهد على ذلك عندما قام تمرد البارزاني دعونا رجال الدين من الكرد الى استنكار اعمال البارزاني باعتباره بارتيا شيوعيا وليس مسلما فرفض ذلك الخزنوي وطلب الاثبات على انه ليس مسلما وادعى ان القتال بين المسلمين برمته ليس لصالح المسلمين فهو وان ترك له الامر لارسل برقية يدعو الى عدم اراقة دماء المسلمين ولم نستطع اقناعه بينما قنع اكثر المشايخ بالحجة والجدل)[١٩].

النشاط الاقتصادي

يتمركز النشاط الاقتصادي السوري في المدن الداخلية الكبرى، خاصة دمشق، حلب، حمص، وقد بدأت المنطقة الساحلية في السنوات العشرين الاخيرة تلعب هي الاخرى دورا ملحوظا على صعيد الاقتصاد الوطني، في حين ان المناطق الكردية تمثل حيزا بشريا جغرافيا، مهمته استهلاك السلع التي انتجتها المصانع السورية، او تلك التي استوردها تجار الداخل. وفي المقابل تمد هذه المناطق السوق السورية الداخلية، والتجارة السورية الخارجية بالانتاج الزراعي والحيواني، بالاضافة الى الثروات الباطنية خاصة النفط والغاز الطبيعي.

المناطق الكردية في سورية تعد اليوم من اكثر مناطق البلاد اهمالا وتخلفا، وذلك ناجم في المقام الاول عن تفاعلات السياسة الحكومية الموجهة نحوها، تلك السياسة القاضية بحرمانها من المشاريع الاقتصادية الحيوية التي كان من شأنها الحد من الارتفاع المذهل لنسبة البطالة فيها، وايجاد فرص تنمية تمكنها من تحقيق صيغة من التقدم النسبي. هذا مع العلم ان المنطقة مؤهلة لعدد من المشاريع، منها على سبيل المثال لا الحصر: مصفاة لتكرير النفط ومشتقاته، مصانع، المعجنات، الصابون الملح، الاسمنت، الاسمدة، الزيوت والشحوم الحيوانية النباتية، تعليب اللحوم،

الاحذية، قطع تبديل الاوائل الزراعيــة، الجرارات، الورق، الكونســروة بأنواعها، الغزل والنســيج، السكر، الادوات الكهربائيــة، الحصــادات والاوائــل الزراعية الاخرى، الاجهزة الالكترونية الحديثة، الادوية خاصة البيطرية منهــا.. الخ. لكن السياســة العامة تحرص باســتمرار على ابقاء المنطقة سوقا لتصريف المنتجات القادمة من الداخل، وهذه سياســة مســتمرة التزمت بها الحكومات السورية المتعاقبة، وهي تمثل التجسيد الحــي للاقتراحات التي قدمها محمــد طلب هلال الى المســؤولين الســوريين في أواخر عــام ١٩٦٣ (وهو العام الذي شــن فيه فهد الشــاعر بناء علــى اوامر رئيس الجمهورية آنذاك امــين الحافظ حملته الحاقدة على الثــورة الكردية في كردســتان العــراق)، وذلك بهدف انهــاء الوجود الكردي في منطقة الجزيرة، ورغبة منا في بيان خلفية الاضطهاد المزدوج (ســنخصص الفصل القــادم لتناول مختلف جوانب هــذا الاضطهاد) الذي يتعرض له ابناء الشــعب الكردي في سورية اليوم، هذا الاضطهاد المســتمر حتى يومنا هــذا، نورد هنا النص الكامل لاقتراحات هلال المشــار اليهــا، ليحكم القارئ الكريــم بنفســه على الموضوع، ويحــدد موقفه منه.

يقول محمد طلب هلال بالحرف مايي:

(علينــا اولا ان نتجنب موطن الزلق لنرســي اســس التخطيط على العلم والدراســة الشــاملة ضمن هذه المرحلــة التاريخية التي نمر بها، حيث اصبح معلوما لدينا بشــكل واضح وجلــي اننا نخوضها في شــمالي قطرنا العربــي العراقي معركة عقيدة وســلاح. فلا بد ان نشــرع وعلى الفور من الانســجام في التخطيط مع مانقوم به من عمليات في شــمالي العراق وفي هذه المرحلة بالذات، اذما الفائــدة ان تنتهي هناك وتبقي هنا وعلى مســتوى من الــدلال او القريب من الدلال باســم الموطنة. وقد بان وظهر كل شــيء. وانكشفت جميــع الاوراق هنا وهنــاك وفي تركيــا وايران ايضا بالنســبة للكرد. لذا نقترح ان يوضح تخطيط شامل بالنســبة للجزيرة وجــذري كي لاتعود المشــكلة من جديــد بعد فترة من الزمن او فــترات. فالمنطقة كلها كمــا علمنا في تركيا والعراق وســوريا بل حتى ايران ملتحمة مع بعضها على طول الحدود وعلينا استغلال موقــف تركيــا الآن لانه قد يتغير في المســتقبل وفق اهواء السياســة الاســتعمارية، حيث هم الآن يهجرون كل عنصر خطر على داخــل البلاد. لذا فاننا نقترح مايأتي:

١-ان تعمــد الدولة على عمليــات التهجير الى الداخل مع التوزيــع في الداخل ومع ملاحظة عناصر الخطر اولا فــأول. ولا بأس ان تكون الخطة ثنائية او ثلاثية الســنين. تبدأ بالعناصر الخطــرة لتنتهي الى عناصر اقل خطورة وهكذا.

٢-سياســة التجهيل: اي عدم انشــاء مدارس او معاهد علمية في المنطقة لان هذا اثبت عكس المطلوب بشكل صارخ وقوي.

٣-ان الاكثرية الساحقة من الكرد المقيمين في الجزيرة يتمتعون بالجنسية التركية. فلابد لتصحيح السجلات المدنيــة وهذا ما يجــري الآن. انما نطلــب ان يترتب على ذلك اجلاء كل من لم تثبت جنســيته وتسليمه الى الدولــة التابعة لهــا. اضف الى ذلك يجب ان يدرس جنســيته دراســة معقولة وملاحظة كيفية كســب الجنســية لان الجنسية لاتكسب الا بمرسوم جمهوري. فكل جنسية ليست بمرسوم يجب ان تناقش تبقى من تبقى اي الاقل خطرا وتنزع من تنزع عنه الجنســية لنعيده بالتالي الى وطنه.

ثم هناك تنازع الجنســيات فانك تجد احدهم يحمل جنســيتين في آن واحد او قل ثلاث جنســيات فلابد والحالــة هذه ان يعــاد الى جنســيته الاولى وعلى كل حال فالمهم مايترتب على ذلك الاحصاء والتدقيق من اعمال، حيث يجب ان تقوم فورا عمليات الاجلاء.

٤-سد باب العمل: لابد لنا ايضا مساهمة في الخطة من سد ابواب العمل امام الكرد حتى نجعلهم في وضع، اولا غــير قادر على التحرك، وثانيا في وضع غير مســتقر ومستعد للرحيل في اية لحظة، وهذا يجب ان يأخذ به

الاصلاح الزراعي اولا في الجزيرة بان لا يؤجر ولايملك كردا والعناصر العربية كثيرة وموفورة بحمد الله.

٥-شن حملة من الدعاية الواسعة بين العناصر العربية ومركـزه على الكـرد بتهيئة العناصـر العربية اولا لحسـاب ما وخلخلة وضع الكرد. ثانيا بحيث يجعلهم في وضع قلق وغير مستقر.

٦-نـزع الصفة الدينية عن مشـايخ الدين عند الكرد وارسـال مشـايخ بخطة مرسـومة عربا اقحاحا. او نقلهم الى الداخل بدلا من غيرهم. لان مجالسهم ليست مجالـس دينية ابدا، بل بدقة العبارة مجالس كردية. فهم لدى دعوتهم الينا لايرسلون برقيات ضد البرزاني انما يرسلون ضد سفك دماء المسلمين واي قول هذا.

٧-ضرب الكرد في بعضهم وهذا سهل وقد يكون ميسورا باثارة من يدعون منهم بانهم من اصول عربية على العناصر الخطرة منهم، كما يكشـف هذا العمل اوراق من يدعون بانهم عرب.

٨-اسـكان عناصر عربية وقومية في المناطق الكردية على الحـدود فهم حصـن المسـتقبل ورقابة بنفس الوقت علـى الكرد ريثما يتم تهجيرهـم. ونقترح ان تكون هذه العناصر من شـمر لانهم اولا افقر القبائل بالارض وثانيا مضمونين قوميا مئة بالمئة.

٩-جعل الشريط الشـمالي للجزيرة منطقة عسكرية كنطقـة الجبهة بحيث توضع فيها قطعات عسـكرية مهمتها اسـكان العـرب واجلاء الكرد وفق ماترسـم الدولة من خطة.

١٠-انشاء مزارع جماعية للعرب الذين تسكنهم الدولة في الشـريط الشمالي على ان تكون هذه المزارع مدربة ومسلحة عسـكريا كالمستعمرات اليهودية على الحدود تماما.

١١-عدم السـماح لمن لايتكلم اللغة العربية بان يمارس حق الانتخاب والترشيح في المناطق المذكورة.

١٢-منع اعطاء الجنسـية السـورية مطلقـا لمن يريد السـكن في تلك المنطقة مهما كانت جنسـيته الاصلية (عدد الجنس العربي.. الخ).

هذا وان هذه المقترحات ليست كافية بل اردنا منها اثارة المسؤولين بحسب خبرتنا لتكون تباشير مشروع خطة جذرية شاملة لتؤخذ للذكرى بعين الاعتبار[٢٠].

اما نصيـب المناطق الكردية من الموازنـة العامة فهو دون الحد الادنى الضـروري، فهناك المئات من القرى الكردية التي دخلت الالفية الثالثة من دون كهرباء، او المياه الصالحة للشرب، بالاضافة الى الطرقات التي كان من المفـروض ان تربطها بالشـبكة العامة، الى جانب الضعـف الحاد في الرعاية الصحيـة الذي يتجلى على سـبيل المثال في وجود مشـفى حكومي وحيد يخدم منطقة القامشـلي والنواحي التابعـة لها (اي منطقة يتجاوز عدد السكان فيها ٧٠٠ الف نسمة)، علما ان هذا المشفى كان في الاساس مجرد مستوصف، اما التجهيزات الطبية الموجودة فيه فهي ناقصة او معطلة الى اشعار آخر. حاليا هناك مشروع انشاء مشفى حكومي جديد في القامشـلي، الا انه هو الآخر لن يكون كافيا لتغطية احتياجات المنطقة المنهكة بالامراض المختلفة، والامر كذلك بالنسبة لمدينة الحسكة والمناطق التابعة لها، اذ لايوجد سوى مشـفى حكومي واحد، يقدم الخدمات الى منطقة يتجاوز عدد السـكان فيمـا نصف مليون نسمة. في حين ان منطقة كوباني لايوجد فيها مشفى حكومـي اصـلا، والامر نفسـه بالنسـبة الى منطقة عفرين. ومما يزيد الوضع تعقيدا هو تفاقم مشـكلة النفايات المنزلية التي لاتجمع بصورة كاملة في الشوارع، في حين ان القسـم الذي يؤخذ منها من قبل مصلحة التنظيفات يرمى بصورة عشوائية لايمكن تقبلها باي شـكل من الاشـكال حول المدن، وهي تغطي باستمرار المزيد من المساحات الزراعية.

اما المشاريع الاقتصادية الخاصة، فهي الاخرى ضعيفة لاتغطي حاجة المنطقة، وذلك يعود اولا الى الاجراءات الاسـتثنائية المتبعة في المنطقـة التي تحد من اندفاع الناس وتثبت عزيمتهم. فاي مشروع لابد وان يحصل على موافقات الاجهـزة الامنية، قبل موافقة الدوائر المعنية والبلدية، الامر الذي يفتح المجال واسـعا امام

الوساطات والرشوة، وبناء الجسور مع الاجهزة المعنية. همـا يؤديان بالكثريـن الى العزوف عـن الفكرة من اساسها.

وبهـذه المناسـبة اذكر قصـة معمل الـورق الذي تم انشاؤه في مدينة ديرالزور في الثمانينيات، وقد تناولت جريدة تشـرين الحكومية نفسها في عدد من اعدادها هذه القصة. فقد كان من المقرر ان يكون هذا المعمل في محافظة الحسـكة «الجزيرة» حيث المادة الخام، ولكن بقـدرة قادر تم نقل المصنـع الى دير الزور، حيث تم بناؤه فوق ارض كلسية لم تكن تصلح لاي شيء. ومع مرور الوقت تسـبب الكلس في اهـراء الآلات وتعطلها، في حـين ان المـادة الخـام «القش» كانـت تنقل من سـهول الجزيرة الى ديرالزور في الشاحنات، الامر الذي اوجد مجالا رحبا امام الطفيلين للتلاعب والاستفادة الشـخصية، لكن العملية باسرها كانت تندرج في اطار السياسـة العامـة الموجهة نحو المناطـق الكردية، كما ان المعمـل المذكور كان فرصة اسـتغلتها مجموعة من المسؤولين بذكاء لجني العمولات واتعاب السفر.. الخ.

من جهـة اخرى تنهك التدخلات المسـتمرة من قبل الاجهزة الامنية، ورغبة عناصرها في تحقيق مكاسب فرديـة، وهذا ما يحد عمليا مـن جدواها الاقتصادي في اطـار خطط التنميـة. بالاضافـة الى ذلك، تؤدي حـال القلـق وعـدم الاسـتقرار السـائدة في المناطق الكرديـة باصحاب رؤوس الامـوال التفكير في مناطق اكثر اسـتقرار، وبعيدا عن المسحوبيات، لذلك نرى ان العديد من الكرد قد توجهوا باسـتثماراتهم الى حلب ودمشـق، اما من بقـي منهم في المنطقـة، فقد وضع رأسماله بصورة خاصة في الافران، ومحطات البنزين، والقطـاع الزراعي، والمحلات التجاريـة، ومكاتب بيع السـيارات، وذلك على اعتبـار ان هذه المجالات تحقق ربحا مضمونـا، ولاتحتاج عملية جنـي الارباح منها الى وقـت طويل. بالاضافة الى ذلك يمكن لهؤلاء تدبير امورهم بسرعة في الوقت المناسب، وذلك في حال تلبد الغيوم.

النشـاط الاقتصادي لسـكان المناطـق الكردية يتوزع بـين ثلاثة قطاعات اساسـية هي: الزراعـة والثروة الحيوانية، التجارة، والصناعة، بالاضافة الى الخدمات. يعتبر قطاع الزراعة والثروة الحيوانية عماد النشـاط الاقتصادي في المناطق الكردية، اذ تعتمد عليه بصورة مباشـرة نسـبة ٥٠٪ من السـكان، لكننا اذا وضعنا في اعتبارنا اولئـك العاملين في المرافق التابعة فسـتبلغ تلك النسـبة حوالـي ٧٥٪ من القـوة العاملة فعليا في المنطقة.

اما بخصوص مسـاحة الاراضي الزراعية المسـتثمرة فعلا، او تلك القابلة للزراعة، فضلا عن نوعية الملكيات فهي تتراوح بين منطقة واخرى، الا اننا سـنورد هنا بعض الارقـام التفصيلية الخاصـة بمنطقة الجزيرة لتمكننا مـن الحصول عليها[٢١]، آملين ان يتسـنى لنا مسـتقبلا الاطلاع على احصائيـات كل من منطقتي كوباني وعفرين.

المسـاحة الاجمالية لمحافظة الحسـكة هـي ٢٣٣٣٣٥٩ هكتارا، منهـا ١٤٤٥٤٤٠ هكتارات مـن الاراضي القابلة للزراعة، الاراضي المسـتثمرة فعلا حسـب احصائيات عام ١٩٨٣ (وزارة الزراعـة، المجموعة الاحصائية لعام ١٩٨٣) هي نحو ١٣٥٦١٠٩ هكتارا، منها نحو ٩٢٣٠٠ هكتار تدخل في عداد زراعة السـقي، و ٨٢٦٥٣١ هكتارا تزرع بعـلا، في حين ان ٤٣٧٢٧٨ هكتارا تعتبر كأراض للراحة (سبات)[٢٢].

تتوزع الاراضي المسـتثمرة على مناطق المحافظة وفي مايلي: ٥٥٤٤١٦٥ هكتارا في منطقة الحسـكة. و ٣٣٥٠٥٠ هكتارا في منطقة سري كانيي (رأس العين)، و ٢٨٨٧٣٥ هكتارا في منطقة القامشلي و ١٧٨١٥٩ هكتارا في منطقة ديريك (المالكية).

اما عائدية هذه الاراضي فهي كالآتي:

١-اراضي امـلاك الدولة، وتبلغ مسـاحتها الاجمالية —البعلية منها والمروية- في محافظة الحسـكة ٧٥٠٥٠١ هكتار.

٢-اراضـي الاسـتيلاء، ومجمـوع مسـاحتها البعلية

والمرويـــة ٦١٥٥٠٢ هكتار. هذه الاراضـــي موزعة على الفلاحـــين بعقود ايجار، او بيع، او انها موزعة نهائيا، او مخصصة تعاونية.

٣-اراضي مـــزارع الدولة ومجموع مســاحتها البعلية والمروية ٨٨٤٣ هكتارا.

٤-اراضـــي الجمعيـــات التعاونية ومجموع مســاحتها البعلية والمروية ٢٤٤٧٧ هكتارا.

٥-اراضـــي القطاع الخاص ومجموع مســاحتها البعلية والمروية ٤٣٤١٣٦ هكتارا.

كانـــت الغاية من ايـــراد هذه الارقام القديمة نســبيا اعطـــاء فكرة ولو جزئيـــة حول عمليات الاســتثمار وتوزع الاراضي وما يســتنتج هنا ان القسم الاكبر من الاراضي يعود بملكيته مباشـــرة الى الدولة، او بصورة غير مباشـــرة من خلال تلـــك الاراضي الموزعة بعقود علـــى الفلاحين والجمعيـــات التعاونيـــة، او تلك التي تستثمر من قبل مصلحة مزارع الدولة.

قســـم من هذه الاراضـــي تم توزيعه علـــى الفلاحين الكـــرد في المنطقـــة -وهو يدخل اصـــلا في عداد تلك الاراضـــي التي اخـــذت من دون اي ســـند قانوني من اصحابهـــا الكرد تحـــت يافطة تحديد ســـقف الملكية والاصـــلاح الزراعي -بموجب عقود آجار واســـتئجار تجدد سنويا، يدفع الفلاحون وفق ماتنص عليه مبلغا معينا مقابل كل دونم من الارض يســـتثمرونه، هذه العقود مستمرة منذ حوالي ثلاثين عاما، ولم يحصل الفلاحـــون الكـــرد بعد على ســـندات تمليك تؤكد ان الارض قد اصبحت لهم، كما ان اصحابها الاساسيين لم يحصلوا على اية تعويضات مقابلها، اما القســـم الاكبر والاكثر خصوبة من هذه الاراضي الواقعة في الشريط الحـــدودي فقد حصل عليها الفلاحـــون العرب الذين جلبـــوا من محافظتي حلب والرقـــة، وقد منح هؤلاء سندات التمليك فور تسلم الارض.

الى جانب ماذكر، هناك صيغة خاصة من صيغ حيازة الارض بـــين الفلاحـــين في منطقة الجزيـــرة خاصة، تتمثـــل في اراضي «وضع اليد» فهـــذه الاراضي كانت منذ القديم بيد الفلاحـــين الذين كانوا يدفعون لقاء حيازتها نســـبة من الانتاج الى مالكها الاصلي. وقد تم الابقاء على هذه الصيغة بعد تطبيق الاصلاح الزراعي المزعـــوم، ولم يحصل هؤلاء علـــى اراض بديلة، ولكن في الوقـــت ذاتـــه اعتبرت اراضي وضـــع اليد جزءا من مســـاحة الارض التي كان يحق للمالك الاحتفاظ بها. بمعنى انها كانت جزءا من ســـقف الملكية المشـــار اليه، وهذا في حد ذاته مؤشر يؤكد مدى حرص الدولة على امتلاك اكبر مســـاحة ممكنة من الارض، اذا كان ذلك مؤداة نزع الارض من الكرد.

يواجه القطاع الزراعي راهنا عقبات كبيرة في المناطق الكرديـــة، خاصة علـــى صعيد الكوابـــح الادارية ذات الخلفيـــة السياســـية، بالاضافـــة الى تدخـــل الاجهزة الامنية في مختلف مراحل العملية الزراعية، بدءا من تســـجيل المشروع وانتهاء بتوزيع المحصول. وما نعنيه بالكوابح الادارية هنـــا هو التعقيد المقصود لاجراءات تسجيل الارض بالنســـبة الى الورثة او المالكين الجدد. فالمعاملة تتطلب موافقة وزارة الداخلية التي تســـتند الى موافقـــات الاجهزة الامنية المتعـــددة. كما تتطلب موافقة وزارة: الدفاع والادارة المحلية والزراعة، وربما الســـياحة وغيرهـــا. الامر الـــذي يســـتهلك الكثير من الوقت والجهد والمال، وقد اصبحت هذه الاجراءات من التعقيد لدرجة انه بات من المستحيل تسجيل الارض باســـم مالكها الجديد الكردي. امـــا اذا كان هنا المالك من العرب الذين تعترف الاجهزة المســـؤولة بعروبتهم، فحينئذ تصبح المســـألة اســـهل واكثر يسرا. ومن باب التوضيح نشـــير هنا الى انه في مناســـبات عدة اشترى الفلاحون الكرد في منطقة جرابلس اراضي زراعية او بيوتا سكنية، لكن الاجهزة الامنية تدخلت على الفور، وابطلـــت العقود، وافهمت اصحاب العلاقة بانه لايجوز للكردي امتلاك الاراضي والعقارات في المنطقة المعنية، وذلك خشـــية حـــدوث اتصال جغـــرافي بين منطقتي الجزيرة وكوباني الكرديتين.

اهم المحاصيل الزراعية في منطقة الجزيرة هي الحبوب

بانواعها، كالقمح والشعير، والذرة والبقوليات خاصة العدس، والقطن، والخضروات سواء الشتوية منها او الصيفية، والاشجار المثمرة. والجدير بالذكر هنا ان الحبوب والقطن والعدس هي من المحاصيل التي تركز عليها الدولة، بوصفها من المحاصيل الاستراتيجية، فهي التي تحدد خطط زراعتها، واسعارها، وهي التي توزع البذار، والاسمدة مقابل قروض مصرفية غاليا ماتكون وسيلة للرشاوي.

هذا في حين ان المحاصيل الاخرى مثل الخضروات والاشجار المثمرة تنتج لتلبية متطلبات السوق المحلية، وقسم ضئيل منها يصدر الى المحافظات المجاورة. وعلى الرغم من تدخل الدولة في كل شاردة وواردة فيما يتصل بالنشاط الزراعي فانها لاتمد المزارعين بما يستلزم خلال سنوات الجفاف، بل ان المنتج نفسه، سواء اكان فلاحا ام مزارعا[٢٣]، هو الذي عليه ان يتدبر اموره بنفسه، ويتحمل الظروف الصعبة لوحده. وحتى في حالات الكوارث مثل البرد والحريق او الفيضان، فان الدولة لاتقدم اية مساعدة للمنتج من استعادة قوته، ليساهم من جديد في العملية الانتاجية بفاعلية. وقد ادت هذه الوضعية الى انتشار المعاملات الربوبية (من الربا) بصورة فظيعة في المناطق الكردية، وغالبا ما يكون المسؤولون الامنيون من المستفيدين منها بهذه الصورة او تلك. وما يترتب على ذلك هو افلاس الكثير من المنتجين، وحصول حوداث مأساوية.

النظام الزراعي يقوم على نوعين من الزراعة: زراعة بعلية واخرى مروية. الزراعية البعلية تعتمد على مياه الامطار الشتوية، وتشمل هذه الزراعة الحبوب، والعدس، والخضراوت الشتوية. وهناك مقاييس تعتمدها وزارة الزراعة في سبيل التمييز بين مناطق الاستقرار الزراعية استنادا الى نسبة الامطار الهاطلة فيها، فالجزيرة مثلا تنقسم الى اربع مناطق مطرية هي:

١-منطقة الاستقرار الزراعي الاولى: وهي المنطقة التي يزيد معدل الامطار السنوية فيها عن ٥٠٠ مم، ولاتفشل هنا زراعة الشعير بصورة عامة، كما ان زراعة القمح فيما مضمونة الى حد كبير. وتشمل الحدود الشمالية والشمالية الشرقية للمحافظة، خاصة منطقة ديريك «المالكية». وقد بلغت مساحة الاراضي المزروعة بعلا في هذه المنطقة خلال عام ١٩٨٣، ٣٦٤٥٨٠ هكتارا.

٢-منطقة الاستقرار الزراعي الثانية: وهي المنطقة التي يتراوح معدل كمية الامطار السنوية فيها مابين ٣٠٠ م و ٥٠٠ مم. وتعتبر هذه المنطقة منطقة استقرار اولى بالنسبة الى الشعير، وتقع مابين مدينة الحسكة جنوبا والمنطقة الاولى شمالا. وقد بلغت مساحة الاراضي المزروعة بعلا في هذه المنطقة خلال عام ١٩٨٣، ٤٢٧٤٠٥ هكتارات.

٣-منطقة الاستقرار الزراعي الثالثة: معدل امطارها السنوية مابين ٢٠٠ مم و ٣٠٠ مم، وتقع جنوب منطقة الحسكة. نسبة نجاح الزراعة البعلية فيها هي من سنة الى سنتين كل ثلاث سنوات. وقد بلغت مساحة الاراضي المزروعة بعلا في هذه المنطقة خلال عام ١٩٨٣، ١٦٥٥٤٦ هكتارا.

٤-منطقة الاستقرار الزراعي الرابعة: معدل امطارها السنوية هو دون ٢٠٠ مم، وتقع جنوب شرق المحافظة –محافظة الحسكة- بلغت مساحة الاراضي المنطقة خلال عام ١٩٨٣، ٢٩٨٦١٧ هكتارا. اما الزراعة المروية فهي من السدود السطحية في منطقة الجزيرة بهدف تخزين مياه الامطار التي كانت تذهب هدرا، من هذه السدود: (أ-سد وشبكة تل المغاص على الخابور ب-سد كريمة يختزن ١,٩ مليون م^3. ج-سد باب الحديد بالقرب من ديريك، طاقته التخزينية ٢٣ مليون م^3. د-سد جل آغا (الجوادية) طاقته التخزينية ٨ ملايين م^3. هـ-سد المعشوق، طاقته التخزينية ٢,٢٢٥ مليون م^3. ح-سد الجراحي، يقع على وادي الجراح في ناحية تربة سيبي، طاقته التخزينية ٢١,٥ مليون م^3)[٢٤]. اهم المحاصيل المروية هي: القمح، القطن، الخضروات الصيفية. ومن الملاحظ ان نسبة هذه الزراعة قد تراجعت الى حد كبير. بفعل اسباب عديدة منها:

التدخـلات الادارية المعرقلـة، الى جانب النقص الحاد في نسبة المياه الجوفية نتيجة قلة الامطار في السنوات الاخيرة، ومشـاريع تركيا المائيـة الضخمة في المنطقة المجاورة للحدود، فقد ادت هذه المشاريع الى جفاف نهر الخابـور، وقبله نهر جغجـغ، بالاضافة الى العديد من الينابيع في منطقة سري كانيي «رأس العين»[٢٥].

لايختلف الوضع الزراعي في منطقة كوباني كثيرا عما هـو عليه الحـال في منطقة الجزيـرة، لكن المحصول الاساسـي هناك هو الشـعير وليس القمح. في حين ان المسـاحة المزروعة بالاشجار المثمرة هي اكبر قياسا الى المسـاحات المخصصة لها في منطقـة الجزيرة. تعتمد المزروعـات هناك هي الاخـرى في معظمها على مياه الامطـار. اما المروية منها فهـي تعتمد على مياه نهر الفـرات، وعلـى المياه الجوفية ايضـا. هذا في حين ان منـاخ المنطقـة اكثر اعتـدالا في فصـل الصيف. اما منطقـة عفريـن ذات الطبيعة الجبليـة- الهضابية. فانها تشتهر بالزيتون بصورة اساسية، خاصة مايعرف بالزيتـون الكردي، وكذلك الزيـت الكردي. الى جانب ذلك هناك الكروم، والمشمش، والفستق الحلبي، وبقية الاشجار المثمرة، ولكن بنسب اقل. كما تزرع في المنطقة المحاصيل الاخرى مثل العـدس، والحمص، والحبوب، ولكـن ضمـن مسـاحات محـدودة، هـذا الى جانب الخضروات سواء الصيفية منها او الشتوية.

وفيما يخص الثروة الحيوانية، فقد تراجعت في المناطق الكرديـة الى حـد كبير، بفعل تقلـص المراعي، وذلك نتيجـة الزحـف الزراعي، وارتفـاع تكاليف الاعلاف الناجمة بصورة اساسية عن ضعف المؤسسات المسؤولة عنهـا، والفسـاد المستشـري في هذه الاخـيرة، وتدني مسـتوى العناية البيطرية بالمواشـي، الامر الذي ادى بالعديد من اصحـاب هذه الاخيرة الى بيعها، والتوجه نحو المدن املا في ظروف معيشية افضل. ويمكن القول في هذا المجال انه لايوجد اليوم بين الكرد في كردستان –سـورية من يعتمد بصورة مطلقة في معيشته على المواشـي، بمعنى ان نمط الانتـاج الرعوي لم يعد له اي وجود حقيقـي، كل مافي الامر هو ان الفلاح الذي يمتلك قطعة من الارض، او يعمل فيها، يربي الى جانب ذلك عـددا من الاغنام او الابقـار، يرعاها بطريقته الخاصـة. اما القطعات الكبيرة التي كانت تعد بالمئات، فقد اصبح وجودها اندر من النادر (يمكن مشـاهدتها في بعـض انحاء منطقـة ديريك). ولكـن في المقابل، برزت ظاهرة جديدة تتمثل في تربية الخرفان بقصد تسمينها خلال فترة محدودة، ومن ثم بيعها الى سوق اللحـوم في الداخل. ولعله من الطبيعي ان يترتب على هذا التراجع الذي شـهدته الثـروة الحيوانية، تراجع ملمـوس في انتاج الحليب ومشـتقاته، خاصة الجبنة البلدية التي كانت المناطق الكردية تشـتهر بها، وذلك في ظل واقع عدم وجود، او ضعف الشركات التي تنتج الاجبان والالبان بطرق حديثة صحية.

اما القطاع الصناعي، فهو يفتقر –كما اشـرنا الى ذلك في موضع سـابق- الى المصانع الحقيقية، كل ما هنالك مشاغل حرفية، وورشـات فنية لصنع وصيانة بعض الاوائـل الزراعيـة كالمحاريث والمقطـورات، وترميم السيارات القديمة. هناك مصنع للكونسروة في مدينة الحسـكة، يتعرض بين الحين والآخـر للاعطال. كما يوجد في المدينة ذاتها محلج للقطن. بالاضافة الى معمل القرميد في قرية صفية القريبة من الحسكة. وهناك وحدات لصناعة البسـط والسـجاد. من جهة، اخرى توجد في منطقة الجزيرة حقول نفطية شـهيرة مثل الرميلان، وقره جوخ، والجبسـة، بالاضافة الى حقول منطقة الهول الحديثة نسـبيا. يعمل في هذه الحقول العديد من المهندسـين والعمال مـن ابناء المنطقة، الى جانـب اعـداد كبيرة من الداخل. في حـين ان الادارة الرئيسـة والمراكز الحساسـة هي بيد ابناء المحافظات الاخـرى، والادارة بصـورة عامة لاتسـير كما ينبغي. والجدير بالذكر هنا ان هذه الحقول النفطية تتسبب –نتيجة عـدم الالتزام بالقواعـد الصحية المنصوص عليهـا في القوانين- في انتشـار العديـد من الامراض المزمنة سـواء بين العاملين، او بين السكان المحيطين

بمنطقــة الانتاج. وهذه المشـكلة تتفاقم باسـتمرار، ويبدو انه حتى الآن لاتوجد نية لمعالجتها، وذلك من خـلال وضع حد لافاقها الخطيرة التي تنعكس سـلبا على الفرد والمجتمع.

اما مشـكلة البطالة، فهي متروكـة للمبادرات الخاصة لسـكان المنطقة الذيـن يقدمون على فتح الورشـات الخاصـة، او المحلات التجاريـة، بامكانياتهم الذاتية، وذلـك على الرغم مـن مختلف الاجـراءات الادارية التـي تعقد الوضع، وتنهك المنتجين، خاصة ما يتصل بضـرورة دفع ما من شـأنه تسـهيل الحصـول على الرخصة المطلوبة. نسـبة العمال في القطاع الصناعي بين الكرد لاتتجاوز –حسب التقديرات- ١٥٪ من القوة العاملة، اما النشـاط التجاري في المناطق الكردية فهو يعد تابعا لمثيله في الداخل، اذ ان تجار الجملة في المناطق الكردية لايستوردون السلع من الخارج، وذلك لصعوبة ام لم نقل اسـتحالة حصولهـم على اجازات التصدير والاسـتيراد –على الرغم من موقعهم التجاري المميز المحـاذي لحدود كل من تركيا والعراق- لذلك يتعامل هؤلاء مع تجار الجملة في الداخل خاصة حلب ودمشق، ومن ثم يبيعون السـلع لاصحاب المحلات التجارية في المناطـق الكردية الذين يدفعون بموجب هذه العملية فائـدة لكل من تاجر الجملة الاول والثاني، ليأتي بعد ذلك المستهلك ويدفع للجميع، وهذا ما يؤدي الى ارتفاع اسعار السـلع بصورة حادة، وذلك قياسا بما هو عليه الحال في المناطق الداخلية. كما ان هذه الاسعار خاضعة للتقلبات التـي تحدث في السـوق الداخلية، توجد في المناطق الكردية جميع وانواع المحلات التجارية، مثل محلات: المواد الغذائية، والاقمشـة، والمـواد المنزلية، وقطع تبديل الاوائل الزراعية والسيارات.. الخ.

الى جانـب القطاع الخاص، هناك قطـاع الدولة الذي يحتكـر الى حد كبـير تجارة المواد الاساسـية. فهناك مديريـة التموين والتجـارة الداخليـة التي تتحكم ببيـع المـواد الغذائية الرئيسـة، وتقوم بـدور تاجر الجملـة والمفرق في الوقـت ذاته من خـلال فروعها المنتشـرة في جميع المدن والبلدان تقريبا. كما توجد مؤسسـة العمران التـي تحتكر الى حـد بعيد تجارة مواد البناء، هذا بالاضافة الى المؤسسـة العامة لتجارة الادوية، ومديرية صوامع الحبوب، ومؤسسات المطاحن والمحروقات والاعلاف.. الخ. ومن الملاحظ ان الرقابة الصحية على المواد الغذائيـة ضعيفة للغاية، فالعديد من المواد الغذائيـة تدخل في تركيبها المواد الملونة، او الحافظـة المثيرة للجدل، بل ان الكثـير من تلك المواد مشكوك في مدة صلاحيتها، على الرغم مما هو مسجل على العلبة. وما يدعم هذه الشـكوك هو ارتفاع نسبة العديـد من الامراض بين المواطنين، خاصة الشـباب منهم، الامر الذي لـم يكن معهودا من قبل. من هذه الامراض السـرطانات بانواعها، والجلطـة الدماغية، وامـراض القلب، السـكري. الى جانب امـراض الكبد الانتانية منهـا والوبائية. ومن الملاحظ في هذا المجال ان نسـبة هذه الامراض مرتفعة الى حد لافت للنظر في منطقتي الجزيرة، وكوبانـي، وذلك مقارنة بواقع منطقـة عفرين، حيـث ان الاهالي هنـاك يتناولون بصورة اساسـية زيت الزيوت الذي يتم اسـتخراجه وتصفيتـه في معاصر المنطقة، مما يؤكد مشـروعية الشـكوك المشار اليها. لكن الذي يستحوذ على الاهتمام اكثر من غيره، هو ان الاجهزة الصحية لاتبذل الجهود المطلوبة في سـبيل معالجة هذا الوضع. فاقل مايمكن ان تفعلـه هو ان تدعو الى مؤتمر طبي يشـارك فيه الاطباء من الجامعات السورية، واطباء المنطقة. وحتى اطباء مـن الخارج من ذوي الاختصاصات في الامراض المنتشـرة في المنطقـة، وذلك بغية تشـخيص الوضع بصورة دقيقة، واقتراح الحلول المناسبة..

امـا فيما يتصل بقطاع الخدمـات في المناطق الكردية فمن الملاحظ انـه ضعيف على وجـه العموم. وذلك يعود الى عوامل عدة منها:

١-ضعف الحركة السياحية في المنطقة: وهذا امر ناجم عن سياسة الحكومة المتبعة ازاء تلك المناطق، ويتجلى هـذا عـبر منحيين متضايفـين. الاول يتشـخص في

الاهمال المقصود لها، وضعف ان لم نقل انعدام ابسط المرافق الضرورية التي من شأنها تقديم الخدمات للسياح، مثل المطاعم والفنادق والمسابح، بالاضافة الى المواصلات المقبولة نسبيا، فضلا عن الاعتناء بالاماكن السياحية نفسها، وتزويدها بوسائط الاتصال وادلاء السياحيين المؤهلين اكاديميا. والمناطق الكردية غنية بالاماكن السياحية التي من شأنها جذب السياح على اختلاف توجهاتهم، خاصة اولئك الذين يبحثون في علوم الحضارات القديمة، وحتى اولئك الذين ينشدون دفء الشمس وجمالية المكان. ففي منطقة الجزيرة يوجد على سبيل المثال تل حلف الذي يبعد عن سري كانيي «رأس العين» حوالي ٢ كم من جهة الغرب. وهو تل اثري يجسد طورا هاما من اطوار تاريخ الشرق الادنى القديم، تتوزع آثاره بين معظم المتاحف العالمية. من اوائل الذين نقبوا فيه المستشرق الالماني ماكس فون اوبنهايم وذلك منذ عام ١٨٩٩، واستمر على فترات متقطعة حتى عام ١١٩٤٠. ثم تابع التنقيب فيه الباحث الالماني انطون مورتكات. وفي منطقة سري كانيي نفسها توجد منابع نهر الخابور، وفي مقدمتها نبع الكبريت الشهير.

وفي منطقة عامودة هناك كري موزا «تل موزان» الذي بدا التنقيب فيه باشراف مارتين بوجلاتي منذ عام ١٩٨٥، وقد تم اكتشاف آثار ميتانية في التل. ويعتقد ان هذا التل يضم موقع مدينة اور كيش القديمة. وما يأمله الباحثون هو ان تلقي حصيلة التنقيب في هذا التل مستقبلا المزيد من الاضواء على تاريخ المنطقة، وتميط اللثام عن العديد مما كان يعتبر سابقا في عداد المجهول، كما تضم منطقة عامودة كري جاغر «جاغر بازار- حطين» حيث تم العثور على آثار تعود الى الالف الرابع قبل الميلاد، ويضم متحفا حلب ودمشق الكثير مما تم اكتشافه في هذا التل، في حين ان العديد من آثاره قد وصلت بطرق شتى الى المتاحف الامريكية والاوربية. والجدير بالذكر ان التنقيب بدأ في هذا التل في الثلاثينات باشراف العالم الاثري ماكس مالاوات زوج الكاتبة الشهيرة أغاثا كريستي في ذلك الحين، وقد سجلت هذه الاخيرة مذكراتها حول زيارتها الى المنطقة واستقرارها فيها بعض الوقت في اطار كتاب[٢٦]. ترجمة توفيق الحسيني الى العربية قبل سنوات تحت عنوان «هكذا احيا». هذا بالاضافة الى تل بري قرب قامشلي، وتل فخرية قرب سري كانيي. كما انه يعتقد ان مدينة كاخت الحورية التي لم يعثر عليها بعد، تقع في مكان ما ضمن دائرة مدينة القامشلي والمنطقة المحيطة بها وفي المنطقة نفسها توجد قرية عين القرد الشعيرة التي يتهافت تجار الآثار على شراء مايعثر عليه في محيطها من لقى قديمة. كما يوجد تل براك، وهو تل اثري قديم. يمتد تاريخه الى ماقبل المرحلة الاكادية. بدأ التنقيب فيه مالاوان منذ عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٣٩، واكتشف فيه بقايل معبد سمي بمعبد العيون، ويعود تاريخه الى عهد جمدة نصر ٣١٠٠-٢٢٩٠ ق. م، ثم تابعت التنقيب بعثه بريطانية تابعة لجامعة لندن باشراف دايد وكس عام ١٩٧٩، وقد اكتشفت هذه البعثة مجموعة من الرقم المسمارية التي تلقي الضوء على محاولات الانسان الاولى في ميدان الكتابة. اما البعثة الامريكية التي بدأت التنقيب في تل ليلان الى الجنوب من تربة سيبي حوالي ١٤ كم عام ١٩٧٨، فقد اكتشفت مدينة قديمة، يعتقد رئيس البعثة انها مدينة شوبات انليل، عاصمة الملك الآشوري «شمشي ادد» الذي استخدمها بصورة مؤقتة. وفي منطقة ديريك يوجد نهر دجلة الوارد ذكره في الرقم المسمارية القديمة التي تتناول احداث المنطقة في العصور الغابرة. كما ورد ذكره في التوراة نفسها، الامر الذي يؤكد حيوية واهمية دور المنطقة منذ القديم. ويمر هذا النهر في منطقة اخاذة يلتقي فيها الجبل مع السهل، عبر هضاب تضفي سحرا خاصا على المكان الجميل اصلا. وما زال الجسر المسمي بالجسر الروماني الذي يسمى بالكردية برا بافر. القائم على دجلة، شاهدا يروي تاريخ المنطقة عبر العصور. ويعتقد ان تاريخ هذا الجسر يعود الى

مرحلة زمنية اقدم من المرحلة الرومانية، ربما الى الالف الاول قبل الميلاد، اذ كان يستخدم كممر للطرق التي كانت تربط بين نينوى والاناضول. والمنطقة على العموم مليئة بالتلال الاثرية التي تلقي السلام من مختلف الجهات، وهي تنتظر بعثات المنقبين كي تكشف عن خفايا وخبايا تاريخ المنطقة.

اما منطقة كوباني فهي محاذية للفرات، هذا النهر الخالد الذي ارتبط اسمه باحداث كبرى في التاريخ القديم، ويردد اسمه كثيرا في محاضر جلسات قاسمي كردستان، وذلك خلال المفاوضات والمداولات التي جرت قبل وبعد الحرب العالمية الاولى على وجه التحديد.

اما منطقة عفرين، فهي تجمع بين الجمال الطبيعي والاهمية التاريخية، انها ارض الهضاب والجبال واشجار الزيتون، فضلا عن الانهار والينابيع، كما انها تضم في الوقت ذاته عددا من الاماكن الاثرية القديمة التي تتحدث عن بدايات الانسان في المنطقة والمراحل التي اعقبت ذلك..

يتبين مما تقدم ان المناطق الكردية مؤهلة بجدراة ان تكون مزارا للسياح من مختلف بقاع الارض، لكن الاهمال المقصود يمثل –كما اسلفنا- المنحى الاول الذي يعرقل حركة السياحة فيها، ونشير هنا على سبيل المثال الى عدم وجود متحف في منطقة الجزيرة، كان من شأنه ان يقدم نبذة عن تاريخ المنطقة العريق الذي يدرس في اشهر الجامعات الاوربية والامريكية.

اما المنحى الثاني، فيتجسد في عدم رغبة السلطات اصلا في فتح المنطقة امام السياح الاجانب انسجاما مع مبدأ «سد الذرائع» فهؤلاء اذا اتوا الى المنطقة سيطلعون على واقعها، وسيكشفون اوجه القصور والتمايز فيها. كما انهم سيلتقون مع السكان، الامر الذي سيمكنهم من التعرف الى واقع معاناتهم عن قرب، وهذه جميعها امور لا تنسجم مع المبادئ الاولى للسياسة المتبعة ازاء المناطق الكردية. كما ان نبش تاريخ المنطقة، خاصة القديم منه، امر غير مستساغ، لانه سيؤدي بطبيعة الحال الى تقديم الادلة الدامغة التي لاتنسجم مع توجهات ورغبات المسؤولين عن الملف الكردي في السياسة السورية.

٢-التقاليد الاجتماعية: وهي تعد العامل الثاني الذي يحد من تقدم قطاع الخدمات في المناطق الكردية. وما نعنيه بذلك في هذا المجال، هو ان الناس في المناطق المعنية ما زالوا –وان الصورة قد تغيرت الى حد ما اليوم- يحبذون استقبال الضيف في المنزل حيث المبيت والطعام، وهذا ماادى الى عدم اقدام القطاع الخاص على انشاء الفنادق والمطاعم الكبيرة، خاصة في المدن الصغيرة، اما مدن القامشلي والحسكة وعفرين فالامور فيها نسبيا افضل من غيرها.

٣-ضعف القوة الشرائية لدى السكان: وهذا العامل بجد ذاته هو نتيجة لطبيعة الامور في المناطق الكردية نفسها حيث انتشار البطالة، والاعتماد الاساسي على القطاع الزراعي الذي يجسد المحور الذي يتمفصل عليه النشاط الاقتصادي العام في مجمل المناطق الكردية. لذلك نلاحظ ان اغلب السكان يمتلكون دخلا ثابتا على مدار السنة، وهذا مؤداه عدم قدرة الناس العاديين على ارتياد المرافق الخدمية او الترفيهية فيما لو وجدت. ومايترتب على ذلك هو احجام القطاع الخاص عن التفكير في انشاء مثل تلك المرافق في المناطق المعنية، نظرا لعدم جدواها الاقتصادي بالنسبة اليه، مما ادى من ناحيته الى توجه اصحاب الامكانيات نحو مناطق الداخل والساحل، حيث ينفقون هناك القسم الاكبر من حصيلة المواسم، ليعودوا الى مناطقهم انتظارا للمواسم القادمة. ولعله من المناسب ان نشير هنا الى ان هذه الظاهرة الاخيرة تسهم بصورة سافرة في تبديد الثروة وهدرها، مع ان الحاجة الى الادخار والاستثمار على الصعيد الخاص هي على اشدها في المناطق الكردية في ظل الاهمال المبرمج.

التعليم:

تعاني عملية التعليم في المناطق الكردية بصورة عامة من ثغرات كبيرة تتمظهر باشكال مختلفة، اهمها: النقص الحاد في عدد المدرسين المختصين.

تدني مستوى المختبرات والاجهزة العلمية خاصة في الثانويات. عدم الاهتمام بدروس الرياضة والفنون والموسيقى، اذ تعطى ساعات هذه المواد للاداريين غير المختصين الذين ليس في مقدورهم تدريسها، او انهم لايدرسونها من حيث الاساس. انتشار مدارس المعلم الوحيد الابتدائية في الريف، حيث يقوم معلم واحد بتدريس ستة صفوف. عدم وجود المدارس الابتدائية في الكثير من القرى، الامر الذي يجبر التلاميذ على المشي مسافات طويلة بالنسبة لاعمارهم في مختلف الظروف المناخية، وتحتمل وحل الطرقات الزراعية شتاء للوصول الى مدارسهم التي تكون غالبا في حالة يرثى لها، بدءا من البناء الطيني المتداعي، مرورا بالمقاعد المهترئة، وانتهاء بعدم توفر وسائل الايضاح، وقلة خبرة المعلم نظرا للنقص الحاد في عدد المعلمين المؤهلين تربويا.

وعلى الرغم من قانون الزامية التعليم المطبق في جميع انحاء سورية، يلاحظ انه لاتوجد متابعة دقيقة للمتسربين من المدارس، خاصة الاناث. الا انه على الرغم من جميع هذه السلبيات وغيرها نرى ان نسبة المداومين في المدارس –قياسا الى عدد الاطفال في سن المدرسة- مرتفعة تصل الى حدود ٩٥٪ في المرحلة الابتدائية، وحوالي ٧٠٪ في المرحلة الاعدادية، في حين انها تهبط الى حدود ٦٠٪ وربما اقل في المرحلة الثانوية، وذلك نتيجة العراقيل الاخيرة التي اقامتها وزارة التربية في وجه الطلبة، ويشار هنا الى شرطي الدرجة والعمر في الوقت ذاته، بحجة ان هؤلاء ليست في مقدورهم متابعة الدراسة الثانوية نتيجة تدني مستواهم العلمي، وكبر سنهم، فيوجه هؤلاء الى التعليم الفني الذي لايقدم في واقعه الحالي اية معرفة للطلبة. خاصة في الجانب العملي التطبيقي، وهذا حصيلته شل طاقات الشباب، وتسليمهم الى المصير المجهول، وهذه ظاهرة تذكرنا بنصائح محمد طلب طلال التي دعا بموجبها الى اتباع سياسة التجهيل بين الكرد، اي عدم انشاء مدارس او معاهد علمية في المنطقة –منطقة الجزيرة- لان هذا اثبت عكس المطلوب بشكل صارخ[٣٧].

فعلى الرغم من ان التعليم بمجمله هو باللغة العربية، واللغة الكردية غير معترف بها ابدا في البلاد، بل ان الدستور السوري لايعترف –كما اسلفنا في موضع آخر من هذا البحث- بوجود غير العرب في سورية، اي انه لايعترف رسميا بوجود الشعب الكردي في سورية، على الرغم من كل ماتقدم، الا انه يلاحظ ان المسؤولين عن الملف الكردي في السلطات السورية شعروا بان سلاح المعرفة قد اكسب الكرد السوريين خبرة يتميزون بها، تمكنهم من عرض مشكلتهم بالمنطق والحجة والبرهان. كما ان ارتفاع نسبة المعرفة والمتعلمين بين الكرد ادى ويؤدي باستمرار الى تجاوز الخلافات العميقة في الصف الكردي، والانطلاق من مناقشة المسألة الكردية ومستجدات العصر وتوجهاته. فاقبال الكرد على التعلم قد مكنهم من الاطلاع على اوضاع المجتمعات الانسانية الاخرى، سواء القريبة منهم او البعيدة، مما دفع بهم الى المقارنة بين تلك الاوضاع وواقعهم الخاص، وهذا مادفعهم بصورة ملحوظة نحو التمسك بهويتهم القومية، والدعوة الى المساواة من خلال رفع الغبن والاعتراف بالحقوق، كل ذلك استنادا الى الاسس والمعطيات التاريخية والحقوقية التي لايمكن دحضها، او تجاوزها، الا من قبل اولئك الذين اصروا عن قصد على التمسك بكل ماهو خاطئ.

تفتقر المناطق الكردية الى العدد الكافي من معاهد اعداد المعلمين والمدرسين التي كان من شأنها تغطية حاجاتها من الملاك التعليمي. في مدينة القامشلي يوجد معهد واحد للمعلمين، وآخر في مدينة الحسكة، بالاضافة الى المعاهد المتوسطة للمدرسين في كل من الحسكة والقامشلي. الاعداد التي تقبل في هذه المعاهد محدودة للغاية، وفي نهاية كل عام دراسي هناك مسلسل باتت حلقاته مألوفة لدى الجميع، اذ يتم فصل العديد من الطلبة بعد ان يكونوا قد انهوا عامهم الدراسي الاول، وذلك بناء على عدم موافقة الاجهزة

الامنيـــة والحزبية على قبولهم في المعاهد المذكورة[٢٨]، وبذلك يمنع هؤلاء من فرصة العمل التي توفرها لهم للدراسة في هذه المعاهد، وذلك بموجب الانظمة المتبعة القاضية بإلتزام الدولة بتعيين خريجي معاهد اعداد المعلمين والمدرسين نظرا للحاجة الماسة اليهم.

ومـــع كل عملية فصل يـــزداد الاحباط لدى الناس في المناطق الكردية، ويغلب التشـــاؤم علـــى الوضع.. لكن ارداة التوجـــه نحو العلم والمعرفـــة لاتخبو، بل تزداد ثباتـــا. الكليات الجامعية لاوجود لها في جميع المناطق الكرديـــة، الأمر الذي يجبر ابناء وبنـــات تلك المناطق ممن يرغبون في متابعة دراستهم الى السفر الى دمشق وحلب وحمص واللاذقية ودير الزور، على الرغم من جملة الصعوبات المعيشـــية التي يعانون منها. وفي هذه المدن يضطر هؤلاء الى البحث عن الســـكن الغالي الذي يفتقر بطبيعة الحال الى الشروط الصحية الضرورية، وتحتمل كل المصاعب في ســـبيل تأمين فرصة الدراسة في الجامعة. والجدير بالذكر هنا ان شـــروط القبول في الجامعات، وانظمة المفاضلة ليست في صالح ابناء المناطق الكردية، ســـواء من جهة معدل الدرجات المطلوبة، او من جهة النسبة المخصصة لمناطقهم في الكليات العلمية، خاصة الطب، وطب الاســـنان، والصيدلة، والهندســـة. بالاضافة الى ذلك، تمثل الامتيازات التي يحصل عليها اولئك الذين شـــاركوا في دورات شبيبة الثورة او حزب البعث عبئا اضافيا على كاهل الطلبة الكرد، اذ ان هؤلاء يسدون عليهم بمعدلاتهم غير المقبولة فرصة القبول في الفـــروع التي يرغبون فيها، وذلك بعد ان يكون قد تمـــت التغطية على حصة مناطقهم من قبل اصحاب الدرجات الشبيبية. ولكن مع ذلك يبذل الطلبة الكرد المســـتحيل من خلال الدراســـة في ســـبيل الوصول الى فروع مقبولة نســـبيا، وغالبا مايكون البحث عن فرع يمكن للمتخرج منه ان يعمل بعيدا عن اطار الوظيفة ومتطلباتها الادراية، خاصة موافقات الاجهزة الامنية، ولكن مع ذلك يظل قســـم كبير مـــن الطلبة الكرد في الفروع النظرية والعلمية يتابعون دراســـتهم من دون ان تبـــدو في الافق اية مؤشـــرات من شـــأنها طمأنتهم بخصوص مستقبلهم.

ليـــس للكرد علـــى الاطـــلاق اي نصيـــب في البعثات الحكومية ســـواء الداخلية منهـــا او الخارجية، واذا ما تمكـــن احدهم بمعجزة ما مـــن الحصول على فرصة كهـــذه، فهذا معناه انه قد دبر نفســـه بطريقة ما مع الاجهزة الامنية التي لها الكلام الفصل في مسألة ايفاد الطلبة، في حين ان رأي اللجان الاكاديمية يظل مجرد اقتراح لا اكثر ولا اقل. والجدير بالاشـــارة اليه في هذا الســـياق، هو ان لم يعد واردا في يومنا الراهن التفكير في الحصول على منح دراســـية من الاتحاد السوفييتي الســـابق، او من دول اوربا الشرقية، وذلك بفعل تبدل الاوضـــاع هناك، اذ بات على الطالب ان يدفع اقســـاطا مرتفعة جدا، لايســـتطيع اي كان ان يتحملها. في حين ان الطلبة الكـــرد كانوا يحصلـــون فيما مضى بطرق غير مباشـــرة على المنح الدراسية من خلال الاحزاب الشـــيوعية والفصائل الفلســـطينية. ولجان الصداقة، فضلا عـــن الاتصـــالات الخاصة، بمعنى انـــه لم يكن هناك اعتراف رســـمي من قبل تلـــك الدول بالاحزاب الكردية في سورية، وذلك مراعاة لمصالحها مع الحكومة السورية وبقية الدول العربية. الا انه مع ذلك ينبغي الاعتراف بان تلك المنح قد هيأت لابناء الشعب الكردي في ســـورية العديد من الكوادر الحاصلة على الدرجات الاكاديميـــة العليا، الامر الذي اثر بصورة مباشـــرة في الحيـــاة الثقافية للمجتمع الكردي في ســـورية، وترك بصمات واضحة فيهـــا. كما انها دفعت بالجيل الجديد نحـــو الاقتداء بتلـــك الكوادر من خـــلال الاقبال على المزيد من العلم، ايمانا من الجميع بانه لابدل عن هذا الاخير لشعبنا اذا اراد ان يدفع بقضيته نحو آفاق اكثر رقيا، تستجيب لتحديات العصر.

الوضع الثقافي

لايعترف على الصعيد الرسمي بالثقافة الكردية، بل هي محاربة في الواقع. فطباعة الكتب الكردية، ونشـــرها، بالاضافة الى التعليم واصدار جرائد او مجلات باللغة

الكردية، هــي كلها امور تدخل في دائــرة الممنوعات، الامر الــذي يؤثر ســلبا على اللغة ذاتهــا، ويحد من تطورها، واغتنائها، ســواء على مســتوى المصطلح، او التعبير.

فالمؤلــف الذي يكتب بالكردية يجــد صعوبة جمة في اخراج كتابه الى حيز الوجود. كما انه يواجه مشقات اكبر في ايجاد العدد الكافي من القراء الذين في مقدورهم اقتنــاء الكتاب، والاطــلاع عليه، فضلا عــن تحليله ونقده. لذلك تقل نسبة المؤلفين الكرد الذين يكتبون بلغتهم بين كرد ســورية بالمقارنة مــع اولئك الذين يكتبون بالعربية، هذا على الرغم من انه في الســنين الاخيرة ازداد عدد من توجهوا الى الكتابة بالكردية في مجالات الشعر، والقصة القصيرة، والرواية، والقواعد، وقصص الاطفال. اما المجالات الاخرى، السياسية منها والتاريخيــة على وجه التحديــد، فهي ما تزال بعيدة عن التناول باللغة الكردية، سوى مايكتب في الصحافة الحزبية الممنوعة في الاساس من النشر والتدوال. ولعل مايفســر جانبا مــن هذه الظاهرة يتمثل في سياســة غض النظر النسبية التي اتبعت في الفترة الاخيرة ازاء الانتاج الادبي الكردي البعيد عن السياسة، في حين ان الكتب التاريخية، والجغرافية، والسياسية، والفلسفية، باللغة الكرديــة، وحتى بالعربيــة، خاصة تلك التي تتنــاول الهم الكــردي في المرحلة المعاصــرة ممنوعة بصرامة تســتدعي الانتباه. وما نشــر هنا وهناك في ســورية من كتابات تتحدث عن الشــعب الكردي، هي في غالبية كتابات تنســجم مع وجهة النظر الســورية الرســمية التي تؤكد عدم وجود كردستان، بل حتى كرد في ســورية، وهذا مؤداه وفق ما تذهب اليه عدم وجود مشكلة كردية في سورية[٢٩].

يتــوزع المثقفون الكرد في كردســتان ســورية بصورة عامــة بين مجموعتين: المجموعــة التي تكتب باللغة العربيــة، وتلــك التي تكتــب باللغــة الكردية. وبين هاتين المجموعتين تبرز ثالثة فرعية، يكتب اعضاؤها بالعربية والكردية، وينشــرون نتاجهم باللغتين هنا وهناك.

في اطار المجموعــة الاولى، توجــد مجموعات فرعية، نستطيع تحديدها اســتنادا الى معايير مختلفة، فعلى صعيد الاختصاص توجد المجموعات التي تناول الشعر، والقصة، والرواية، والدراســات التاريخية، والفلسفة، والتراث، والدين، والموســيقا.. الــخ. اما اذا اخذنا الهم القومي بعين الاعتبار، فسنجد ان هذه المجموعة تضم اثنتــين فرعيتين، مجموعة اولئــك الذين يعبرون في نتاجهم عن همهم وهم شعبهم القومي في المقام الاول، لكنهم يكتبون باللغــة العربية. في حين ان المجموعة الثانيــة في هــذا المجال تضــم اولئــك المثقفين الكرد الباحثين من حيث الانتمــاء القومي، لكنهم يكتبون ادبــا، او يقدمون نتاجا اكاديميا عاما، يمكن للمجتمع الكردي ان يســتفيد منه في اطار الاطلاع والاستيعاب، لكنه نتاج عربي مكتوب بلغة عربية.

اما المجموعــة الثانية الاصلية اذا صــح التعبير، فهي التي قررت عن قناعة بذل الجهود في ســبيل الحفاظ علــى اللغة الكرديــة، والعمل علــى اغنائها بالمفردات والمصطلحــات الجديدة، والتواصل مــع الجيل الجديد كي يحافظ على لغته التي تحارب بمختلف الوســائل. فالمدرســة تعلم باللغة العربية، والاذاعة والتلفزيون يبثــان بالعربية، والصحف والمجلات جميعا بالعربية، وحتــى الحديث مــع الموظف الكردي لابــد ان يكون بالعربية. دور النشــر تطبع الكتــب العربية. المثقف الكردي الذي برز اسمه على مستوى سورية ككل لابد ان يكــون قد قطــع، او اخفى على الاقــل، في البداية علاقته مع تراثه وحتى شــعبه على المستوى الثقافي، والا فالعراقيل كثيرة، والاحباطــات لاحصر لهما. اما اذا اصر المثقف على انتمائه، فما عليه ســوى الانزواء في صومعتــه، وتحمل تبعات عمله بين الحين والآخر، او عليــه الرحيل الى المنافي، حيث يرفع الحجر الثقيل المكبــوت المحبــوس، ويقطع على نفســه على الاغلب طريق العودة حتى اشعار اخر.

تطبع حاليا في ســورية، وتنشــر مجموعة من الكتب

الكردية، سواء ما يكتب باللغة الكردية او بالعربية، وهي على العموم كتب ادبية، تاريخية، لاتتناول مراحل القضية الكردية الحديثة او المعاصرة. كما انهاكتب لاتتملك اية حصانة قانونية، اذ انها تظهر من دون ترخيص بالطبع او التداول، مما يعرضها لخطر المصادرة وملاحقة المؤلفين القائمين بالنشر. لكنها تترك هكذا، فهي تخفف من الضغط النفسي لدى الكرد، وتمثل وسيلة دعائية يمكن تسويقها لدى الحاجة. لكنها في جميع الاحوال خطوة جيدة تخدم الثقافة الكردية، والمجتمع السوري بصورة عامة. اذ تؤكد اهمية التعايش والتفاعل المشترك في اطار التعددية الثقافية التي تعد في ذاتها ميزة ايجابية في حال استيعابها، والتعامل معها باسلوب ديمقراطي في صالح الجميع. وقد توقف العديد من المثقفين السوريين العرب امام النكهة الخاصة التي تعبر عنها كتابات ابناء المناطق الكردية، لكن هؤلاء، ولاسباب تتصل بالسياسة الموجهة نحو الكرد، لم يتمكنوا من تجاوز عبارات الاستحسان والجاملة، ما عدا نفرا قليلا ممن ادمنوا المغامرة النبيلة.

اما المؤسسات الثقافية في المناطق الكردية فهي على غاية الضعف، بل هي شبه مشلولة ان صح التعبير. المراكز الثقافية في تلك المناطق –يحمل الواحد منها اسم المركز الثقافي العربي- مازالت تعتمد الاساليب البدائية في انظمة التصنيف والحفظ والتزويد. الكتب الحديثة نسبيا نادرا ما تدخل الى المكتبة، واذا ما دخلت فهي خاضعة لامزجة المعنيين ومقتضيات الرقابة. مدراء تلك المراكز لا علاقة لهم على الاغلب بالثقافة والمثقفين، تسلموا الادارة بناء على قرارات حزبية مشفعة بمباركات امنية. ومن الصعوبة بمكان ان تجد بينهم من كتب مقالا او القى محاضرة ثقافية. كما ان علاقاتهم مع المثقفين ليست على مايرام بوجه عام، وهذا مايتجسد في نشاطات المراكز المعنية التي تقتصر على اقامة المعارض المناسباتية، والمهرجانات الخطابية، وبعض الدورات التي كان من الاجدر ان تنظمها جمعيات مهنية متخصصة. اما المحاضرات البحثية التي تقدم هنا وهناك فهي خاضعة للضبط الشمولي من مختلف النواحي، واذا ماحدث اي تجاوز للخطوط، او اختراق للمألوف، فغالبا مايكون الثمن فقدان مدير المركز لموقعه، او عليه ان يقدم مايكفي من الضمانات التي تتعهد بان الذي حدث كان مجرد زلة لن تتكرر مستقبلا.

اما المسرح، فلا وجود له على الرغم من توفر الخامات الجيدة التي تحاول المستحيل من اجل التعبير عن طاقاتها، لكنها تقف في منتصف الطريق، لتوجه اهتمامها الى مجالات اخرى تحت وطأى البحث عن لقمة العيش كما لاتوجد في المناطق الكردية مراكز خاصة بالفنانين التشكيليين، على الرغم من وجود اسماء لامعة كثيرة، فرخت ذاتها بابداعها. ونشير هنا على سبيل المثال لا الحصر الى عمر حمدي وبضار عيسى وزهير حسيب، السينما غائبة عن الواقع على الرغم من وجود عدد من دور السينما[٣٠] لاتعرض فيها الافلام الجادة والحديثة، مما يجعل من هذه الاماكن بؤرا لتجمع المتسكعين والفساد الاجتماعي. اما دوائر البحوث بمختلف اختصاصاتها فهي من الاحلام البعيدة المنال بالنسبة للمناطق المعنية، وما يتوفر منها تحت هكذا اسماء، كمركز الابحاث الزراعية في هيمو، لايستوفي الشروط الاولية لاي مركز بحثي متواضع.

واقع البطالة والهجرة في المناطق الكردية

تعاني المناطق الكردية بصورة عامة من تفشي البطالة الى حد يدعو للتساؤل، وتتمثل الاسباب اولا في السياسة الحكومية المتبعة ازاء تلك المناطق، خاصة على صعيد عدم انشاء اية مشاريع اقتصادية كان من شأنها تأمين فرص العمل لاعداد كبيرة من الباحثين عنه. وما يجعلنا نؤكد اهمية خطوة كهذه هو كون الدولة في سورية هي المشرف الرئيس على الاقتصاد. كما ان قطاع الدولة مازال على الرغم من جميع الاجراءات التي اتخذت، والقوانين التي صدرت هو

القطاع المهيمن اقتصاديا. في حين ان العراقيل الادارية والامنية، والمنغصات اليومية، جميعها عوامل شكلت كوابح حقيقية حالت دون اقدام القطاع الخاص سواء بمبادرة من ابناء تلك المناطق، او من قبل اصحاب رؤوس الاموال من المناطق الاخرى، على اقامة المشاريع باشكالها المختلفة. لذلك نرى ان المناطق الكردية هي مجرد اطراف تخدم المركز الذي يتجسد في المناطق الداخلية، دمشق وحلب على وجه التحديد. تمده بالمواد الخام (النفط، القطن، الحبوب..)، وتستهلك في الوقت ذاته ماينتجه هذا المركز او يستورده وهو الاغلب. نسبة البطالة بين الذكور هي بين ٤٠-٦٠٪ هذا اذا اخذنا البطالة المقنعة بعين الاعتبار، في حين انها ترتفع بين الاناث لتبلغ مابين ٨٠-٩٠٪ هذه النسب تتفاوت بين منطقة واخرى، فهي ترتفع مثلا في منطقة الجزيرة بصورة ملحوظة، بفعل سياسة التمييز القومي المركز فيها. فهنالك مثلا الاحصاء، والاجراءات الاستثنائية، والفصل من المعاهد الدراسية، وعدم التوظيف. ومما هو جدير بالذكر هنا هو ان الوظيفة سواء في مجال التعليم، او الدوائر الاخرى، تظل الميدان الاكثر قدرة على امتصاص الاعداد الكبيرة من الشباب الباحث عن العمل. ونشير في هذا المجال الى ظاهرة كانت سائدة حتى وقت قريب، وقد تمثلت في كون غالبية موظفي محافظة الحسكة، خاصة في مركز المحافظة، من محافظة دير الزور الذين نزحوا الى المحافظة باعداد كبيرة، واستوطنوا فيها بتشجيع من الحكومة التي كانت ترمي من وراء ذلك الى زيادة عدد العرب في محافظة الحسكة. لذلك سلمتهم جميع الوظائف، بما في ذلك ادارة النواحي، والمراكز الادارية المهمة. وكان يتم التغاض باستمرار عن تجاوزاتهم التي انهكت المنطقة اقتصاديا من خلال الرشوة. هذه الصورة قد تبدلت اليوم الى حد ما نتيجة تراجع اهمية الوظيفة بفعل ضعف مردودها الاقتصادي. ولاسباب لامجال لشرحها الآن نلاحظ في وقتنا الراهن ان موظفين آخرين من مناطق اخرى اخذوا امكنة ابناء محافظة ديرالزور، واحتكروا لانفسهم الادارة الاساسية التي مازالت وستظل الى امد غير معلوم بعيدة عن متناول الكرد، مهما كانت مؤهلاتهم العلمية. لايوجد في سورية كلها محافظ واحد كردي من المناطق الكردية، او مدير شركة، او ادارة كبيرة، كما لايوجد في الجيش قائد كتيبة كردي، بغض النظر عما اذا كان هذا الكردي بعثيا ام لا. اما كرد دمشق فقد تسلم عدد منهم بعض الوظائف، ولكن ليس بصفتهم الكردية، وانما كان التعامل معهم بوصفهم جزءا من المجتمع الدمشقي، اي ان تعيينهم في بعض المراكز كان يندرج في اطار علاقة المركز مع الاطراف، الا ان هذه الظاهرة تراجعت في يومنا هذا الى حد كبير بفعل مستجدات كثيرة برزت على الساحة.

العلاقة بين المناطق الكردية في سورية

لم تنقطع العلاقة يوما بين المناطق الكردية الثلاث التي تشكل قوام كردستان سورية، ونعني بها مناطق: الجزيرة، كوباني، عفرين. وذلك على الرغم من الاوضاع الصعبة التي شهدتها منذ التقسيم القسري. فقد ادرك هؤلاء الرواد الاوائل للفكر القومي الكردي المعاصر ضرورة بناء العلاقات، والعمل المشترك، والانطلاق من الانتماء القومي الواحد. وهذا كان على مختلف المراحل. وقد تبلور هذا التوجه بصورة واضحة في الجهود التأسيسية للحزب الديمقراطي الكردستاني في سورية عام ١٩٥٧ اذ شارك فيها نخبة من ابناء المناطق الكردية الثلاث، بالاضافة الى ابناء التجمعين الكرديين الكبيرين في كل من دمشق وحلب[٣١]. وقد استمرت الاواصر تتشعب وتتعمق من خلال الطلبة في الجامعات، جامعة دمشق في البداية، ثم جامعة حلب التي احتضنت الطلبة الكرد باعداد كبيرة من جميع المناطق، ووحدت بينهم. كما ان جامعتي تشرين في اللاذقية، والبعث في حمص ادتا دور لا بأس به على صعيد الجمع بين الشباب الكردي من مختلف المناطق (هذه الوضعية تذكرنا بالدور الذي ادته الحجرة

الدينية على صعيد الجمع بين الشباب الكردي الراغب في المعرفة من جميع انحاء كردستان).
ومع مرور الوقت، بدأت العلاقات بين المناطق الكردية تتوثق اكثر فأكثر من خلال التجارة، خاصة بين الجزيرة وعفرين، اذ بدا اصحاب المحلات التجارية الكرد يتعاملون مع تجار الجملة الكرد في منطقة عفرين الذين استقروا في حلب. كما ان تجارة الزيت والزيتون ادت دورا لاينكر في هذا المجال وقد دفع ذلك بابناء الجزيرة الى التعرف عن كثب على واقع المنطقة وزيارة مدنها وقراها، الامر الذي مهد الطريق امام الزواج بين الطرفين، هذا الزواج الذي بدأ ببطء ثم ارتفعت وتيرته نسبيا. كما ان هذه العلاقة توطدت من خلال اقدام العديد من شباب كل منطقة على العمل في المنطقة الاخرى، فهنالك العديد من الاطباء والصيادلة والمهندسين والمدرسين من ابناء عفرين ممن توجهوا بناء على دوافع قومية الى العمل في الجزيرة او العكس مما ادى الى زيادة التفاهم وترسيخ اسس العمل المشترك.
اما العلاقة مع منطقة كوباني، فقد تطورت بصورة ملحوظة بعد افتتاح الخط الدولي الذي يربط بين القامشلي وحلب في الثمانينيات، اذ باتت المسافة اقصر واصبح الاتصال بين المناطق الكردية الثلاث ايسر من ذي قبل. ولعله من اللافت للنظر، ان اهالي منطقة كوباني التي تكثر فيها الحفارات والحصادات وجدوا في منطقة الجزيرة مكانا مناسبا للعمل، خاصة من جهة القرب واللغة، الامر الذي عزز الروابط المشتركة بين المنطقتين، بالاضافة الى العوامل التي سنأتي على ذكرها (الطلبة، الزواج، العمل السياسي المشترك)، ولايخفى هنا ان منطقة الجزيرة كانت دائما المحور بالنسبة للنشاط الكردي، لذلك نلاحظ ان المناطق الكردية، وحتى التجمعات الكردية في المدن الكبرى تحرص على بناء الجسور مع الجزيرة، لادراك الجميع ان مركز الثقل الكردي يقع هناك. ولكن هذا لايقلل بأي حال من اهمية كوباني وعفرين ودورهما. فابناء الجزيرة يعتزون دائما بعفرين وراجو وجنديريس وسري كانيي (كفرجنة). كما يعتزون بكوباني وابنائها الذين لم يبخلوا باي شيء في سبيل امتهم. وفي المقابل يفخر ابناء تلك المناطق بالقامشلي، وديريك، وعامودة، والحسكة، ودرباسية، وغيرها من مناطق الجزيرة. وقد قربت السجون السورية باستمرار بين ابناء تلك المناطق الذين وجدوا انفسهم في زنزانة واحدة مع اخوتهم من مختلف المناطق الكردية، يدافعون معهم عن القضية العادلة ذاتها.
كما ان المناسبات كانت تجمع بينهم دائما، خاصة احتفالات عيد نوروز في كل من حلب، ودمشق، والقامشلي، وعفرين وكوباني، بينما كانت حالات وفاة رواد الفكر القومي باستمرار مناسبات تجمع بين ابناء مختلف المناطق الكردية، ونشير هنا على سبيل المثال الى الحشد الجماهيري الضخم الذي شارك في تشييع جنازة الشاعر الكردي الشهير جگەرخوێن عام ١٩٨٤، وجنازة عضو اللجنة المركزية لحزب الشغيلة الكردية الصيدلي عبدي قادر نعسان عام ١٩٨٥، وجنازة الفنان الكبير محمد شيخو عام ١٩٨٩، وجنازة الامين العام للحزب اليساري الكردي في سورية عصمت سيدا عام ١٩٨٩، والجنازة المشتركة لكل من الامين العام للحزب الديمقراطي الكردي في سورية المحامي كمال درويش، وعضو المكتب السياسي للحزب اليساري الكردي في سورية شيخموس يوسف (ابو سردار)، عام ١٩٩٧.
نكتفي بهذا القدر من استعراض وضعية الشعب الكردي في كردستان –سورية راهنا، وما ذكرناه تناول الجوانب الاساسية التي اعتقدنا بأهميتها. ولكن هناك من دون شك جوانب اخرى بتفصيلاتها الجمة، آثرنا عدم الخوض في الكثير منها، لتشعباتها التي كان من شأنها ان تنهك القارئ الكريم، في حين ان قسما آخر منها سيشغل حيزا في اطار الفصل التالي الذي يبحث في واقع الاضطهاد المزدوج الذي يعاني منه الشعب الكردي في سورية بصورة عامة، وفي كردستان سورية على وجه التحديد.
الهوامش:

١-راجع بخصوص هذا الموضوع:
Gunner G. och Hallberg- Badreddine, B. och stig Holmberg, S. och person, S. – Carl Gustaf Stohl, C,-G 1997 Vagen till Damaskus, Malmo, p 101 ff.

٢-راجع الوثيقة السورية الرقم: ٦ تتضمن رد الحكومة السورية على بعض استفسارات منظمة مراقبة حقوق الانسان.

٣-لقد اعتمدت بالنسبة لعدد الكرد في كل من دمشق وحلب تلك الارقام التي اوردها: Mcdowall, D. 2000 في كتابه: A Modern History of The Kurdds, London, p

٤-راجع بخصوص اسماء الاسر الدمشقية الملحق الرقم/ ٢ المأخوذ عن: عزالدين ملا: حي الاكراد في مدينة دمشق بين عامي ١٢٥٠-١٩٧٩، دراسة تاريخية اجتماعية اقتصادية بيروت- دمشق ١٩٩٨.

٥-بدأ جلادت بدرخان العمل في الابجدية الكردية اللاتينية عام ١٩١٩، واعتمدها بصورة رسمية في ١٥ ايار ١٩٣٢. وهو تاريخ ظهور هذه الابجدية لاول مرة في مجلة هاوار. وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه المجلة كانت تعتمد في بداياتها الابجدية العربية، ثم تحولت عنها الى الابجدية اللاتينية.

٦-اسماعيل بيشكجي: كردستان مستعمرة دولية، ترجمة زهير عبدالملك، السويد ١٩٩٨، ص ٥٠.

٧-المرجع نفسه، ص ٥٠.

٨-للمزيد حول هذا الموضوع راجع: Kuhrt, A. 1998 The Ancient Near East

٩-منذر الموصلي: عرب واكراد، رؤية عربية للقضية الكردية، دمشق ١٩٩١، ص ٣١١.

١٠-المرجع نفسه، ص ٣١١.

١١-المرجع نفسه، ص ٣١٣.

١٢-سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية، مصر ١٩٤٥، ص ١٣٧-١٣٨.

١٣-راجع حول هذا الموضوع: Kone Res, K. 1997: Celadet Bedirxanw Jiyan u ramanen wi, Stockolm.

١٤-اسماعيل بيشكجي: المرجع نفسه، ص ١٢٣.

١٥-المرجع نفسه، ص ١٢٣.

١٦-محمد طلب هلال: دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية- الاجتماعية- السياسية، الحسكة ١٩٦٣، ص ٤.

١٧-للمزيد حول هذا الموضوع راجع الملحق الرقم: ١

١٨-راجع بخصوص هذا الموضوع تقرير قائد شرطة محافظة الحسكة، الوثيقة السورية الرقم: ٢٠.

١٩-محمد طلب هلال: المرجع نفسه، ص ١٤٣.

٢٠-المرجع نفسه، ص ٤٦-٤٨. لقد فضلت نقل النص حرفيا، بقيت الاخطاء اللغوية الواردة فيه على حالها.

٢١-الارقام التي اوردها هي نفسها التي اعتمدها احمد شريف ماrديني في كتابه: محافظة الحسكة، دراسة طبيعية، تاريخية، بشرية، اقتصادية- تحولات وآفاق مستقبلية، دمشق ١٩٨٦. وحسب معرفتي الشخصية بالاخ احمد، اعتقد انه قد حصل على هذه الارقام من الجهات الرسمية المعنية، الامر الذي يعني انها قريبة من الواقع الى حد ما. وهنا اود ان اشير الى حقيقة مفادها انه ليس من السهل بالنسبة الى الباحث الكردي ان يحصل على مثل هذه الارقام والاحصائيات التي تنجزها الجهات المسؤولة بين حين وآخر. وذلك باعتبارها تتعلق بالمناطق الكردية، الامر الذي يدخل في دائرة المحظورات.

٢٢-لقد ازدادت في السنوات الاخيرة نسبة المساحات المزروعة نتيجة عمليات استصلاح الاراضي التي يقوم بها الافراد. وقد تجسد ذلك في حفر الآبار الارتوازية، وتسوية الارض، واستخدام الاسمدة.. الخ.

٢٣-المقصود بهذين المصطلحين هو التمييز بين من يعمل في الارض بصورة مباشرة، وذلك الذي يمتلكها. فالاول –وهو الفلاح- يعمل بموجب عقد شفوي او مكتوب، مقابل حصة معينة من الانتاج، يتفق عليها

مع الطرف الثاني –المزارع- وهذه النسبة تتفاوت من محصــول الى اخر (قمح، قطــن... الخ)، ومن منطقة الى اخرى كما انهــا تخضع للزيادة والنقصان بموجب طبيعيــة نظام الســقي. والعمليــة في مجملها تخضع لقانون العرض والطلب التي تتأثر من جهتها بظروف الجفاف، وانتشار البطالة، وغير ذلك من العوامل.

٢٤-لقــد تراجعــت هــذه الكميات نتيجة قلة نســبة الامطــار في الســنوات الاخــيرة. بالاضافــة الى قيــام تركيــا بحفر اعداد لاحصر لها مــن الآبار الارتوازية في المنطقة المتاخمة للحــدود، وهي المنطقة التي تعد الحــوض التخزيني الذي يمد المنطقة بالمياه الجوفية. الى جانب ذلك مازالت هناك حاجة لتنفيذ العديد من الســدود السطحية بغية الاســتفادة من مياه المطر في المناطق الكردية الثلاث.

٢٥-هنا لابــد من الاشــارة الى المخاطــر الناجمة عن مســألة الحفر العشوائي. كما ان ارتفاع تكاليف الحفر الى جانــب ارتفــاع نفقات الوقود، فضــلا عن الزيادة المستمرة التي تشــمل اسعار السماد والبذار والفلاحة، جميع هذه العوامل، بالاضافة الى تلك الادارة سببت في كبــح وتيرة تقدم القطاع الزراعي، هذا ان لم نقل انه قد وضعته على حافة النهيار.

٢٦-العنوان الاصلي للكتاب هو:

Christie- Masllowan, A, 1946 Com, .Tell Me How You Live, London

٢٧-محمد طلب هلال: المرجع نفسه ص ٤٦.

٢٨-راجع الوثيقة الســورية: رقــم ٧، وكذلك الوثيقة رقم: ٩.

٢٩-يمكن العودة حــول هذا الموضوع الى كتابات منذر الموصلي، سلطان، اوجلان.

٣٠-تجدر الاشارة هنا الى ان عددا من الكرد السوريين قد درســوا السينما بصورة اكاديمية، لكنهم لايستطيعون العودة لاسباب تعود في المقام الاول الى انتمائهم القومي. واذا ما عادوا فســيجدون غــير العراقيل، هذا في حين ان العديد من الممثلين من كرد دمشــق شقوا طريقهم بنجاح. بفعل كفاءاتهم، واثبتوا اصالة قدراتهم الفنية من خلال الســينما والتلفزيون. يشار هنا على سبيل المثال لا الحصر الى كل من طلحت حمدي، عبدالرحمن آلارشي، ادهم ملا، بسام ملا، منى واصف، بالاضافة الى الناقد السينمائي الراحل سعيد مراد.

٣١-حول تاريخ ظهور اول تنظيم سياسي كردي خاص بالشــعب الكردي في ســورية راجع: محمد ملا احمد: القضية الكردية في سوريا، برلين ٢٠٠١.

Nami, S. E. 2001 Dimenin Ji Diroka Winda, Stockholm.

عبدالحميد درويش: اضواء علــى الحركة الكردية في ســوريا، احداث فترة (١٩٥٦-١٩٨٣) آيــار ٢٠٠٠ و عياب وعيبات): ١-دەفری چەرمین ٢-کەنتۆرو سنوڤ جل.

مدينتي كركوك قلب كوردستان
البحث عن الهوية الكوردستانية

د. خالد يونس خالد

(1)

قل أنا كوردي بعد أن تحرر كركوك!!

كركوك، المدينة التي أطلق عليها الرئيس الراحل مصطفى البارزاتي "قلب كوردستان"، وأنه لايتحمل المسؤولية التاريخية بالتنازل عنها، لأنه كان يشعر أن التاريخ الكوردستاني مرتبط ارتباطا روحيا بكركوك باباكركر، وأنه لايمكن أن يعيش أي كيان بلا قلب.

كركوك، قدس الأقداس، كما سماها الرئيس مام جلال.

كركوك احتلت قلوب ملايين الكورد شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، في الوطن الأسير وفي الغربة المؤلمة. كركوك شريان الوطن النابض، وعروسة كوردستان التي مازالت تحكمها العلاقات الاستعمارية، وتمزق جسدها القنابل الارهابية. عار على الكوردي أن يدعي أنه كوردي دون أن يهب لنجدتها، ودون أن يشعر بالألم والأسى من الضربات التي تُضرَب على قلب وطنه الجريح، وتجرح كرامته الوطنية وعزته الكوردية.

كلما أقرأ مقولة المفكر الفرنسي مونتسكيو: «الكاتب الصادق هو الذي يقف عاريا تحت الأمطار ينتظر أن تفترسه الوحوش لتنبش لحمه في أية لحظة»، أشعر مدى عظمة المسؤولية التي تقع على عاتق الكُتاب الكورد في الداخل والخارج، بتنوير الشعب عن عظمة مركز هذه المدينة التي بدونها لن تكون لكوردستان قائمة. وكلما تحدَث الكُتاب الكورد عن حقيقة كوردستانية كركوك تعرضوا لمهاترات الأعداء وشتمهم وعويلهم، لمعرفتهم جسامة مسؤولية الكورد في وعيهم أن كركوك حقا قلب كوردستان وقدس الأقداس. لذلك ينهار هؤلاء الذين لايجيدون سوى لغة الشتم، حين يفقدون وعيهم وتوازنهم، وهم في كل ذلك يسيؤون لأنفسهم، كما قال الشاعر:

كل العداوة تُرجى مودتها إلاّ
عداوةَ مَن عادا عن حَسَدِ

فمتى يفيق الكورديَّ من غفوته؟

متى يبحث عن هويته الضائعة بين مروج كركوك المحترقة؟

متى يغسل العار ليحرر قلب كردستان من الأسر؟

مدينتي الجميلة تجري فيها اليوم سواقي الدماء بارهاب الارهابيين وعبث العابثين؟

ألا يحق للكوردي أن يتألم من الأعماق، ومن الجروح العميقة في جوارحه من الظلم الذي يعانيه أبناء مدينته الجميلة التي تعبث بها الغرباء، مستهدفين طمس هوية الكورد القومية والوطنية، واغتصاب

العفة الطاهرة في قلب كوردستان.

صدق الفيلسوف البريطاني برنتراند راسل في قوله: "على المرء أن يحترم الرأي العام بالمقدار الذي يبعده عن الجوع والسجن. الاحترام الزائد عند ذلك هو استسلام طوعي للاستبداد".

بالأمس زرت مدينتي وأنا أبكي من فرط وجدي إليها بعد إثنى عشر عاما من غياب طويل في الغربة.

فقالت لي أمي العجوز لِمَ البكاء ياولدي؟

إنهض لترى حولك شهداء المدينة تنادي، أين شموخ الوطن؟ وأين أحباب الشعب؟

أينَ أبوك الذي عذّبه الأعداء في السجن فاستشهد؟

وأين أختك التي قتلوها أمام عيني؟

وأين أخوك الذي قطّعوه إربا إربا بأسم الوحدة والحرية والاشتراكية؟

أين أنتَ يابنيّ لا تثور ولا تكتب عن كركوك ولا تتمرد؟

أين كورديتك وقد نسيتَ أباك وأختك وأخاك وبني جلدك؟

أين أنتَ من الكورد ومن الوطن؟

لا ملجأ لنا إلاّ في وطن الكورد مستقلا معززا مُكَرما يا ولدي.

لن أغفِرَ لك إذا استسلمت.

ولن يغفر لك وطنك إذا لم تحرره.

قلتُ لها: أماه! كنتِ دائما منبع الحنان والعطف. وكنتِ أبدا المعلمة التي تنصح التلميذ بحب الوطن والفداء من أجله. وتذكرتُ في الحال ما قاله الفيلسوف اليوناني سقراط «البحث عن الحقيقة خير في ذاته».

إذا حللنا تلك المقولة الفلسفية لفَهِمنا حالة الانسان الكوردي الذي يبحث عن كرامته الوطنية بين الهويات القومية والوطنية المتواجدة في الساحة الشرق أوسطية.

فتلك تركيا، لاتعترف حتى بوجود الكورد في كوردستان الشمالية. وذلك إيران تنكر للكورد حقوقهم في كوردستان الشرقية، حين قال لهم السيد آية الله الخميني إذا تريدون الحكم الذاتي فأنتم ضد الإسلام، وإذا تريدون الإسلام فنحن أخوة، ولا قومية ولا حكم ذاتيا في الإسلام. وتلك سوريا العروبة التي تعتبر الكورد مهاجرين في وطنهم كوردستان الغربية. وهنا العراق، حين ضربهم نظام صدام حسين بالأسلحة الكيمياوية، فاعتبرها بعض العروبيين، كمنذر الموصلي أنها زوبعة في فنجان. وهنا تتجلّى الحقيقة التي مفادها أن القومية الكوردية قد أصبحت فكرة يتيمة وأحيانا هزيلة بدون أن تحميها دولة يشعر فيها الكوردي بمواطنته لصياغة شخصيته الإنسانية وكرامته الوطنية. فحين يجد الكوردي الأعلام ترفرف على بنايات الأمم المتحدة، يشعر بنوع من الضياع، وهو لا يجد العلَم الكوردستاني بينها، فلا يعرف أين يُرفَع رمز شخصيته الوطنية المفقودة، فيتردد بين البحث عن العَلَم المفقود في الواقع الدولي وبين الهوية القومية اليتيمة بين دول عديدة تحكم كوردستان، وهو ينظر إلى العلَم الكوردستاني فوق طاولة مسجونة في بيته، تمثل شخصيته في تلك الزنزانة التي يعيش فيها. وقد يجد ذلك العلَم المقهور الذي لا يُرفَعُ إلاّ على سطوح بعض المباني في اقليم كوردستان دون أن يعترف به المجتمع الدولي، فلا يتمتع بالحصانة ولا يمثل السيادة المفقودة بين ألوان حمراء بيضاء خضراء تتوسطها قرص الشمس منقوشة على قطعة قماش تهب عليها الرياح.

القومجيون المتصلبون الشوفينيون، ولا نعني (الديمقراطيين) من عرب وترك وفرس جعلوا الإسلام مطية للتَحكم بالقوميات الأخرى. وهذا القول ليس جزافا، لأن الواقع يتحدث لنا هذه الحقيقة. فالكورد وجميع القوميات الأخرى، مضطهدون مستضعفون مستغلون مشردون في الدول القومية العربية والتركية والإيرانية. ولذلك فإن نظرية «دولة إسلامية» غير موجودة في المحك العملي اليوم.

الاشكالية فيما يتعلق بحكم المسلمين ليست في الإسلام الحنيف قطعا، إنما الإشكالية في القومجيين

الشوفينيين الذين يستغلون الإسلام لاضطهاد الشعوب المغلوبة على أمرها، والإسلام بريء من جرائمهم. وهنا أشير إلى ما عبر عنه المرحوم الشيخ محمد متولي الشعراوي الملقب «إمام الأمة» في قوله: «شوف يا سيدي حين أجد شخصا يقول: أنا عايز أحكم بالإسلام، أقول له: أنتَ كذاب!!! قل أنا أريد أن أُحْكَمَ بالإسلام أصَدقك!!! لكن أنكَ تَحكمُ بالإسلام لا.. لاتنفعني!!! ولهذا فأنا أقول وأنادي بأنه أريد أن أُحْكَمَ بالإسلام، لا أن أَحكُم بالإسلام، لماذا؟ لأن الذي يريد أن يتهافت على حكم دولة نعرف أنه يريد خيرها لنفسه، ولو عرف مقدار المسؤولية على الحاكم لما طلَبها» (محمود فوزي، الشيخ الشعراوي من القرية الى القمة، ص ٧٨).

قال كارل ماركس في البيان الشيوعي: «ليس للعمال وطن». هذه الكلمات جميلة ورائعة ولكنها أُستغِلت من قبل القوميات الكبرى التي كانت تحكم البلدان الاشتراكية، لحرمان القوميات الصغرى من حقوقها على قدم المساواة، وأقول على قدم المساواة عمليا، وليس بالبيانات أو الحكم الذاتي. وعندما خرجت تلك القوميات الكبيرة والصغيرة من عقالها القومي البغيض بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، أصبحت أكثر تطرفا وعدوانية من القوميات المتواجدة في البلدان الرأسمالية. ولعل مثال يوغسلافيا في الأذهان والحروب بين حلفاء الأمس صربيا وسلوفينيا وبوسنيا والهرسك ومقدونيا وكرواتيا لتؤسس دولا قومية. أما حرب للابادة ضد المسلمين في كوسوفو فكانت عنيفة تكاد تقضي على شعبها لولا تدخل الغرب، ناهيك عن الحروب الدامية بين جمهوريات الإتحاد السوفيتي، لتشكيل الدول القومية. وحرب الإبادة اليوم ضد الشيشان من قبل عاصمة الأممية القديمة. أما الدول الاشتراكية الأعضاء في حلف وارشو المعادي للامبريالية، فقد دخلت حلف شمال الأطلسي «الامبريالي» كما كانوا يسمونه. أين ذهبت الأممية بعد حكم ما يقارب الثمانين عاما؟

ولكن رغم كل ذلك فالماركسية لم تمت، لأن الفكر لايموت سواء كان يمينيا أو يساريا. فإنهيار تلك الدول الاشتراكية، وفشل الاشتراكية ليس في النظرية إنما في الذين طبقوا تلك النظرية، دون أن يخرجوا من دائرة القومية الطاغية في الواقع العملي.

ليست الإشكالية إذن في تعبير ماركس المذكور أعلاه «ليس للعمال وطن»، إنما الإشكالية في أولئك القابضين على السلطة وهم يضطهدون الأقوام الأخرى بأسم «ليس للعمال وطن»، ويأخذون الماركسية في صورتها النظرية المجردة.

وهنا أشير إلى ما عبر عنه فلاديمير ايليتش لينين في رسالته بعنوان «رسالة إلى إينيسا آرمان» . يقول لينين: «لقد صرح ماركس وانجلز في «البيان الشيوعي» بأن الشغيلة ليس لهم من وطن. ولكن ماركس نفسه دعا أكثر من مرة إلى الحرب القومية: ماركس في عام ١٨٤٨، وأنجلز في عام ١٨٥٩ (في خاتمة كراسته «البو والران» حي يتغنى بصراحة بعاطفة الألمان القومية وحي يدعوهم بصراحة إلى حرب قومية). كما كان انجلز في عام ١٨٩١، عند اقتراب نذر الحرب التي كانت فرنسا (فرنسا بولانجيه) + الكسندر الثالث يهددان بشنها على ألمانيا، يقبل بصراحة بـ «الدفاع عن الوطن». هل كان ماركس وانجلز ذوي ذهن مضطرب، يقولان اليوم شيئا، وفي الغد شيئا آخر؟ كلا. في رأيي أن القبول بـ «الدفاع عن الوطن» في حرب قومية يتفق كل الاتفاق مع الماركسية. وفي عام ١٨٩١ كان من واجب الاشتراكيين- الديمقراطيين الألمان حقا الدفاع عن الوطن في الحرب ضد بولانجيه + ألكسندر الثالث. ومثل هذه الحرب كانت ستكون نوعا خاصا من الحرب الأهلية». (لينين، نصوص حول الوطن والوطنية، ترجمة جورج طرابيشي، ص١٦٩).

لاتيأس أيها الكوردي مايقوله القومجي الذي يضطهدك عن استحالة اثباتك لهويتك، ليمنعك من أن تثبت وجودك وترَسخ ذاتك. ولاتيأس ما يقوله الإسلاموي أن الإسلام يمنع أن تؤسس دولة، لأن الدولة الكوردستانية تُضعِف المسلمين. واعلم أن الإسلام

الصحيح لايمنعك أن تفعم بالعزة الوطنية، فالنضال من أجل العرض والمال والشرف والوطن مشروع. ولا تيأس أيها الكوردي ما يقوله الأممي، لا وطن للأمميين لأنه لو كانت كذلك لما كنتَ مضطهدا ومشردا بلا وطن ولا أرض ولا كرامة، يوم كان الأممية تحكم نصف العالم، وتقف مع الأنظمة القومية الاستبدادية، وتبيع لها الأسلحة الفتاكة لتضطهد شعوبها، كنظام صدام حسين الذي ضرب الكورد بالسلاح الكيمياوي تحمله الطائرات السوفيتية الصنع.

أعلن الاستقلال، وصُنه أيها الكوردي، ولتكن مفعما بالكرامة الوطنية، وقل للجميع، لستُ أفضل منكم ولا أدنى منكم، تعالوا لنكون أخوة مسلمين، وتعالوا لنكون أمميين على قِدَم المساواة.

لايمكن كتابة التاريخ بنزاهة في ظل أسطورة «منطق الايديولوجيا». فبأسم أسطورة «منطق الايديولوجيا» تُقتَل ملايين الناس، لأن كل آيديولوجي يعتبر فكره منطقيا دون غيره. وأي منطق هذا؟ شكلي، ديالكتيكي، تاريخي، موضوعي أو أو أو. فهناك مفاهيم عديدة للمنطق، وهناك ايديولوجيات متصارعة ومتناقضة وهدامة، فكيف يمكن اخضاع حركية الزمن لايديولوجية معينة دون غيرها؟ هناك طريقة يتبعها المؤرخ في كتابة التاريخ على أساس الكرونولوجيا، ولكن يعتمد ذلك على المنهج المُتبع. فقد يؤرخ المؤرخ وهذا ما يسمى «تأريخ» وقد يكتب المؤرخ التاريخ (بدون همزة على الألف). والفرق بينهما كبير. سيكون لنا مع أسطورة «منطق الايديولوجيا» لقاء في وقت آخر إنشاء الله.

أنقل ما قاله التربوي البرازيلي باولو فرايري لنفهم معادلة الحرية والاستقلال بعيدا عن مساومات الايديولوجيات اليسارية واليمينية، يقول «إذا لم يبدأ الأفراد أن يحرروا أنفسهم بأنفسهم في عمل جماعي، لا يمكن للقيادة أن تحررهم رغم أهمية الدور الذي تقوم به القيادة الثورية في العمل الثوري. إلاّ أن القيادة التي تحاول فرض رؤيتها على الأفراد محكوم عليها بالفشل لأنها في حقيقتها ليست قيادة ثورية إنما بديل متسلط يحل محل القاهرين». «فالحرية ليست مطمحا يعيش خارج الإنسان أو فكرة تتحول إلى أسطورة وإنما هي في الحقيقة ضرورة لا غنى عنها من أجل كمال الإنسان . . . من أجل التغلب على ظروف القهر فإنه يتعين التعرف على أسبابه حتى يتمكن من تطوير موقف جديد يحقق فيه إنسانيته الكاملة». «فتحرير المقهورين هو تحرير للرجال وليس تحريرا للأشياء، وينبغي على ذلك أن الذي لا يستطيع أن يحرر نفسه بنفسه فلن يستطيع أحد غيره أن يحرره».

نعم لن يستطيع أحد غيره أن يحرره بغض النظر عن المساومات الايديولوجية اليسارية واليمينية التي ظلت ولا تزال تخدع الكثيرين من الكورد بأسم الديمقراطية يوما، وبأسم الاشتراكية يوما آخر، وبأسم منطق الايديولوجية يوما ثالثا.

ناضل أيها الكوردي بأسم الله وبأسم الشعب والوطن!! ولتكن نظريتك الثورية نظرية العلم والمعرفة والوعي الاجتماعي لتحرير الأرض والإنسان الكورديين. وكن راديكاليا كما قال باولو فرايري: «الراديكالية ذات طبيعة إبداعية لأنها تتحلى بروح النقد ولهذا يرفضها اليمين المتطرف واليسار المتطرف جزئيا وأحيانا كليا ... فبسبب انحيازهم (الراديكاليين) لحرية الإنسان فلا يسمحون لتصوراتهم أن تكون رهنا لدائرة مغلقة تحبس الحقيقة في داخلها». وبذلك لن يخضع لأسطورة «منطق الايديولوجيا». كن كيفما شئت، كرديا قوميا! مسلما مؤمنا! شيوعيا أمميا! برجوازيا! اشتراكيا! المهم أن تكون كرديا وطنيا يناضل من أجل تحرير كوردستان واستقلالها على قدم المساواة مع الآخرين.

(2)

البحث عن الهوية

ابحثْ أيها الكوردي عن الهوية الوطنية الكوردستانية، فالهوية لا تبحث عنك. ولتكُن رئيسا

أو مرؤوسا، غنيا أو فقيرا، مالكا أو مملوكا. أعقْد مؤتمرا نفسيا مع ذاتك، وأسأل نفسك، مَن أنتَ وما هي هويتك وأين وطنك؟ فالألوان المجردة لا تعبر عن الهوية الكوردية.

ينبغي لكل كوردي اليوم أن يبحث عن هويته الوطنية. والشعب الكوردي كله يبحث عن هذه الهوية بالعمل والتنظيم والممارسة الفعالة. وكل هذا وذاك يتطلب توحيد الصفوف ونبذ الأحقاد، والتحلي بالحكمة وطلب المعرفة، ووضع التناقضات الحزبية والقيادية جانبا، وضرورة النضال المشترك لنيل الحرية، فالحرية لا تُكتَسب إلاّ بالعلم والمعرفة والنضال. ولا يمكن لهذه الحرية أن تدوم بدون أن تكون على أرض كوردستان، وطن الكورد. النضال من أجل الحرية في كوردستان، كل كوردستان، ليس تحريضا على القتل والتهجير كما يحلو للبعض من القومجيين المتعنتين الذين يتاجرون بالديمقراطية المزيفة لاستعباد الشعب، كل الشعوب في العراق وتركيا وإيران وسوريا. لا تتوقع الخير من الأنظمة التي تستعبد شعبك، ولا سيما إذا كانت هذه الأنظمة حاقدة وجاهلة، وهي ترفضك حين تطلب الحرية، وتقربك كسلعة في آلة حين تخضع لها. يجب أن تميز بين الشعوب العربية والتركية والفارسية الطيبة، وبين الأنظمة التي تتحكم بك وبوطنك. كن صديقا للشعوب، وثوريا من أجل حقوقك. وأقرأ معي قول شاعر الشعراء زهير بن أبي سلمى في معلقته الذهبية «الطلية» الواردة في (شرح المعلقات السبع، للزوزني):

ومَن لم يُصانِع في أمور كثيرةٍ
يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويوطَأ بمَنسِمِ
ومَن يجعل المعروفَ مِن دونِ عِرضِهِ
يفِرهُ ومَن لا يتَقِ الشَتم يُشتَمِ
ومَن يكُ ذا فضلٍ فيبخل بفضلِه
على قَومه يُستَغنَ عنه ويُذمَمِ
ومَن يوفِ لا يُذمَم ومَن يُهدَ قَلبُهُ
إلى مطمئنّ البرّ لا يتَجمجَمِ
ومَن هابَ أسباب المنايا ينَلنَهُ
وإن يكُ أسبابَ السّماءِ بسُلّمِ
ومَن يجعَلِ المعروف في غيرِ أهلِهِ
يكُن حمدُهُ ذمّاً عليهِ وينَدَمِ
ومَن يعص أطرافَ الزِّجاجِ فإنَهُ
يُطيعُ العَوالي رُكِّبتْ كلَّ لَهذَمِ
ومَن لم يذُد عن حوضهِ بسلاحِهِ
يُهَدَّمِ ومَن لا يظلم النّاسَ يُظلَمِ
ومَن يغتربْ يحسِب عدُواً صريقَه
ومَن لم يُكَرِّم نفسه لم يُكرَمِ

وعبر الشاعر الكوردي (هلمَت) على لسان طفل كوردي يرجو أستاذه أن يعلمه كيف يكتب أسم كوردستان، عن الحالة المرثية التي يعيشها شعبنا الكوردستاني من كورد وأقليات قومية ودينية في مدينة كركوك الكوردستانية. قال الطفل الذي يبحث عن وطنه لأستاذه: «أستاذي العزيز هل لك أن تعَلمني كيف أكتب أسم كوردستان؟». هذا الطفل أشرف من الكورد الذين ينكرون لشعبهم هويتهم الوطنية.

يريد الكوردي أن يعتز بكورديته وكوردستانيته، وبكل دولة شرقية وغربية تعترف بحق الشعوب في تقرير مصيرها. لا يريد الكوردي أن يعتدي على أحد، وهو في موقف الدفاع، لأن كوردستان مقسمة بين أربع دول مركزية في الشرق الأوسط.

أريد أن أكون ككل الذين يعتزون بشعبهم ووطنهم. أحب وطني وأحب الأوطان الأخرى التي تعيش مع وطني بسلام ووئام. لا أريد أن أكون خادما لأحد إلاّ لشعبي ووطني. ولا أريد أن أكون سيدا على أحد، إلاّ سيد نفسي بين شعبي وعلى ثرى وطني. فمَن ينكر عليّ ذلك، فالعتب عليه، وأنا لستُ معتديا على أحد. ومّن سامحني في إرادتي، فقد سامح ضميره في إيمانه بالله تعالى وبإنسانيته.

إلى متى يغني الشعراء الكورد مأساة شعبهم وتجزئة وطنهم؟

هذه الحالة المأساوية التي تشعر الأم الكوردية وهي

تقيد طفلها الرضيع في المهد وتصارع مع حنانها الأمومي الذي يوبخها، ومع عطفها الفياض الذي يُمزق جدران قلبها، عبر عنها الشاعر الكوردي (هەژار) في قصيدته الرائعة. والأم تدغدغ طفلها لتعلمه أن يتحمل الأذى من ظلم الأنظمة التي تضرب أبناء الشعب الكوردي بالسياط. والشعوب العربية والفارسية والتركية لا تشارك هذه الأنظمة في ممارسة الظلم والاضطهاد، لأنها هي الأخرى محرومة من حقوقها الإنسانية:

إصفح عنّي يا صغيري
لقد أحكمتُ وثاقكَ لأنك طفل كوردي
يوما ما سيمسك بك أعداؤك
من الفرس والترك والعرب
ويوثقونك
عليكَ أن تتعلّمَ احتمال الأذى

اعتبر هنري سان سيمون ١٧٦٠-١٨٢٥ «التاريخ وحدة مستمرة، ودراسة الحاضر لاتكون إلاّ على ضوء دراسة الماضي. وآمن بالتقدم المطرد للإنسانية ودعا إلى دراسة أسباب الثورات والتبديلات التي تنشأ عنها ... وأكد السببية في تطور التاريخ، وإمكانية التنبؤ بالمستقبل للتاريخ على ضوء الحاضر». (فاروق سعد ، الفكر السياسي بعد الامير، ص ٢٦٨).

فلندرس الماضي، لنفهم الحاضر كي نخطط للمستقبل. حيث تراود الكورد أفكارا كثيرة حين كانت القوات السورية تغزو كوردستان العراق عام ١٩٦٣، طبقا لإتفاقية عسكرية سورية عراقية بين النظامين البعثيين في الدولتين. ووقع عدد من الجنود السوريين في أيدي البيشمه ركه وهم يصرحون أن أهل قامشلو من غير الكورد كانوا يصفقون لهم لأنهم يتوجهون إلى كوردستان المحتلة ليقتلوا الكورد.

وراودتني الأفكار المؤلمة من مواقف تركيا العدائية من حقوق الكورد، ولكل ماهو كوردي في كوردستان العراق ناهيك عن كوردستان تركيا. والنظام التركي يتعاون حتى مع الشيطان لضرب الكورد، واعتبر النضال التحرري الكوردي من أجل حقوقه إرهابا.

أما في إيران، فذكريات محاكم آية الله الخلخالي بقتل الأطفال الكورد في محاكم صورية بأسم الإسلام والإعدامات بالجملة. واغتيال المخابرات الايرانية زعيم الحزب الديمقراطي الكوردستاني الايراني الشهيد عبد الرحمن قاسملو مع ثلاثة من زملائه في فينا عام ١٩٨٩، واغتيال خليفته الشهيد صادق شرف الدين كندي في برلين عام ١٩٩٤. القضية مأساوية وعدائية على طول الخط في جميع الجبهات. وفي كل هذه المأساة، لم يقترف الكوردي يوما جرما بحق العرب والكلدوآشور والتركمان والفرس، سوى الدفاع عن حقوقهم وحقوق الأقليات الأخرى باعتبار أن الحرية واحدة لا تتجزأ. من هذه الزاوية، أيها القراء فكرت عن الهوية الكوردية الضائعة بين الأحقاد التي تحكم الشعب الكودي وكوردستان بالضياع.

أما على صعيد العراق فالمأساة أعظم وأمَّرْ. فقد اعترفت جميع الأنظمة العراقية شكليا بحقوق الكورد على الورق، وما لبثوا أن ضربوهم بعد أن ضمَنوا سيطرتهم على السلطة. فبدءوا بتحطيم آمال الشعب الكوردي في الحرية والتحرر، حتى وإن كانت أهداف الكورد بسيطة كالحكم الذاتي المبتور.

فتح نظام الزعيم عبد الكريم قاسم الطريق أمام الكورد، وألغى الملكية، وأعلن الجمهورية، وجاء بدستور جديد معترفا بوجود الكورد، ومنحهم بعض حقوقهم الثقافية، وسمح للقائد الكوردي الخالد البارزاني بالرجوع من الإتحاد السوفيتي إلى كوردستان، ولكن لم يلبث أن طوق بعض المتعصبين القوميين السلطة في العراق، وحاصروا الزعيم عبد الكريم قاسم الملقب بأب الفقراء والمساكين، فانقلب النظام على الكورد، وضرب طموحاته مما أدى إلى تفجير ثورة ١١ أيلول ١٩٦١ بقيادة البارزاني الخالد رحمه الله.

وفي الجمهورية العراقية الثانية بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ مارس النظام سياسة القتل بحق الكورد، وشنت القوات العراقية هجوما واسعا على كوردستان

في ٦ حزيران/ يونيو ١٩٦٣، وصرح الوزير العراقي طالب شبيب بأنه «لايجوز حتى الحديث عن منح الكرد الحكم الذاتي، وإذا لم يساوم البارزاني بالقضية الكوردية فإننا سوف نأجل القضية الكوردية طويلا، وسنقضي على المتمردين دفعة واحدة» (أشيريان، الحركة الوطنية الديمقراطية في كوردستان ١٩٦١-٦٨، ص ٧٠).

لم يكن الأمر أهون على الكورد بعد انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ برئاسة عبد السلام عارف. استخدم النظام القوة العسكرية لإخماد الثورة التحررية الكوردستانية التي قادها البارزاني الأب. وأعلن رئيس الوزراء العراقي آنذاك طاهر يحيى بأن «الحكومة لا تستطيع أن تمنح الأكراد الحكم الذاتي، لعدم وجود البرلمان المنتخب من قبل الشعب في البلاد» (آشيريان، ص١٢٨).

وبعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وما تبعه من حركة انقلابية داخلية في ٣٠ تموز، أصبحت القضية الكوردية هدفا لشوفينية نظام البعث، ووضع النظام جميع قواته العسكرية في مواجهة الحركة التحررية الكوردستانية، بقصد إذلال الشعب الكوردي والقضاء على قضيته العادلة، ولكن إلتفاف الشعب حول قيادة البارزاني الخالد، قائد الشعب والثورة، أفشل كل خطط النظام الدكتاتوري البعثي المستبد، وأجبر النظام بالتوقيع على إتفاقية الحكم الذاتي في ١١ آذار ١٩٧٠، وتعديل الدستور العراقي المؤقت الرابع في ١٦ تموز ١٩٧٠ وإضافة فقرتين مهمتين إلى الدستور كما يأتي:

١-يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيستين هما القومية العربية والقومية الكوردية. ويقر هذا الدستور حقوق الشعب الكوردي القومية وحقوق الأقليات كافة ضمن الوحدة العراقية.

٢-إضافة الفقرة التالية من المادة الرابعة من الدستور: تكون اللغة الكوردية لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية في المنطقة الكوردية.

ولكن ما لبث النظام البعثي أن حاكت المؤامرات لضرب القضية الكوردية واجهاض الإتفاقية بين الطرفين. ففي ٢٩ أيلول ١٩٧١ خطط النظام الدكتاتوري مؤامرة لاغتيال الخالد مصطفى البارزاني. وفي ١٦ تموز ١٩٧٢ خطط لمؤامرة ثانية لإغتاله. لقد كان نظام البعث جادا في القضاء على الثورة الكوردستانية بكل الوسائل.

دخل النظام البعثي العراقي في الإتفاقية العسكرية العراقية السوفيتية عام ١٩٧٢. ودخل التنظيم المعروف بصديق الشعب الكوردي، وهو الحزب الشيوعي العراقي في الجبهة مع حزب البعث العراقي عام ١٩٧٣ وأبدى وموافقته على قانون الحكم الذاتي المبتور في آذار ١٩٧٤ بهدف إلغاء بنود إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ في المحك العملي. ونشبت الحرب من جديد، لضرب مواقع الحركة التحررية الكوردستانية، بحجة أن الحركة أصبحت رجعية، معتبرة أن النظام البعثي الذي وقّع الإتفاقية العسكرية والاقتصادية مع الإتحاد السوفيتي أصبح نظاما وطنيا (للتفصيل حول هذا الموضوع، ينظر كتاب كاتب هذه السطور "كيف تعالج الدساتير العراقية الحقوق القومية للشعب الكوردي"، ستوكهولم، ١٩٩٠).

استخدم النظام العراقي اتفاقية الحكم الذاتي غطاء لضرب الشعب الكوردي. وانتهت الحال إلى الاتفاقية العراقية الإيرانية الرجعية في ٦ آذار ١٩٧٥ بمشاركة أردنية جزائرية مصرية أميركية، واجهاض الثورة الكوردية ولو مؤقتا، ليستعد الشعب الكوردي من جديد لتهيئة ثورة جديدة. وهكذا استمر الصراع، وازداد نضال الشعب الكوردي، وانقلب نظام البعث الاستبدادي على حلفائه من الشيوعيين، وأدرك الشيوعيون أنهم وقعوا في خطأ استراتيجي بتعاونهم المرحلي مع النظام الدكتاتوري المستبد. وتطور الارهاب البعثي إلى ملاحقة عناصر الحزب الشيوعي العراقي، وانتهاج سياسة الابادة الجماعية في عمليات الأنفال بين عامي ١٩٨١-٨٢ وقتل ١٨٢ ألف مدني كوردي، وحَرق ٤٠٠٠ قرية كوردستانية، واستخدام

السلاح الكيمياوي ضد الشعب الكوردي في حلبجة وعشرات القرى الكوردستانية عام ١٩٨٨، وتهجير الكورد الفيليين وتجريدهم من جنسيتهم العراقية ومن أموالهم وممتلكاتهم، وقتلهم وإذلالهم، وقتل ثمانية آلاف من البارزانيين، ناهيك عن الإغتصاب والإذلال. ولكن الله تعالى لا يهمل الظالمين وإن يمهلهم إلى حين.

وفي كل الأحوال، فالشعب الكوردستاني كان وما زال أعظم من أن يخضع للعدوان. واصل مسيرته تحت قيادته التي لم تستسلم. وواجه الشعب، قاعدة وقادة بالوعي سياسات النظام الفاشي الذي استهدف القضاء على الإرادة الكوردية، كما واصل النضال التحرري الكوردستاني، إلى تفجير انفاضة آذار ١٩٩١، مما أسفر عن التدخل الدولي في كوردستان، وتشكيل المنطقة الآمنة. تبعه التدخل الدولي في العراق، ثم الهجوم الأمريكي البريطاني ومعهما الحلفاء في ١٨ آذار ٢٠٠٣، وسقوط النظام البعثي الدموي في ٩ نيسان من العام نفسه.

ونتساءل اليوم فيما إذا يعيد نفسه، حيث يتعاون الكورد مع الشيعة الذين كانوا كالكورد معرضين للابادة، وهم اليوم يقبضون على السلطة في العراق. ولديهم ميليشيات مسلحة، تعادي بعضها مع الأسف حقوق الشعب الكوردي في الفيدرالية، حتى ان السيد مقتدى الصدر زعيم ميليشيات "جيش المهدي" صرح مرة، بأنه سيجعل من كوردستان جدولا من الدماء بعد انسحاب الجيش الأمريكي من العراق.

فهل تفكر أيها الكوردي بهذه المآسي؟ هلاّ تفيق من غفوتك؟ كن أمينا وفيا لشعبك، والتاريخ يشهد أنك لم تمارس الإرهاب يوما من أجل حقوقك، رغم أنك تعرضتَ لإرهاب الأنظمة التي تضطهدك، ولا تزال تتعرض له. أما الذين يتهمونك بالخيانة لأنك كوردي، فهم لا يجيدون سوى لغة القتل والشتم والتهديد والتهجير والتشريد. لا تستسلم، ولا تعتد على أحد، كما كنتَ دائما أعظم من الضعفاء الذين يمارسون الظلم والعدوان والإرهاب بحقك.

أنت لا تستقطع من أرض أحد أيها الكوردي الفقير الأسير، ولستَ محتلا لأرض أحد. كل ما تريده أنكَ ترجع حقوقك المسلوبة، بأساليب نضالية نزيهة بعيدا عن الإرهاب، وقد برهنتَ أنك أسمى من الأنظمة التي تحكم شعبك وتحكم شعوبها أيضا بالعلاقات الاستعمارية. النضال الإنساني مشروع في كل الشرائع والقوانين من أجل الحرية.

عاصمة اقليمك كركوك تأكلها الأوساخ، وتعبث بها العابثون، وقد طردوك من بيتك، فأصبحتَ غريبا. هل تجد طريقا للرجوع إلى بيتك؟؟ هل نسيتَ ذكريات طفولتك المعذبة واللذيذة في آن واحد في مدينتك التي ستكون غدا عاصمة اقليم كوردستان بالسلم والمحبة إنشاء الله. ستكون كركوك غدا مدينة جميع الناس الشرفاء الذين يريدون أن يعيشوا في اقليم كوردستان والعراق بأمان ووئام بعيدا عن التفجيرات والتشريد والتهجير والتمييز العنصري.

أين يمكن للكوردي إذن أن يُصَنفَ هويته في دائرة هذه الصراعات والتناقضات المخيفة بين القومية والدين والأممية، وهو لا يملك السلطة في الواقع العملي لأنه يفتقد لكيان أصبح مقسما مجزءا؟ وتتجلى المأساة الكوردية في فقدان الكورد لإستراتيجية بعيدة المدى، وإتخاذ مواقف عفوية على المستويات الكوردستانية والاقليمية والدولية. وتبدو جوانب هذه المأساة الكوردستانية في عشرات الأحزاب والمنظمات والجمعيات والمؤسسات المتصارعة التي تفتقد إلى الخطاب الفكري الموحد، والتوجه السياسي الاستراتيجي المبرمج لتحديد الهوية الكوردية.

هل تسأل نفسكَ يوما أيها الكوردي، مَن يحترمك عندما لاتكون حرا ولا يكون لك كيان؟ إنهض من نومك العميق، وأفِق من سباتك الطويل، واخرج من المغارة المظلمة، وارم العَصّابة السوداء التي شدها المستَعمر بها عينيك، واخرج من مغارتك المظلة إلى ضوء الشمس كما قال الفيلسوف الأغريقي أفلاطون!!!

إذا تريد أن تذوق طعم الحرية.

أيها الكورد تصالحوا مع الذات وتصالحوا مع أنفسكم، وجددوا العهد كل يوم أن لكم وطنا إسمه كوردستان، وعاصمة إسمها كركوك، وأن لكم أرضا تريدون أن تعيشوا عليها أحرارا.

في كل الأحوال نتجنب ذكر الأسماء حتى لا نخرج من المنهجية في الكتابة، وحتى لا ننزل إلى مستوى الذين يجيدون تشويه الأسماء وفن الشتائم والمُسبات والمهاترات والتهديدات. نريد أن نقول الحقيقة دون أن نعتدي على أحد. فتبجُح بعض الايديولوجيين المتطرفين، من أن مطالبة الكورد بحقوقهم، تُعَد دعوة قومية متطرفة تولد الصراعات القومية والطائفية والقتل والتهجير. هذا هراء. ما علاقة الطائفية بالكورد، والكورد لم يعرفوا في تاريخهم الصراع الطائفي مع طائفة دينية معينة. ما علاقة التحرير والحرية بالقتل والتهجير، والكوردي يريد أن يسترد حقوقه بالسلم والأخوة والمحبة، وإن لم يتجاوب الظالمون فما له إلا أن يمارس النضال المشروع الذي يتقبله كل الشرائع والقوانين الدولية، بعيدا عن العدوان الذي تمارسه الأنظمة التي تتحكم بكوردستان وشعبها.

آه من دجل القومجيين الذين يتهجمون على الشعب الكوردي وقياداته في مطالبة الكورد بحقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم. ينكرون على الكورد هويتهم، ويعتبرون الكورد غير منصفين حين يطالبون بانضمام عاصمتهم كركوك لاقليم كوردستان. إنها الخوف من الحقيقة، حين يضع البعض كل التناقضات في رقبة الكورد. إنها فعلا «ميكانيكية الدفاع» السيكولوجي، لفشل الأنظمة التي تحكم الكورد في عموم كوردستان بالقهر والأنفال والسلاح الكيمياوي، وتجريدهم من هويتهم الوطنية تحت واجهات النظريات اليسارية واليمينية المتطرفة، وبأسم الديمقراطية المزيفة، لجعلها سلاحا لضرب الديمقراطية وحقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها. وأحيانا بأسم العلمانية الإلحادية التي تحارب الأديان والعقائد السماوية، وهي تختلف كليا عن العلمانية الديمقراطية الليبرالية التي تحمي الدين والدولة.

لقد أصبحت القومية المتطرفة القابضة على السلطة في دول المنطقة عالة على الشعوب المظلومة التواقة للحرية. فيقول القومي العربي للكوردي أصلكم عرب، والوطن للجميع. ويقول الفارسي «الكورد بدو الفرس». ويقول التركي للكورد، أنتم «أتراك الجبال». فأقرأ معي هذه الأبيات التي نظمها الشاعر العربي المبدع (أبو ثائر) في ديوانه الشعري بعنوان (كردستان في الشعر العربي، ستوكهولم ١٩٩٠، ص ١٢٩).

ففي جبالك كردستان كم مطرت طيارة البعثِ أو ألقت بنيرانِ
وهل تعامى عن الأطفال أم عميت عيناه
عن نسوة مرضى ورضعانِ
وهل رأى ما جرى أم لم ير أبدا
ما سال من دمنا في حاج عمرانِ
وما تأسى لنا طفل وراضعة
في خرمال أو زاخو وجومانِ
وفي ضواحي نوبردان مجزرة
وفي حلبجة غدر البعث آذاني
وفي مصايفنا نسرين نائحة
وصوت مريم في لولان أبكاني

لقد بلغ التبجح للأنظمة التي تحكم كوردستان بالظلم والحديد والنار إلى التنسيق والتخطيط لضرب الشعب الكوردي. وبلغ هذا العدوان أقصى حدود اللاإنسانية في تعاون هذه الأنظمة مع حلف الناتو، والتنسيق معه وفقا للبرقية السرية الآتية:

"إلى/ فق1 رئيسي فق2 رئيسي
من مديرية الحركات العسكرية (العراق)
العدد: 3478/س
التاريخ: 2/7/1963

تم الإتفاق مع السلطات التركية والإيرانية بالسماح لطائراتها باجتياز خط الحدود والوصول إلى الخط

العام المار من سرسنك-عقرة-راوندوز لاستطلاع أماكن تحشدات العصاة داخل الأراضي العراقية والتعاون مع قطعاتكم لضربهم."(ينظر منشورات الإتحاد، سوريا 1977، في الإتحاد الديمقراطي الكوردستاني، الثورة الكوردية 11 أيلول 6-1961 أيار 1975، ص40).

رائع أنتَ أيها الشاعر الفلسطيني معين بسيسو وقد أجادت قريحتك الوطنية، لتصرخ بأعلى صوتك في وجه محرفي التاريخ:

كّم أكره مَن علّمني الدرس الأول في التاريخ
كرديا كان صلاح الدين
وانتصر وأصبح عربيا
ماذا لو هُزِمَ صلاح الدين؟
لأصبح جاَسوسا كرديا.

ينبغي نبذ القومية المتصلبة المتعنتة التي تلغي الآخرين. وينبغي الاعتراف بحق كل شعب في أن يحرر أرضه كالكورد والفلسطينيين والأمازيغيين وغيرهم بعيدا عن التطرف القومي والايديولوجي ليكونوا مفعمين بالكرامة الوطنية في أوطانهم ككل الوطنيين الآخرين في العالم. لنكف عن الأوتار الحزينة، ونعترف ببعضنا البعض، محبين مؤنسين، يشعر الكل أنه موجود، وأنه مفعم بالعزة الإنسانية والكرامة الوطنية.

فما أصدق قول الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش في قصيدته الرائعة "معكم":

معكم .. معكم قلوب الناس
معكم عبيد الأرض
معكم أنا .. معكم أبي وأمي
معكم عواطفنا .. معكم قصائدي
....
هل خرَ مهرك يا صلاح الدّين؟
هل هوت البيارق؟
في أرض كردستان ...
حيث الرعب يسهر والحرائق
الموت للعمال إن قالوا لنا ثمن العقاب
الموت للزرّاع إن قالوا لنا ثمن الكتاب
الموت للأكراد إن قالوا لنا حق التنفس والحياة
ونقول بعد الآن فلتحيا العروبة
مرّي إذن في أرض كردستان .. مري يا عروبة
هذا حصاد الصيف هل تبصرين؟
لن تبصري إن كنتِ من ثقب المدافع تبصرين".

28-02-2007

الكاتب كردستاني مستقل

سياسة اغتيال القيادات الكوردية في ايران عبر القرون



د. فرست مرعي

يطلق الكورد على المنطقة الكوردية في ايران اسم كوردستان ايران، وهي تتكون من اربع محافظات في غرب ايران وهي: اذربيجان الغربية ومركزها مدينة اورمية، وكوردستان ومركزها مدينة سنة (سنندج)، وكرمنشاه ومركزها كرمنشاه (باختران)، وعيلام، ومركزها مدينة عيلام.[١] في حين تطلق الحكومة الايرانية اسم كوردستان رسمياً على محافظة كوردستان التي مركزها سنة (سنندج)[٢].

يؤلف الكورد ثالث اكبر قومية في ايران بعد الفرس والآذريين (الاذربيجانيين)، ويبلغ عدد نفوسهم حوالي ١٠ ملايين نسمة اي ١٧٪ من مجموع نفوس ايران غير انها تحاول فصل الكورد الشيعة من اللُر وغيرهم عن الكورد السنة لاسباب اثنوغرافية، اما مساحة كوردستان ايران فتقدر بـ ١٢٥٠٠٠ كم٢ اي ٨٪ من مساحة ايران[٣].

ينقسم الشعب الكوردي في ايران الى حوالي ٣٠ عشيرة، غالبيتها العظمى مستقرة ما عدا قسما صغيرا نصف منتقل ما بين المشاتي والمصائف، واهم عشائرها هي: شكاك، موكري، ديبوكري، بلباس، جلالي، جوانرو، سنجاري، كوران[٤] (Goran)) وللكرد الايرانيين مراكز مدنية عدا مراكز المحافظات وهي : مهاباد (العاصمة التاريخية لاول جمهورية كردية١٩٤٦، ماكو، سلماس، سقز، بانه، سردشت، لاهيجان)[٥].

وللشعب الكوردي لغته الخاصة به وهي اللغة الكوردية بلهجاتها المتعددة، وهي لغة مستقلة قائمة بحد ذاتها لها قواعدها النحوية والصرفية، وهي ليست لهجة فارسية صغيرة، كما ذكر ذلك بعض المستشرقين وبعض الكتاب الفرس[٦]، وان كانت اللغتان تنتميان الى عالم اللغات الهندو-ايرانية، اللغة الكوردية جزء من الفصيلة الشمالية الغربية التي تضمها مع اللغات البلوشية والبشتونية وغيرها، فيما تعد اللغة الفارسية من الفصيلة الجنوبية[٧].

ان انتماء اللغتين الكوردية والفارسية الى ارومة واحدة، جعل الكثير من القادة الايرانيين يعتبرون

الكورد جزءاً من الفرس، وهذا ما حدا بصناع القرار لدى الفرس الى محاولة صهر الثقافة الكوردية في بوتقة الفرس، وخصصوا لهذه العملية عدداً من علماء التاريخ والادب، حيث كتب رشيد ياسمى بامر وزارة المعرفة الايرانية كتاباً بعنوان (كرد بيو يستكي نزادى وتاريخي او) اي (الكورد وارتباطاتهم العرقية والتاريخية) ليثبت ان الكورد ليسوا بامة منفصلة بل هم من الفرس، وكان يكتب على ابواب جميع صفوف المدارس والدوائر «فارسى سخن كوئيد» اي تكلموا الفارسية[٨].

وفى السياق نفسه حاول كتاب ايرانيون اخرون ربط الكورد بالفرس وكأنهما سلالة واحدة منهم: الدكتور سنجابي والدكتورنادري الذي كتب في جريدة باستان (القديم) موضوعاً تحت عنوان (القضية الكوردية وكوردستان)، والدكتور افشار كتب في مجلة آينده (المستقبل)، وناهيد في مجلة ناهيد واخرون[٩].

ديانة الكورد

الغالبية الساحقة من الكورد من المسلمين السنة، ويتبعون المذهب الشافعي وهم يشكلون ٨٠٪ من مجموع الكورد قاطبة، لكن توجد مجموعات اخرى من الكورد قد تشيعت وفق معتقد الاثني عشري وهم يقطنون مناطق جنوب كوردستان ايران في محافظتي كرمنشاه وعيلام[١٠].

وفضلا عن ذلك توجد طوائف اخرى من الكورد يطلق عليها في كوردستان ايران اهل الحق وهم يندرجون تحت اسم طائفة العلي الالهية، وعقيدتهم مزيجة من التشيع الغالي (الاسماعيلي الباطني) وببعض المعتقدات الايرانية القديمة كالزرادشتية والمانوية والمزدكية والميثرائية[١١].

ويعتقد الباحث ان هذه الطريقة الباطنية الغامضة قد انتقلت الى المنطقة الكوردية في مقاطعتي لورستان وزهاب الواقعة على الحدود العراقية الايرانية بتأثير العقائد البابائية والحروفية والبكتاشية، واخيراً الصفوية، ومما يجدر الانتباه ان احد الباحثين الشيعة يؤكد بان هؤلاء الكورد الباطنيين هم من رواسب الطريقة الصفوية[١٢].

وقد تعاقب على حكم ايران للفترة من ١٥٠٢-١٩٩٢ عدة سلالات حاكمة تنتمي الى اعراق مختلفة تركية وافغانية وكرديةوفارسية منها.

الدولة الصفوية وبداية تشيع ايران

ينسب الصفويون الى الشيخ صفي الدين الاردبيلي ١٢٥٢-١٣٤٣م، وقد ادعى البعض بان نسب هذا الشيخ ينتهي الى الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما[١٣]، وان كان كثير من المؤرخين الفرس والترك ينفون هذا الادعاء ويعتبرونه باطلاً، ولا سيما ان صفي الدين رأى من تمام سطوته ادعاء النسب العلوي، حتى ان زوجته لم تكن تعلم بهذا الادعاء، كما روي ان صدر الدين حفيد صفي الدين لم يكن يدري أحسني هو ام حسيني [١٤].

ويذكر المؤرخ الايراني احمد كسروي بان اسماعيل الصفوي لم يدع النسب العلوي وانما فعل ذلك ابنه طهماسب[١٥].

وهكذا ثار الجدل حول تشيع الشيخ صفي الدين، وان كان القول الراجح يؤكد بانه على المذهب الشافعي فقد ذكر حمدالله المستوفي القزويني في معرض حديثه عن سكان مدينة اردبيل: «واكثرهم على مذهب الامام الشافعي، وهم من مريدي الشيخ صفي الدين الاردبيلي»[١٦]، كما كان القائد الاوزبكي عبيدالله خان قد كتب الى الشاه طهماسب عام ١٥٣٠ رسالة معاتبة مشيراً فيها الى كون الشيخ صفي الدين سنياً، حيث يذكر بهذا الصدد: «...لقد كان الشيخ صفي رجلاً معززاً مكرماً، كما كان من اهل السنة والجماعة...»[١٧].

لذا يؤكد اغلب المؤرخين ان اتجاه البيت الصفوي نحو التشيع قد تم بعد وفاة الشيخ صفي الدين في عهد ابنائه واحفاده، ولعلهم ارادوا جمع عدد اكبر ممكن من الانصار والاتباع بترويجهم انهم من النسل العلوي[١٨].

لقد ظلت ايران لمدة تقارب التسعة قرون تتبع مذهب اهل السنة والجماعة، حتى بعد سقوط الخلافة العباسية، حيث كانت الصبغة السنية واضحة في جميع مظاهر النشاط البشري لسكانها، مما مكن الايرانيين في المساهمة في بناء صرح الحضارة الاسلامية على اسس صحيحة[١٩].

وتم تنصيب الشاه اسماعيل الصفوي عام ١٥٠٢ كاول ملك يحكم من البيت الصفوي، وبعد دخوله تبريز عاصمة دولة الآق قوينلو التركمانية التي اتخذها عاصمة له، امر بان تقرأ الخطبة باسم الائمة الاثني عشرية، وان تسلك على العملة عبارة «لا إله الا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله» ثم يتبع ذلك ذكر السلطان[٢٠].

ويذكر الباحث الشيعي كامل الشيبي بان حكم الشاه اسماعيل اقترن باعلان -طقوس شيعية جديدة- مستندة الى مضمون صوفي ابتغاء تنشيط التشيع داخل ايران «ومن ذلك تنظيم الاحتفال بذكرى استشهاد الحسين رضي الله عنه على النحو الذي يتبع الان وكذلك اضافة عبارة (اشهد ان علياً ولي الله) الى نص الآذان وشهادة الاسلام»[٢١].

وقد دشن العهد الصفوي (١٥٠٢ -١٧٣٦) بداية جديدة للتاريخ الكوردي في ايران، تشغل الفواجع والقتل والتنكيل معظم صفحاته، فان مؤسس الدولة الصفوية الشاه اسماعيل(١٤٨٧-١٥٢٤) كان يرفض كل ما هو كردي، بحيث انه لم يتحمل حتى اولئك الزعماء الكورد الذين جاءوا من بلدة خوي (مدينة كورديةتقع شمال غربي ايران) لتقديم الولاء له، حيث امر بالقاء القبض عليهم جميعاً وعين محلهم ولاة من اتباعه القزلباش[٢٢]، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ الكوردي محمد امين زكي «وكان عهد الشاه اسماعيل وسيره في الكورد... عهد ظلم وعدوان شديدين، لان الكورد كانوا من اهل السنة، فكان لا يأمن جانبهم ويثق بهم... ولهذا لم يكن يدع فرصته تمر من دون ان ينتهزها ويلحق فيها بالكرد اذى كبيراً»[٢٣].

وكانت خطة اسماعيل الصفوي السياسية نحو الكورد ترمي الى القضاء على الامارات الكوردية لاحلال النفوذ والسلطان القزلباشي الشيعي، بعكس الدولة العثمانية التي كانت ترمي الى البقاء على الامارات الكوردية كي تحكم نفسها بنفسها مع اعطاء الولاء فقط للسلطان العثماني[٢٤].

وهذا مما ادى الى اثارة الكورد ضد الحكم الصفوي بسبب الاختلاف المذهبي والعرقي الحاد بين الجانبين، حيث تمكن الكورد من القضاء على الحكام الموالين للصفويين الذين كانوا يحكمون بعض اجزاء كوردستان بشقيها العثماني والايراني آنذاك[٢٥].

وعندما حاول الشاه اسماعيل استعادة ما فقده من نفوذ داخل كوردستان جوبه بمقاومة شديدة اينما احل لمعرفة الكورد بنواياه السيئة وبطشه واستهانته بارواح البشر، حيث لم ينس الكورد ما فعله باخوانهم اهل السنة من التركمان في مدينة تبريز، فعندما دخلها اسماعيل الصفوي سأل عن سكانها من ناحية مذهبهم فذكر له بان ثلاثة ارباع السكان من اهل السنة فقال: «ان من يقول حرفا واحدا فانه سيسحب سيفه ولن يترك احداً يعيش»[٢٦]، وهكذا قتل عشرين الف شخص من سكان تبريز، ولذا فعندما حاصرت القوات الصفوية مدينة دياربكر، قاوم المحاصرون الجيش الصفوي لاكثر من عام، رغم تعرضهم لاشد انواع المضايقة والجوع، وكانت نتيجة هذا الحصار الغاشم هلاك اكثر من ١٥ الفا من سكانها، ولو نجح الصفويون في احتلال المدينة لكانت المصيبة اكبر منها بكثير.

الجذور التاريخية للاغتيال في ايران

رغم النكبات والمذابح الجماعية التي ذاقها الكورد وغيرهم من مجموعات اهل السنة في الهضبة الايرانية من التركمان والبلوش، فانهم اي الصفيين (١٥٠٢-١٧٣٦) حاولوا تصفية القيادات الكوردية من علماء الدين وزعماء القبائل وحكام المناطق وفي العصر الحديث زعماء الاحزاب السياسية، ونجحوا في مخططهم الى حد كبير، وعندما حكمت سلالات اخرى الهضبة

الايرانية من القاجاريين (١٧٩٦-١٩٢٥) والبهلويين (١٩٢٥-١٩٧٩)، وقادة الثورة الايرانية (١٩٧٩-؟)[٢٧] فانهم ساروا على منوالهم، ونفذوا خططهم، ولكن باساليب اخرى قد تتشابه وقد تختلف ولكن مضمونها واحد، هو عدم فسح المجال للشعب الكوردي للم شمله واعادة تنظيم روح المقاومة فيه، فكان حكام ايران عبر القرون حاولوا اماتة روح الجهاد والمقاومة لدى الشعب الكوردي في كوردستان الايرانية.

ولكن هذا لا يعني بان القيادات الكوردية في الاجزاء الاخرى من كوردستان لم تتعرض لحملات التصفية والاغتيال، ولكن هذه الظاهرة في ايران لافتة للنظر الى حد كبير وما زالت مستمرة!

والمتتبع لهذه الظاهرة يرى بوضوح ان لها جذوراً تضرب في التاريخ الايراني تعود الى ايام الدولة الاسماعيلية الباطنية التي انشأها الحسن بن الصباح في قلعة الموت الواقعة في سفوح جبال البرز المطلة على بحر قزوين للفترة من ٤٨٣ لغاية ٦٥٤ هـ حينما قضى عليها هولاكو[٢٨].

وكان الحسن بن الصباح قد انشأ منظمة فدائية (انتحارية بالمفهوم المعاصر) اطلق عليها المؤرخون اسم الحشاشين، غايتها اغتيال المناوئين للدولة والمذهب الاسماعيلي على حد سواء، وكان اعضاء هذه المنظمة ينتقون منذ صغرهم لتعليمهم فنون القتل والاغتيال، حيث نالوا شهرة واسعة منذ اغتيالهم للوزير السلجوقي نظام الملك في سنة ٤٨٥هـ، فارقعوا الخوف والرعب في نفوس المخالفين، حتى وصل الامر الى ان السلاطين والامراء لم يجدوا في «حفظ انفسهم من الفداوية»[٢٩].

وكان مؤسسو هذه المنظمة الارهابية قد اخذوا على عاتقهم تخدير اعصاب هؤلاء الفتيان بنبات الحشيشة لتخديرهم، وهذا ما جعل المؤرخين يطلقون عليهم اسم الحشاشين، ونظراً لكثرة عمليات الاغتيال التي نفذوها ضد مناوئيهم من المسلمين والصليبيين اللاتين ، فقد دخلت هذه الكلمة الى قواميس اللغات الاوربية الحديثة بصيغة Assassins وتعني الاغتيال.

الصفويون ودورهم في تصفية القيادات الكوردية

قام الصفويون خلال حكمهم لايران بعدة عمليات لتصفية القيادات الكوردية ومن ابرزها:

١- قتل الشاه طهماسب (١٥٢٣-١٥٧٦) الامير الكوردي جهانكير بن الشاه رستم احد امراء الاسرة الحسنوية التي كانت تحكم مقاطعة لورستان الواقعة جنوب منطقة كرمنشاه[٣٠].

٢- قتل الشاه عباس الكبير (١٥٨٧-١٦٢٩) شاه وردي بن محمدي امير لورستان عام ١٥٩٦[٣١].

٣- قتل الشاه عباس الكبير الامير الكوردي خاني لب زيرين البرادوستي (صاحب اليد الذهبية)عام ١٦٠٨ مع جميع افراد جيشه الذين قاوموا الهجوم الصفوي على قلعة دمدم[٣٢] الواقعة على بعد ١٥ كم جنوبي مدينة اورمية وكان الهجوم الصفوي ضارياً والمقاومة الكوردية شديدة، حتى ان المؤرخ الصفوي اسكندر بيك تركمان منشئ يصف الحالة بقوله: «لم يترك الاعجام (الصفويون) من المقاتلة (الكورد) احداً ولا من غير المحاربين الا وقتلوه شر قتلة»[٣٣]، لتنمو هذه المأساة فيما بعد الى ملحمة اشاد بها المستشرقون وتغنى بها الادباء[٣٤].

٤- في عام ١٩٦٠ قضى الشاه عباس الكبير على الامير قبادخان رئيس عشيرة الموكري الكوردية مع ١٥٠ من مرافقيه، كما اصدر فرماناً بالقضاء التام على جميع افراد عشيرة الموكري[٣٥] حيث قتل الالاف من ابناء العشيرة وتم اسر الاف النساء والاطفال[٣٦]، كما قام الشاه عباس بتهجير ١٥ الف اسرة كورديةالى منطقة خراسان[٣٧] الواقعة في شرق ايران لكي يفقدوا الحماس للارض التي يعيشون عليها، فتخبو نار ثورتهم، ويعيشون في ذل الغربة والاستكانة، وحتى يكونوا فاصلاً بشرياً بين الصفويين وبين الاوزبك القاطنين فيما وراء النهر[٣٨]، ويذكر احد الباحثين بانه اراد بهذا الاجراء «ان يجعل الكورد السنيين اول

من يتلقون ضربات الاوزبك السنيين، وبهذا يتخلص من كليهما معاً...»[٣٩].

نادر شاه وعلاقته مع الكورد

بعد الفوضى التي سادت الساحة الايرانية بسيطرة نادرشاه على مقاليد الحكم في ايران ١٧٣٦-١٧٤٧ وزوال الاسرة الصفوية، حدث صراع شديد على السلطة، وابتدأت الدول المحيطة بايران في التدخل في شؤونها الداخلية، ولكن مع هذا فان نادر شاه كاسلافه استخدم القسوة بحق الكورد وخاصة في مناطق موكريان وبوتان واربيل، كما ان الانتفاضة التي قامت بها عشيرة دنبلي، وامتد لهيبها الى مناطق خوي وسلماس في اقصى شمال ايران، جعل نادرشاه يقوم بارتكاب مذابح جماعية بحق الكورد لم ينج منها حتى النساء والاطفال[٤٠]، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ الكوردي محمد امين زكي «ولا يخفى ان معاملة نادرشاه للكرد لم تكن طيبة قط، فلهذا كان الكورد يكرهونه اشد الكراهية، حتى انهم الفوا قصائد باللهجة الكورانية الكوردية في هجو نادرشاه، ونعتوه بالقسوة والغدر»[٤١].

ومما يجدر ذكره ان نادرشاه اغتيل يوم ٢٠ تموز ١٧٤٧ اثناء حملته ضد كرد خراسان الذين سبق ان نفاهم الشاه الصفوي عباس الكبير في القرن السابع عشر[٤٢].

القاجاريون وعلاقتهم بالكورد

القاجاريون عشيرة تركية الاصل شيعية المذهب، تقطن شمال اذربيجان ومازندران، قدمت مساعدات كبيرة للصفويين اثناء محاولتهم السيطرة على الهضبة الايرانية، وقد استغل آغا محمد خان القاجاري (١٧٤٢-١٧٩٧) الضعف الذي انتاب حكم الزنديين (الكورد) لايران بعد مقتل نادرشاه عام ١٧٤٧، حيث تمكن من الانتصار على آخر حاكم زندي وهو لطف علي خان عام ١٧٩٤، ليبدأ عهد جديد في حكم ايران تحت سيطرة الاسرة القاجارية الذي دام الى سنة ١٩٢٥[٤٣].

وكان آغا محمد خان على حد وصف المؤرخ الايراني سعيد نفيسي انساناً قاسياً في تقاطيع وجهه حاقداً في اعماقه، انساناً لم يعرف العفو عمن حقد عليه، ولذا تعدى الحدود في قسوته مع الزنديين وكل من تعاون معهم[٤٤] ولاسيما انهم من العرق الكوردي، فبعد انتصاره في اخر موقعة له مع لطف علي خان اخر الحكام الزنديين امر باحضار -عشرين الف زوج من عيون اعدائه امامه- وعندما اتاه خبر اسر لطف علي خان نفسه امر -بقطع رؤوس ستة الاف من الاسرى الزنديين- احتفاء بالمناسبة!![٤٥].

وقد بلغ به الحقد درجة انه قام بنفسه بتقطيع سجادة نفيسة تركها كريم خان الزندي (١٧٦٠-١٧٦٩) لانها كما قيل تذكره بمثوله امامه، كما نقل رفاته مع رفاة نادرشاه الافشاري ودفنهما امام عتبة قصره حتى يظهر بذلك عظمته!.

ومن جانب اخر فانه تصرف بقسوة مع قيادات كورديةاخرى وقفت الى جانبه، منهم صادق خان زعيم عشيرة الشكاك القوية الذين كان يتبعه اكثر من ١٥ الف مسلح، ومنهم ايضاً خسروخان امير امارة اردلان الذي كان يحكم امارة واسعة، وهذا ما حدا بصادق خان الى قتل الشاه آغا محمد خان في خيمته بقلعة شوش الواقعة بمنطقة القوقاز وهو في طريقه للاغارة على جورجيا عام ١٧٩٧.

واستمرت عمليات تصفية القيادات الكوردية في العهد القاجاري على قدم وساق، فقام احمدخان مقدم حاكم مدينة مراغة باغتيال بابير آغا الاول رئيس عشائر منكور، فضلاً عن قيامه بعمليات قتل جماعية للمئات من افراد عشيرة منكور.

وعندما بلغ الظلم والاضطهاد القاجاري ذروته، قام الكورد بانتفاضتهم الكبرى عام ١٨٨٠ بقيادة الشيخ عبيدالله بن السيد طه الشمديناني، حيث كان الشيخ يتمتع بنفوذ ديني ودنيوي كبير بين الكورد في منطقة واسعة تمتد من بحيرة وان غرباً الى بحيرة اورمية شرقاً والى مناطق مهاباد واردلان[٤٦] جنوباً، وقد سجل الشيخ عبيدالله بنفسه وقائع معينة من المظالم القاجارية الايرانية التي دفعت الكورد الى الانتفاضة

ضد طهران، جاء ذلك في رسالتين مهمتين ارسلهما الى المبشر (المنصر) الامريكي في مدينة اورمية الدكتور كوجران الذي كان على علاقة جيدة به[٤٧]، فقد اشار الشيخ في رسالته الاولى التي تحمل تاريخ ٢٥ ايلول ١٨٨٠ ان شجاع السلطنة القاجاري نفذ حكم الاعدام بحق خمسين من اتباعه عام ١٨٧٩ والحق به من الخسائر ما يربو قيمتها على مئة الف تومان (عملة ايرانية)، كما عذب القاجاريون الشخصية الكوردية المعروفة في المنطقة (فرج الله خان) حتى الموت، وفرضوا غرامات ثقيلة على زعماء الكورد، كما اهانوا النساء، ورداً على ذلك اعلن الشيخ انه ارسل: «ابناءه على رأس قواته الى ايران للثأر عما لحق باخوانه من اضرار[٤٨]».

وقد تمكنت القوات الايرانية بدعم روسي مباشر وبخديعة من المبشر الامريكي كوجران المقيم في مدينة اورمية[٤٩] من سحق الانتفاضة الكوردية وتصفية عدد كبير من قادتها، حيث حشر جليل آغا في فوهة مدفع فمزقته القذيفة اثناء اطلاقها، اما جعفر آغا رئيس عشائر منكور التي لها الدور الكبير في هذه الانتفاضة فقد دعاه القائد الايراني امير نظام (كردي الاصل) الى الاجتماع به في مدينة ساوجبلاغ (مهاباد) واقسم انه لن يمسه بسوء طالما كان حياً على وجه الارض، وبعد وصول الزعيم الكوردي دعاه القائد الايراني امير نظام الى خيمته، وبمجرد دخول جعفر آغا الخيمة اطلق الحراس النار عليه حسب الاشارة المتفق عليها مع القائد الايراني فمزقت الرصاصات الخيمة وخر جعفر آغا صريعاً على ارض الخيمة، وعندها اوضح امير نظام بانه لم يغدر بضيفه جعفر آغا وحافظ على وعده ! لانه اقسم بالقرآن بانه لن يغدر بجعفر آغا ما دام على وجه الارض، وهو في هذه الحالة كان تحت الارض[٥٠] حيث حفرت له حفرة خاصة بهذا الخصوص!!. وبهذا الاسلوب غير الاخلاقي تخلص الايرانيون من عدد كبير من زعماء عشيرة البلباسي الكوردية اثناء دعوتهم للاشتراك في حفلة احد الاعياد في مدينة مياندوآب[٥١].

وقد استمرت هذه الظاهرة تترا عند الحكام الايرانيين ولم يتعظ الزعماء الكورد او ياخذوا درساً مما لحق باسلافهم من القتل والتصفيات، فقد استطاع ممتاز السلطنة حاكم اذربيجان المقيم في مدينة تبريز عاصمة الاقليم من الايقاع بـ (جوهرآغا) زعيم قبائل الشكاك الكوردية الضاربة وشقيق سمكو شكاك[٥٢]، حيث دعاه الى زيارته في مقره في تبريز، واقسم له بالقرآن بانه لن يلحق به اي سوء في حالة حضوره الى تبريز للتباحث بشأن القضايا المتعلقة بين الجانبين الكوردي والايراني وتعيينه حاكماً على المنطقة الكوردية[٥٣]، وفعلاً لبى الزعيم الكوردي جوهر آغا الطلب، حيث حضر ومعه عدد قليل من حراسه، وبعد انتهاء الاجتماع واثناء توديعه من قبل حاكم اذربيجان، وحيث كانت الخطة مهيأة مسبقاً كما يقول المستشرق الروسي مينورسكي[٥٤]: بدأ الجنود الايرانيون باطلاق النار على جوهر آغا فاردوه قتيلاً وقد دافع عنه حماته من افراد عشيرته دفاع الابطال، حيث كادوا يأسرون حاكم اذربيجان، الا انه كان محاطاً بعدة مئات من الجنود، ولكن اكثريتهم استطاعت النجاة بانفسها عبر طرق هي اقرب الى طريقة الافلام الامريكية (كاوبوي). وقد رأى مينورسكي بام عينيه الزعيم الكوردي «جوهر آغا مع ثمانية من حراسه معلقين في صف واحد باحزمة الخراطيش»[٥٥].

الاسرة البهلوية وصراعها مع الكورد

في بداية ١٩٢١ وبعد انقلاب عسكري بدعم بريطاني جاء رضا خان الى الحكم، وفي عام ١٩٢٥ ازاح رضا خان الاسرة القاجارية واعلن نفسه ملكاً على ايران، حيث طبق سياسة دكتاتورية تجاه صهر القوميات المختلفة[٥٦].

وكان الزعيم الكوردي سمكو شكاك رئيس عشائر الشكاك الضاربة والقاطنة غرب بحيرة اورمية قد استغل سنوات الحرب العالمية الاولى، ودخول عدد من الجيوش الاجنبية الاراضي الايرانية للقيام بانتفاضة كوردية في سنوات ١٩٢٠-١٩٢٢، حيث تمكن من السيطرة على الجزء

الاكبر من كوردستان ايران، واعلن الاستقلال ونشر برنامجا كرديا اوضح فيه بجلاء مطالب الشعب الكوردي العادلة، كما انه حاول التنسيق مع الزعيم الكوردي الاخر محمود الحفيد البرزنجي الذي نصب نفسه حكمداراً لكوردستان الجنوبية (كوردستان العراق) خلال سفره الى مدينة السليمانية في عام ١٩٢٣ محاولاً تنظيم الحركة الكوردية وتوحيد اهدافها في البلدين(٥٧).

وكانت هذه الحركة احد ابرز المعوقات التي وقفت حجر عثرة امام الشاه، شاه رضا خان لتوحيد ايران وانشاء سلطة مركزية دكتاتورية، لذا رسم الشاه خطة مع اركان حكمه من شأنها تصفية الزعيم الكوردي سمكو، وهكذا دعا احد كبار ضباط الجيش الايراني سمكو للالتقاء به في مدينة شنو (اشنوية) الواقعة جنوبي بحيرة اورمية شرق الحدود العراقية بقصد التفاوض، وانطلت الحيلة على سمكو، ولم ياخذ الدرس من مقتل اخيه جوهر آغا بيد نفس هؤلاء الحكام، حيث سافر في ٢١ حزيران الى مدينة شنو وهناك قتل بطريقة اقل ما يمكن ان يطلق عليها لا اخلاقية(٥٨).

وكانت حادثة اغتيال الزعيم الكوردي سمكو شكاك بمثابة الشرارة التي اندلعت على اثرها الانتفاضة تلو الانتفاضة في سائر اجزاء كوردستان الايرانية، وتضامناً مع الانتفاضة الكوردية بقيادة احسان نوري باشا ضد السلطات الاتاتوركية التركية، قامت انتفاضة عشائر الجلالي بقيادة الزعيمين بيرهو وفرزنده التي استمرت الى سنة ١٩٣١، وقد تعاونت الحكومتان التركية والايرانية من اجل القضاء على هذه الانتفاضة التي لاقى احد قوادها (بيرهو) حتفه، حيث وضع ابناء المنطقة نشيداً في رثائه:

قم يا بيرهو، بالله قم، قم
لماذا تركت آرارات خراباً(٥٩)

اما الحدث الاكبر في تاريخ الكورد في ايران فهو اعلان - اول جمهورية كوردية في التاريخ المعاصر- التي يطلق عليها جمهورية مهاباد على اساس ان تأسيس هذه الجمهورية الفتية اعلن في مدينة مهاباد في ٢٢ حزيران ١٩٤٦.

الا ان الرياح لم تجر بما تشتهي السفن، فكان الكورد يتوقعون بان جمهوريتهم سوف تكتب لهم عمرا طويلا بدعم ومساندة الاتحاد السوفيتي ولم يكن يدور بخلدهم ان للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة مصالحها الخاصة التي قد تتقاطع مع اماني وطموحات الشعب الكوردي، ففي السابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧ولما تمض على تأسيس الجمهورية الكوردية الا اشهر عديدة اعلن السفير الامريكي في طهران جورج فاعلن تصريحاً واضحاً بين فيه: «ان نية الحكومة الايرانية التي اعلنت بارسال قوات امن الى كل انحاء ايران.. تبدو لي من القرارات الاعتيادية الصحيحة»، وهكذا دخلت القوات الايرانية الجمهورية الكوردية وقضت على استقلالها في ٢٧ كانون الاول ١٩٤٧، وتم القاء القبض على رئيس الجمهورية القاضي محمد وعلى اخيه صادر قاضي عضو البرلمان الايراني وابن عمه سيف قاضي وزير دفاع جمهورية مهاباد، حيث اصدرت محكمة عسكرية ايرانية حكم الموت على القادة الثلاث، وتم تنفيذ الحكم الجائر في ٣١ آذار ١٩٤٧، وكانت بامكان القاضي محمد ورفاقه النجاة بانفسهم ولكنهم رأوا ان يكونوا الضحايا باعتباهم المسؤولين عن الجمهورية(٦٠).

واستمرت عمليات تصفية الزعامات الكوردية طيلة عهد الشاه (محمد رضا بهلوي) حيث تم القضاء على معيني في الستينيات باوامر ايرانية وبايد كردية.

ومن جهة اخرى فان مجيء الثورة الايرانية لم يغير من واقع هذه الظاهرة شيئاً، حيث استمرت عمليات تصفية القيادات الكوردية بدءاً باغتيال الدكتور عبدالرحمن قاسملو رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني الايراني مع زملائه في فينا عاصمة النمسا في ١٣ تموز ١٩٨٩ على ايدي المخابرات الايرانية (ساوما)، في حين انه كان مدعواً لاجراء مفاوضات مع الجانب

الايراني لحل المسألة الكوردية، وعلى المنوال نفسه تم اغتيال سلفه في قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني الايراني شرفكندي وقادة اخرين عام ١٩٩٢[٦١].

واخيرا يبدو ان القادة الايرانيين على شتى اتجاهاتهم العقائدية مستمرون على نهجهم في تصفية وانهاء الزعامات الكوردية بشتى اتجاهاتها، التي لم تستوعب الدروس لحد الان.

المصادر والمراجع والهوامش

(١) عبدالرحمن قاسملو: اربعون عاماً من الكفاح من اجل الحرية، ج١ ص٢١

(٢) جمال رشيد تاريخ الكورد القديم، جامعة صلاح الدين ١٩٩٠، ص١٢-١٣

(٣) عبدالرحمن قاسملو: كوردستان والاكراد، بيروت، ص١٢٥

(٤) وليام ايغلتن الابن: جمهورية مهاباد، ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله، ص٣٨-٤٩، باسيل نيكيتين: الاكراد، بيروت، ص١٤٤-١٦٠.

(٥) كمال مظهر احمد: دراسات في تاريخ ايران الحديث المعاصر، بغداد، ص٢٢٧

(٦) جلال الطالباني: كوردستان والحركة القومية الكوردية، بيروت دار الطليعة، ص٤٥

(٧) فلاديمير منيورسيكي: الاكراد ملاحظات وانطباعات، ترجمة معروف خزندار، بيروت، ص٥٤-٥٥.

(٨) عبدالرحمن قاسملو: اربعون عاماً من الكفاح، ص٢٥

(٩) عزيز شمزيني: الحركة التحررية للشعب الكوردي، كوردستان ١٩٨٦ ص٤

(١٠) مارتن فان برونسن: المجتمع الكوردي-العراق، القومية، ومشاكل اللجوء، دهوك، ص١٥-١٦

(١١) ادموندز: كرد وترك وعرب، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد، ص١٦٨-١٧٤

(١٢) كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، ص٣٨٠-٣٨١

(١٣) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج٣ ص٣٢٦-٣٢٧

(١٤) كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، ص٣٥٢

(١٥) المرجع نفسه، ص٣٥٢ نقلا عن احمد كسروي في مقالة نزاد وتبار صفوية المنشور في مجلة آينده (المستقبل) ١٣٠٥هـ.ش ١٩٢٦

(١٦) حمدالله مستوفي القزويني: نزهة القلوب. المقالة الثالثة في صفة البلدان والولايات والبقاع، بسعي واهتمام كاي لسترنج، ص٨١

(١٧) نصرالله فلسفي: زندكاني شاه عباس اول، جاب اول، ١٣٣٤ هـ.ش، جلد ١ ص ١٦٥ حاشية٣

(١٨) بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير، ص٨

(١٩) عبدالنعيم حسنين: ايران في ظل الاسلام، ص٦٩

(٢٠) بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير، ص١٠

(٢١) كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، ص٣٧٢ نقلا عن تاريخ شاه اسماعيل ص ٤١أ

(٢٢) القزلباش: طائفة من التركمان الشيعة يغطون رؤوسهم بقلانس حمراء اللون تتكون من اثنتي عشرة لفة تيمنا بائمة الشيعة الاثني عشرية ويتكونون من عدة قبائل تركية منهم: القاجار والافشار والروملو والشاملو والاستاجلو وغيرهم (الباحث).

(٢٣) محمد امين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ترجمة محمد علي عوني، بغداد ١٩٦١، ص١٦٤

(٢٤) المرجع نفسه، ص١٦٤

(٢٥) كان يطلق على كوردستان التي قسمت بين الدولتين العثمانية السنية والصفوية الشيعية عشية معركة جالديران ١٥١٤م كوردستان العثماني وكوردستان الفارسي (الباحث).

(٢٦) احمد الخولي: الدولة الصفوية- تاريخها السياسي والاجتماعي- علاقتها بالعثمانيين، ص٥١-٥٢

(٢٧) السلالتان الصفوية والقاجارية التي حكمتا ايران للفترة من ١٥٠٢ لغاية ١٩٢٥ ما عدا فترة قليلة حكم

فيها نادر شاه الافشاري من ١٧٣٦ الى ١٧٤٦ والزنديين من ١٧٦٠ لغاية ١٧٩٦، كانوا من الجنس التركي، بعكس الاسرة البهلوية ومن تلاهم فكانوا من الجنس الفارسي (الباحث).

(٢٨) محمد السعيد جمال الدين: دولة الاسماعيلية في ايران، القاهرة ١٩٧٥، ص١١٢-١١٣ هامش ٥

(٢٩) العماد الاصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٦٣

(٣٠) شرفخان البدليسي: الشرفنامة، ترجمة جميل بندي الروزبياني، ص٧٦ هامش ١

(٣١) المصدر نفسه، ص٦٩

(٣٢) كمال مظهر احمد: دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، ص٢٣١، صالح محمد امين: كردو عەجەم مێژووی سیاسی کوردەکانی ئیران (باللغة الكوردية)، ١٩٩٢، ص٣٠-٣١.

(٣٣) اسكندر بك تركمان منشئ: تاريخ عالم آراي عباس، تهران ١٣٣٤ هـ. ش. ص٧٧٠

(٣٤) ينظر لهذا الصدد: جاسم جليل: بطولة الكورد في ملحمة قلعة دمدم، ترجمة شكور مصطفى، تقديم ومراجعة عزالدين مصطفى رسول، بغداد ١٩٨٣.

(٣٥) محمد امين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ص١٩٤

(٣٦) اسكندر بك تركمان منشئ: عالم آراي عباس، ٥٧٥

(٣٧) كمال مظهر: دراسات في تاريخ ايران، ص٢٣١.

(٣٨) Sikes. Percy: History of Persia. London Vol.II, P.174

(٣٩) بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير، بيروت ١٩٨٠، ص٩٤

(٤٠) كمال مظهر: دراسات في تاريخ ايران، ص٢٣٢

(٤١) محمد امين زكي: خلاصة تاريخ الكورد، ص٢١٦

(٤٢) Sikes. Percy: History of Persia. London Vol.II, P.291

(٤٣) كمال مظهر: دراسات في تاريخ ايران، ص٢٣٣،٢٣

(٤٤) سعيد نفيسي: تاريخ اجتماعي وسياسي، در ايران، دوره معاصر، تهران، جلد اول، ص٤٦،٥٥،٥٧

(٤٥) علي بينا: تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران. آزكلناباد تاتركمانجى، جاب سوم تهران، جلداول، ص٣٥

(٤٦) ن.أ. خالفين: الصراع على كوردستان، ترجمة احمد عثمان ابو بكر، جامعة بغداد ١٩٦٩، ص١١٧-١١٨

(٤٧) وليام ايغلتن الابن: جمهورية مهاباد، ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله، ص١٩

(٤٨) ن.أ. خالفين: الصراع على كوردستان، ص١٣٣

(٤٩) وليام ايغلتن الابن: جمهورية مهاباد، ص٢٠

(٥٠) مينورسكي: الاكراد ملاحظات وانطباعات، ص٩٦، نيكيتن: الاكراد، ١٧٢، وليام ايغلتن الابن: جمهورية مهاباد، ص٢٧

(٥١) نيكتن: الاكراد، ص١٧٢

(٥٢) مينورسكي: الاكراد ملاحظات وانطباعات، ص٩٣-٩٤

(٥٣) ايغليتن: جمهورية مهاباد، ص٢٧

(٥٤) مينورسكي: الاكراد ملاحظات وانطباعات، ص٩٤، وليام ايغلتن الابن: جمهورية مهاباد، ص٢٧

(٥٥) المرجع نفسه، ص٩٤

(٥٦) عبدالرحمن قاسملو: كوردستان والاكراد، ص٩٩، عبدالرحمن قاسملو: اربعون عاما من الكفاح من اجل الحرية، ص٢٤

(٥٧) عبدالرحمن قاسملو: اربعون عاما من الكفاح من اجل الحرية، ص٢٤

(٥٨) وليام ايغلتن الابن: جمهورية مهاباد، ص٣٠، نيكيتن: الاكراد، ص١٥٩

(٥٩) عبدالرحمن قاسملو: اربعون عاما من الكفاح من اجل الحرية، ص٢٥-٢٦

(٦٠) وليام ايغلتن: جمهورية مهاباد، ص١٩٦-١٩٧، عبدالرحمن قاسملو: كوردستان والاكراد ص١٠٤-١٠٧

(٦١) فرست مرعي الدهوكي: التغلغل الايراني في كوردستان العراق / مجلة السنة – لندن ١٩٩٨ ص٧٥-٨٨.

كرد فلسطين



د. محمد علي الصويركي*

ارتبط وجود الكرد في فلسطين بشكل لافت للنظر في القرون الوسطى وخصوصا بإحداث الصراع الإسلامي – الصليبي على بلاد الشام ومصر أيام الدولة النورية التي أسسها نور الدين زنكي، وبالدولة الصلاحية الأيوبية التي أسسها البطل الكردي الخالد صلاح الدين الأيوبي، وبعد هذه الفترة ظل الكرد يتوافدون إلى مدن وقرى فلسطين في العهود اللاحقة منذ أيام الدولة المملوكية والعثمانية والانتداب البريطاني حتى بدايات العصر الحديث، وكانوا يأتون إليها على شكل مجاهدين في الجيوش الإسلامية التي تشكلت منذ أيام نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، وقد أعطى الأخير الكثير من الأمراء الكرد إقطاعات خاصة بهم في مدن فلسطين الرئيسة من اجل الدفاع عنها أمام الغزوات الصليبية القادمة، والعمل على صبغ البلاد بالطابع الإسلامي بعدما كانت فلسطين مملكة صليبية احتلت لأكثر من مئة عام، وأفرغت من سكانها الأصليين.

فكانت سياسة صلاح الدين تقوم على إسكان الجنود الكرد في المدن الفلسطينية وإعطائهم إياها إقطاعات خاصة بهم، ومع الأيام شكل الكرد الموجودون في هذه المدن أحياء خاصة بهم في كل من القدس والخليل وعكا ونابلس وغزة، واشتهرت باسمهم" محلات الأكراد"[(1)].

فعلى سبيل الذكر اسكن صلاح الدين (الكرد) في مدينة الخليل، ومع الأيام اخذوا ينافسون السكان على زعامة المدينة، فصار بها حلفان، الحلف الأيوبي الكردي، والحلف العربي التميمي، ودخل الحلفان في صدامات وصراعات عشائرية انتهت بهم إلى (مذبحة السلطان قايتباي) المملوكي سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م، وكانت مذبحة فاحشة، نتج عنها تفرق الحلفين إلى جهات مختلفة في فلسطين، فتفرق الكرد إلى نابلس واللد والقدس وخان يونس، وانتهت الأمور بتدخل السلطان المملوكي آنذاك، حتى ضعفت شوكة الأيوبيين في الخليل في القرن التاسع عشر قبيل حملة إبراهيم باشا المصري على بلاد الشام ١٨٣٠م[(2)].

أما مدينة نابلس فقد منحها السلطان صلاح الدين الأيوبي لابن أخته حسام الدين لاجين بعد أن فتحها الأخير وأخرج الصليبيين منها، وأصبحت إقطاعاً له، وبعد وفاته انتقلت إلى الأمراء الكرد أمثال سيف الدين علي بن احمد الهكاري. كما شكل كرد نابلس أكثرية الجيش المملوكي، وكان من بينهم رجال إدارة وحكم مرموقون[(3)].

واستمر مجيء العلماء ورجال الدين الكرد إلى

مــدن فلســطين في العصر المملوكي، فقد نزل الشــيخ إبراهيم بن الهدمة الكردي قرية (ســعير) الواقعة ما بــين القدس والخليل، وكان صاحب كرامات، وأقام بها حتى توفي سنة 730هـ/1329م. كما نزل العالم بدر الدين الهكاري الصلتي وأبناؤه مدينة القدس قادمين إليها من مدينة الســلط شرقي الأردن، وكونوا (حارة السلطية) نسبة إلى بلدة السلط التي قدموا منها، وتولى أحفاده إمامة المســجد الأقصى لعقود طويلة، وعرفوا بعائلــة (الإمام)، ولا يزالون يقيمــون في القدس إلى اليوم[4].

وكان عدد الكرد كبيرا في مدينة القدس، إذ شكلوا بها حــارة خاصة بهم عرفت باســم " حارة الأكراد"، وكانت تقع غربي حارة المغاربة، وتعرف اليوم باســم حارة الشرف.

وشــهدت القدس اســتقبال عدد لا بــأس به من علمــاء الكرد أيضاً، مثل الشــيخ احمد محمد الكردي البســطامي- شــيخ البســطامية بها- الــذي عمل في التدريس بالمدرســة الصلاحيــة الصوفية، وبقي فيها حتى توفي ســنة ٨٨١هـ/ ١٤٠٠م. والشيخ يوسف الكردي الذي درس بالمدرسة الصلاحية، والشيخ جبريل الكردي الذي كان من أهل الفضل، ومن أصحاب شــيخ الإسلام الكمالي، والشــيخ نجم الدين داود الكردي الذي درس بالمدرســة الصلاحية، والشيخ درباس الكردي الهكاري المدرس بالمدرسة الجاولية، وكان صالحاً معتقداً[5].

كما توجد اليوم في ســاحة الحرم القدسي الشريف (القبة القيمرية)، نســبة إلى جماعــة من المجاهدين الكرد القادمين من(قلعة قيمر) الواقعة في الجبال بين الموصل وخلاط ، ونسب إليها جماعة من الأمراء الكرد، ويقال لصاحبها ابو الفوارس، ومن المدفونين في (القبة القيمرية) الشــهيد الأمير حسام الدين (أبو الحسن بن أبي الفوارس القيمري المتوفى ســنة 648هـ/١٢٥٠م)، والأمير ضياء الدين موســى بن أبــي الفارس المتوفى سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، والأمير حسام الدن خضر القيمري المتوفى ســنة ٦٦٥هـ/١٣٦٢م، والأمــير ناصر الدين أبو الحســن القيمري المتوفى ســنة 665هـ/1266م. ولا يــزال أحفاد هؤلاء الأمراء يعيشــون اليوم في القدس، وفي بلدة (دورا) بالخليل، ويعرفون (بآل القيمري)[6]. وقد هاجر قســم منهم بعد حــرب حزيران ١٩٦٧ إلى مدينتي عمان والزرقاء بالأردن.

كمــا قدم الكرد الى القــدس وجوارها خلال العهد العثمانــي، بعــد أداء فريضة الحــج، واقاموا في زاوية خاصــة بهم وهي حي الأزبكيــة[7]، وعمل بعضهم في الجيــش وقوات الأمــن، إذ كان احمــد محمد الكردي مســتخدماً في قوات الأمن[8]، ومحمــد فيروز الكردي مســتخدماً في قوات الأمن[9]، وحســن قواس البرزاني الكردي مستخدما في الجيش[10].

كما أشارت سجلات محكمة يافا الشرعية الى توطن عدد من الكرد في قضاء يافا في العهد العثماني (١٨٦٤-١٩١٤م). حيــث عملوا في الجيش وقــوات الأمن داخل قضــاء يافا وخارجه، وبعضهم آثروا البقاء في المنطقة بعد انتهاء خدماتهم العسكرية، كما تظهرُ حجج حصر التركات في محكمة يافا الشــرعية[11]. فكان حسن آغا الكردي القاطن في (ســكنة ارشــيد) بيافا أحد أفراد الجيــش العثماني في قضاء يافــا[12]. وكان الحاج بكير آغا الكردي جاويش في العســاكر العثمانية المرابطة في القضاء[13]. وكان الحــاج احمد آغا بن محمد القواس الكردي القاطن في مدينة الرملة يوزباشي زاندرمة في لواء بني غازي[14].

وفي العهد العثماني شكل الجنود الكرد حارة خاصة بهــم في مدينة غزة - مقر ســنجق غــزة العثماني- خلال القرن السادس عشر الميلادي[15].

وعندما زار الرحالة التركي " أوليا شــلبي" مدينة صفد عــام ١٦٧١ م، ذكر بان معظم ســكانها جند من الكرد، ولهم حارة خاصة باســمهم " حــارة الأكراد"، وبها ٢٠٠ دار[16].

ويلاحــظ بان الكرد اســتمروا بالقــدوم إلى مدن وقرى فلســطين خلال العهد العثماني من حيٍ الكرد بدمشــق، ومن الجزيــرة، وديــار بكر، طلبــا للعمل

والتجـارة، أو العمل كموظفـين واداريين، أو جنود في الجيش العثماني.

من أبرز العشائر والعائلات الكردية في فلسطين

- الأسرة الأيوبية الكبرى :

جاء في (وثيقة الأسـرة الأيوبية الكبرى) المنشورة عام ١٩٤٦ أسـماء العائلات المتفرعة من الأسرة الأيوبية الكـبرى، وهم كرد أيوبيون يعودون بأصولهم الكردية إلى الدولـة الأيوبيـة، وكانـوا ضمن مـن توطنوا في فلسطين بعد تحريرها من الاحتلال الصليبي، وتسكن أغلبيتهم اليوم في مدينة الخليل بشكل خاص والبقية في مدن فلسـطين الأخرى، والأسـرة الأيوبية الكبرى تضم العشـائر والعائلات الكردية الآتيـة: أبو خلف، صلاح، الهشـلمون، طبلت، جويلـس، البيطار، حمور، زلوم، حريـز، الربيحية، البرادعي، احمرو، الجبريني، امحيسن، أبو زعرور، عرعر، صهيون، الحزين، برقان، سـدر، فخذ أبو سـالم/ مرقه، المهلوس، رويشـد، أبو الحلاوة، الحشـيم، متعب، قفيشـه. وكانوا يشـكلون حوالي نصف أو ثلث سكان مدينة الخليل.وقسم منهم يسـكن اليوم في مـدن جنين ونابلـس والقدس ويافا ومصر والأردن[17].

-عائلة الإمام:

يسـكنون اليوم حول المدرسة الأمينية إلى الشمال من الحرم القدسـي الشـريف، ويعودون بأصولهم إلى العالم ضياء الدين محمد أبي عيسـى الهكاري الصلتي القادم إليها من حارة الكرد في مدينة (السلط) بالأردن خلال العصر المملوكي، وقد تولى أحفاده إمامة المسجد الأقصى لقرون طويلة، ومنها لبسهم لقب الإمام ولقبوا به إلى اليوم[18].

-آل زعرور:

من أكثـر العائـلات الكرديـة عـدداً، ويعودون بأصولهـم إلى الأيوبيين، ويسـكنون اليوم في العيزرية شرقي القدس، وفي مدينة الخليل[19].

-دار الملا:

وهم كرد من نسل ملا أو منلا علي حاكم الناصرة الذي ينتسبون إليه، ويسكنون مدينة الناصرة[20].

-آل سيف:

يقال بأنهم من نسل آل سيفا الأكراد الذين حكموا طرابلس وعكار شـمالي لبنان في القرن السادس عشر، وقـد نزلوها بعد صراعهم مع المعنيين في جبل لبنان منذ قرون خلت[21].

-آل موسى وآل عيسى:

عرفـت ذريتهـم بالبرقاوي نسـبة إلى بلدة برقة بجـوار نابلس، وينحدرون من آل سـيفا الكرد حكام طرابلـس وعكار في شـمالي لبنان في القرن السـادس عشر، ويقيمون اليوم في قرية شوفه وكفر اللبد[22].

-آل القيمري:

وهـم من أحفاد الأمـراء الكرد الذيـن قدموا إلى فلسـطين من منطقة (قيمر) الواقعة في الجبال بين الموصل وخلاط في كردسـتان العراق، وقد اسـتقروا في مدينة الخليل في عصـر الدولة الأيوبية بصفتهم مجاهدين في جيش صلاح الدين الأيوبي، ولأجدادهم اليـوم (القبـة القيمرية) القائمة في الحرم القدسـي الشـريف وتضم رفات بعض أمرائهم الذين استشهدوا في تلك الحروب [23]، ويسكن آل القيمري اليوم في بلدة (دورا) الخليل، وقسم منهم هاجر إلى عمان بالأردن.

من عائلات مدينة القدس:

تضـم مدينـة القـدس عـددا مـن العائـلات الكرديـة وهـي: عائلة أبـي اللطف، الكـرد، الكردي، البسطامي،عليكو، الأيوبيون مثل: السائح، أبو غليون، عكه، قفيشه، غراب، أبو حميد، الأيوبي، الحزين، سدر، مرقه، علـوش، الجبريني، البرادعـي، فراح، امحيس، متعب، الأيوبي، زلوم، حريز، اعسيلة.

ويذكر بـأن الكرد قدمـوا الى القـدس وجوارها بعـد أداء فريضة الحج، واقامـوا في زاوية خاصة بهم وخصوصا في حـي الأزبكية، وعمل بعضهم في الجيش وقوات الأمن.[24].

ومن العائـلات الكردية الأخرى المقيمة في القرى والمـدن الفلسـطينية: الشـحيمات فرع من عشـيرة

البشــاتوه كانوا يقيمون في قرى (كوكب الهوا ، والمزار، والبشــاتوة) في قضاء بيسان، وقد هاجر أغلبيتهم إلى غور الأردن واســتقروا به في مدينة الشونة الشمالية والمنشية ووقاص واربد بعد عام ١٩٤٨[25].

وهناك عائلات:الآغا في مدينة (صفد)، والكردي في قرية (دير البلح)، والكردي والكنفاني في مدينة (عكا)، والكردي وفشري من الأيوبية في مدينة (اللد)، والكرد الأيوبيــة في قرية الربيحية/ قضاء الخليل، واللحام في بلدة (صوريــف)، والكردي في مدينة طبرية، والظاظا في مدينة (بيسان)، وأبو زهرة والكردي وزلوم والسائح في مدينــة (نابلس)، وعائلات الناجي، باكير، علوه، في طيرة حيفا، وهم من اصل كردي قدموا اليها من ديار بكر، وهم من ذراري ثلاثة أقرباء وهم: بكوه(باكير)، و علوه(علي)، وحسوه(حسن) وكان يقيمون في (طيرة حيفا)،وبعــد عام 1948 هاجــروا الى الأردن، وهناك آل مــراد الكردي، والآغــا، والظاظا، والكردي في قطاع غزة، والكــردي في (مخيم عائدة) بجــوار بيت لحم، والآغــا في مدينة (خان يونس)، والكــردي في مدينة (بئر الســبع)، وأبو زهرة في (يطا) قرب نابلس، وكرد البقــارة والغنامة في قضاء طبرية، والكردي في قريتي (حــوارة وحواســة)، والكــردي في مدينــة (الرملة)، والكــردي في قرية (عين عريك) ، والكرد في (القدس والخليل ودير البلح وبيت طيما)، والأيوبي والسعدية من الأسرة الأيوبية في مدينة (يافا)، وآل أبي الهيجا في قرية (عين حوض)[26].

مدينة غزة:

عاشت عائلة الظاظا في قرية «الكوفخة» في منطقة بير الســبع حتى عام ١٩٤٨، وعندمــا تعرضت القرية للهدم والتجريــف رجعوا الى مدينة غزة، ويقول أحد أفراد عائلة الظاظا بان أساس العائلة من كرد كردستان وقد جاء جدهم الى غزة أيام الدولة العثمانية بحكم وظيفته، وكان اســمه الحاج مصطفى الظاظا، وانجب ولدين همــا عبد الحميد، و(عبد ربه) الذي ذهب مع وأولاده عبد الرحمن وديب وســكن في قرية الكوفخة وعملــوا في الفلاحة وتربية الأغنام والجمال[27]، وبعد تدمير هذه القرية ١٩٤٨نزلوا مدينة غزة[28].

مدينة طبرية:

وفي طبريــة تســكن عائلة الكردي التــي تنتمي الى عشــيرة الايزولــي الكرديــة في ســوريا[29]. وقد عينت حكومــة الانتــداب البريطاني الســيد محمد أيوب ظاظا(أبــا أيوب الكردي) مختاراً للمســلمين في مدينة طبرية، وهناك عائلــة بكداش، وعائلة خليل الكردي(جــرس)، وعائلــة ظاظا وجدهــم هو الحاج درويش ظاظا، وعائلــة بكر آغا (ازولي)وجدهم بكر صدقي آغا (أزولي)[30].

مدينة يافا:

أشارت ســجلات محكمة يافا الشرعية إلى توطين عدد من الكرد في قضاء يافاء في العهد العثماني(١٨٦٤-١٩١٤م). إذ عملــوا في الجيش وقوات الأمن داخل قضاء يافا وخارجه، وبعضهم آثــروا البقاء في المنطقة بعد انتهاء خدماتهم العســكرية، كمــا تظهر حجج حصر الــتركات في محكمة يافا الشــرعية[31]. فكان حســن آغا الكردي القاطن في ســكنة ارشــيد بيافا أحد أفراد الجيش العثماني في القضــاء[32]. وكان الحاج بكير آغا الكــردي جاويش في العســاكر العثمانيــة المرابطة في القضاء[33]. وكان الحــاج احمد آغا بن محمد القواس الكردي القاطن في مدينة الرملة يوزباشي زاندرمة في لواء بني غازي[34].

ونتيجة للصراع العربي- الإســرائيلي الذي جرى في فلســطين وخصوصا حربي عــام ١٩٤٨، وعام ١٩٦٧م هاجر الكثير من العائلات الكردية الســابقة الذكر إلى بعض الدول العربية المجاورة كســوريا ولبنان ومصر والعــراق والأردن ودول الخليــج، والى بعــض الــدول الأوروبية وأمريكا.

يلاحظ بان أغلبية كرد فلســطين قد اســتعربوا، وذلــك بســبب وجودهم في فلســطين منذ عشــرات الســنين والتــي تعود إلى حوالي تســعمئة ســنة أيام الحروب الصليبية، فكانت هذه الفترة الزمنية الطويلة

كفيلة بتعريبهم وصهرهم في بوتقة المجتمع العربي الفلسطيني، ولم يعد يربطهم بكرديتهم أي شيء سوى قول بعضهم (بان أصولنا كردية)، بل يذهب البعض منهم إلى التشكيك بهذه الاصول الكردية المعروفة على الرغم من أنها مثبته في العديد من المراجع والمصادر. ولهذا فان أغلبية كرد فلسطين ليس لديهم شعور قومي ككرد، أضف إلى ذلك ما سببته لهم ظروف النكبة الفلسطينية من مآس وويلات، فقد جردوا من أملاكهم وأراضيهم وشردوا في بقاع الأرض، فكان همهم الأول منصباً على تأمين لقمة العيش والمسكن، وعدم الالتفات إلى الجذور والأصول والبحث عنها، فهي بنظرهم لم تعد تفيدهم بشيء أمام وطأة العدوان، والتشرد في بقاع الأرض، كما أن تشتتهم في الكثير من دول العالم حال دون تجمعهم والتفافهم في روابط عشائرية تقودهم إلى البحث عن أصولهم الكردية البعيدة، وغرس هذا الشعور لدى أبنائهم..

وعلى الرغم مما سبق، يمكن استثناء عدد قليل من الكرد الذين مازالوا محافظين على كرديتهم، ويعتزون بهذا الانتماء، ولديهم مشاعر قومية، ويمكن حصرهم بالكرد الذين قدموا إلى فلسطين في أواخر العهد العثماني، أو من الذين يحملون اسما عائليا يدل في معناه على كرديتهم، وهذا ما تلمسه لدى بعض العائلات الآتية: (الكردي، الكرد، ظاظا، الآغا، القيمري...)، وهؤلاء يتواجدون اليوم في مدن فلسطين، أو في دول المهجر، مثل سورية والأردن، والبعض منهم أعضاء في جمعية صلاح الدين الأيوبي الكردية في عمان بالأردن.

الهوامش:

* عن محلات الكرد: انظر كتاب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» للحنبلي، عمان، مكتبة المحتسب، ١٩٧٣. ص٧٧-٧٨، وكتاب» ولاية بيروت (القسم الجنوبي)، لمحمد بهجت الأثري، مطبعة الأجيال، بيروت، ١٣٣٥هـ، ص٣٤٨.

١-محمد سعيد صافي : مدينة الخليل في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، اربد: جامعة اليرموك،١٩٩٦،ص٤٥-٤٦، الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،٢/ص٣٩٨،٧٨،٧٧-٣٠٠

٢-رئيسة العزة: نابلس في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، اربد: جامعة اليرموك، ١٩٩٥، ص٧١-٧٢، سعيد البيشاوي: نابلس خلال العصور الصليبية، ١٩٩١، مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ٦٣١٩٤/٢

٣-محمد خريسات: السلط دراسة عمرانية، مقال في مجلة دراسات، الجامعة الأردنية،ص٢٧، فائز أبو فروة: مدائن فلسطين، عشائر فلسطين، عمان: دار الجليل، ١٩٩١، ص١٧١

٤-الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،ص٢، ٣٨، ١٠٦، ١٥٣، ١٩٧، ١٩٨، ٣٦١

٥-رائف نجم: كنوز القدس، عمان، ١٩٩١،

٦-ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت: دار صادر، ١٩٧٩. ٤/ص٣٤٢٤

٧- زياد عبد العزيز المدني: مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني ١٨٣١-١٩١٨، عمان، ٢٠٠٤ص ٢٣٢ ، وفيه:

سجل شرعي القدس الرقم ٣٨٣، ١٠ ربيع الأول ١٣١١هـ/ ٢٦ أيلول ١٨٩٣مص١٦٧، سجل شرعي القدس الرقم ٣٨٤، ١٦ رمضان ١٣٠٩هـ/ ٣٠ آذار ١٨٩٢م ص٢٧، سجل شرعي القدس الرقم٤٠٧، ٢٤ شوال ١٣٣٠هـ/١٣ أيلول ١٩١٢ص ٢٠٤

٨- المرجع السابق: سجل شرعي القدس الرقم ٣٧٨، ٩ جمادى الأولى ١٣٠٧هـ/٢٤ كانون الأول ١٨٨٩مص١٢

٩- المرجع السابق: سجل شرعي القدس الرقم ٣٨٨، ٧ جمادى الأولى ١٣٠٥هـ/١٥ كانون الثاني ١٨٨٨مص١٢

١٠- المرجع السابق :سجل شرعي القدس الرقم ٣٧٨، ٩ جمادى الأولى ١٣٠٧هـ/٢٤ كانون الأول ١٨٩٠م ص ١٢.

١١- المرجع :محمد سالم غيثان الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني: دراسة اقتصادية اجتماعية

(١٢٨١-١٣٣٣هـ /١٨٦٤-١٩١٤م)، عمان، وزارة الثقافة، ٢٠٠٠،ص٤٧٤-٤٧٥

ومنه السجلات الاتية: سجل شرعي يافا الرقم ٢٤،١٣/ذا/ ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، سجل شرعي يافا الرقم ٩٠، ش/١٣٢١هـ/١٩٠٣م. قضاء يافا في العهد العثماني:دراسة اقتصادية اجتماعية(١٢٨١-١٣٣٣هـ/١٨٦٤-١٩١٤م، ص٤٧٤-٤٧٥.

١٢- المرجع السابق: سجل شرعي يافا الرقم ١١٩م٦٤٥، ٢٠/ذ/١٣٢٨هـ/١٩١٠م،ص٢٧٨، قضاء يافا في العهد العثماني:دراسة اقتصادية اجتماعية(١٢٨١-١٣٣٣هـ/١٨٦٤-١٩١٤م، ،ص٤٧٤-٤٧٥.

١٣- المرجع السابق: سجل شرعي يافا الرقم ٢٤، ١٣/ذ/١٢٨٤هـ/١٨٦٧م،ص١٨٦، قضاء يافا في العهد العثماني:دراسة اقتصادية اجتماعية(١٢٨١-١٣٣٣هـ/ ١٨٦٤-١٩١٤م، ،ص٤٧٤-٤٧٥.

١٤- المرجع السابق: سجل شرعي يافا الرقم ٤٧، ح٢٩/١٦/ل/١٣١٠هـ/١٨٩٢م،ص٩٥، سجل شرعي يافا الرقم ٥٥، ص/١٣١١هـ/١٨٩٣م،ص٥٦، قضاء يافا في العهد العثماني:دراسة اقتصادية اجتماعية(١٢٨١-١٣٣٣هـ/ ١٨٦٤-١٩١٤م، ،ص٤٧٤-٤٧٥.

١٥-سليم المبيض: غزة وقطاعها، ١٩٨٧، ص٤١٩، محب الدين الحموي: حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية، جامعة مؤته، الكرك،١٩٩٣، ص١٠٣

١٦-محمد الصويركي: الأكراد الأردنيون، عمان، دار سندباد،٢٠٠٤،ص٤١-٤٢

١٧- فائز أبو فروة: عشائر فلسطين، ص١٧١، محمد خريسات: دراسات في تاريخ السلط، عمان:وزارة الثقافة، ١٩٩٧،ص١٩

١٨-فائز أبو فروة: مرجع سابق، ص٧١، ٢١٣

١٩-حسين حمادة: تاريخ مدينة الناصرة وقضاؤها، عمان: دار منارات، ١٩٨٢،ص٩٩، محمد شراب: معجم العشائر الفلسطينية، عمان، المكتبة الأهلية، عمان،٢٠٠٢، ص٩١٩

٢٠-إحسان النمر: تاريخ جبل نابلس والبلقاء، دمشق، ١٩٣٨،ص١٣٣

٢١-إحسان النمر: مرجع سابق، ص١٣٣

٢٢-محمد العملة: انساب العشائر الفلسطينية، عمان:١,١٩٩١/ص٢٣٠،٢٢٨

٢٣- رائف نجم: كنوز القدس، عمان، 1991،

٢٤- سجل شرعي القدس الرقم ٣٨٣، ١٠ ربيع الأول ١٣١١هـ/ ٢٦ أيلول ١٨٩٣مص١٦٧، سجل شرعي القدس الرقم ٣٨٤، ١٦ رمضان ١٣٠٩هـ/ ٣٠ آذار ١٨٩٢م ص٢٧، سجل شرعي القدس الرقم٤٠٧، ٢٤ شوال ١٣٣٠هـ/١٣ أيلول ١٩١٢ص ٢٠٤

٢٥- محمد احمد أبو زبيد: قضاء بيسان، عمان، رابطة الكتاب،٢٠٠١.ص١٠٠،٩٤

بيسان: الظاظا، الشحيمات في قرية المزار قبل نكبة ١٩٤٧

٢٦-محمد شراب: مرجع سابق، ص792، 907، 842،845، 907، 507، 750، 592، 842، 910، 919، نبيل الآغا: مدائن فلسطين،313، 296، أبو راشد: طيرة الكرمل، اربد، 1993، ص49، زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999،ص143، الوثائق الهاشمية، فلسطين 1948عمان: جامعة آل البيت، القسم الأول،1995،ص7، محمد العملة: انساب العشائر الفلسطينية، 1/ص82،83، 228، 230، إحسان النمر: تاريخ جبل نابلس والبلقاء،ص 133

٢٧- شريف كناعنة، رشاد المدني: القرى الفلسطينية المدمرة: الفالوجة والكوفخة. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة:إيسيسكو، عمان،١٩٩٢.ص١٤٩

٢٨-لهم شجرة نسب في المصدر السابق، ص١٥٠، واشارة(.....) تعني أن الشخص له أولاد واسمهم غير متوفر لدى الراوي والكاتب معاً.

٢٩- طبرية تراث وذكريات/سعيد خوري، مصطفى سحتوت، دار الشجرة، ط٢، ٢٠٠١،ص١٥٥

٣٠-المرجع السابق،ص٩٧، ١٤٣،١١٥،١٠٤

٣١ـ المرجع :محمد سالم غيثان الطراونة: قضاء يافا

في العهد العثماني:دراسة اقتصادية اجتماعية(١٢٨١-١٣٣٣هـ/١٨٦٤-١٩١٤م، عمان، وزارة الثقافة، ٢٠٠٠،ص٤٧٤-٤٧٥.

سجل شرعي يافا الرقم ١٣،٢٤/ذا/ ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، سجل شرعي يافا الرقم ٩٠، ش/١٣٢١هـ/١٩٠٣م. قضاء يافا في العهد العثماني:دراسة اقتصادية اجتماعية(١٢٨١-١٣٣٣هـ/١٨٦٤-١٩١٤م، ،ص٤٧٤-٤٧٥

٣٢- المرجع السابق: سجل شرعي يافا الرقم ١١٩م٦٤٥، ٢٠/ذ/١٣٢٨هـ/١٩١٠م،ص٢٧٨، قضاء يافا في العهد العثماني:دراسة اقتصادية اجتماعية(١٢٨١-١٣٣٣هـ/١٨٦٤-١٩١٤م، ،ص٤٧٤-٤٧٥

٣٣-سجل شرعي يافا الرقم ٢٤، ١٣/ذ/١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م،ص١٨٦، قضاء يافا في العهد العثماني:دراسة اقتصادية اجتماعية(١٢٨١-١٣٣٣هـ/١٨٦٤-١٩١٤م، ،ص٤٧٤-٤٧٥

٣٤-المرجع السابق: سجل شرعي يافا الرقم ٤٧، ح١٦/٢٩/ل/١٣١٠هـ/١٨٩٢م،ص٩٥، سجل شرعي يافا الرقم ٥٥، ص/١٣١١هـ/١٨٩٣م،ص٥٦، قضاء يافا في العهد العثماني:دراسة اقتصادية اجتماعية(١٢٨١-١٣٣٣هـ/ ١٨٦٤-١٩١٤م، ،ص٤٧٤-٤٧٥

*اتحاد الكتاب والادباء الاردنيين-عمان

تهنئة

تهنيء مجلة سردم العربي عضو هيئة تحريرها الدكتور شاهو سعيد لنيله شهادة دكتوراه فلسفة في الادب العربي وظاهراتية النقد الفلسفي.

كما تهنيء ايضا، وفي مناسبة مماثلة، عضو هيئة تحريرها الزميل دانا احمد مصطفى لنيله شهادة ماجستير في اللغة العربية.

نتمنى لهما دوام الموفقية والنجاح في مسيرتهما العلمية.



كردستان: العودة المقلوبة

زهير الجزائري

أدخل كردستان من بابها الشرعي هذه المرة وفي موكب رسمي يحرسه مسلحون من الرئاسة. يتحرك الموكب خاطفا فوق الشارع المسفلت الذي كنا نعبره أيام البيشمركة ليلا وبحذر مشدد وبخطوت عاجلة. الشارع المسفلت كان عدونا الدائم لأن دبابات السلطة ومدرعاتها تاتي عبره، وعلى جانبيه زرعت ربايا الجيش الذي يطاردنا. موكبنا الرسمي يسير على شارع الحكومة وعيون حراسنا على الجبال التي كانت مأمننا. منها يتسلل الآن مقاتلو الـ pKKالذين يترصدون السيارات الحكومية كما كنا نفعل سابقا. لم أشعر وأنا على هذا الشارع بأنهم خطر علي بالذات ولم أشعر بالنصر كوني أخذت موقع الحكومة التي حاربتها.. لم نحرر هذه الأرض، إنما حرروها لنا.

على هذا الشارع المسفلت والموكب الرسمي راودني إحساس ما باني خنت صديقي الجبل حين نزلت الى المدينة و رافقني إحساس باختلال المكان وانا اعيد اكتشاف نفسي في الموقع الجديد. احيل الى المكان اختلال الزمن والموقع، فالبيشمركة الذين قاتلت معهم السلطة صاروا رجال السلطة البديلة.

أدخل دوائرهم فيخرجون من وراء طاولات السلطة الفارهة بالبدلات الرسمية السوداء المزررة وربطات العنق، حائرون بين الابتسام من لقاء المفارقة وبين تصنع الجد الذي يتطلبه الموقع الجديد.

ليحتفظ بموقعه الرمزي في مقابل الموقع الرسمي بقي القائد مسعود البرزاني بملابس البيشمركة:

- نحن نبني الدولة بارتباك، فقد تعلمنا نسف الجسور والطرق وعلينا الآن بنائها. كنا نحرب الحكومة وعلينا الآ ن أن نكونها.

الجبل غير بنية الأحزاب والبنية النفسية لكوادرها المدينية. فكادر الحزب المديني لايحتاج لقاعدة خلفية ثابتة، لأنه يناضل في بيئته، ويختفي عند اهله او اقاربه ويتمول من عوائل مناصرة للحزب، اما بقية مناصري الحزب فيتمولون من اعمالهم العادية كعمال وكسبة وموظفين في جهاز الدولة. ولكن حملات القمع الشديدة دفعت الحزب نحو التريف لاجئا من مدينة السلطة إلى الأرياف البعيدة، وهناك تغلبت العناصر الريفية العارفة ببيئتها والعلاقات القبلية، على العناصر المدينية المغتربة، وغلب العمل العسكري في البيئة الجبلية القاسية على العمل الفكري الذي يتحول الى بطر يخص افندية المدن ولا يمت لمقاتلي الجبال. وبين المقاتلين تغلبت الطاعة العسكرية والقبلية على على الجدل والقناعات الفكرية بالحزب.

نزعة السـخط على المدينـة وتكنوقراطها العابر للأزمنة والأنظمة لازمت النازلين من الجبال. وسنجد هذا التعارض بين رجال الجبل ورجال المدينة حيثما ذهبنا في كردستان المحررة. فالتكنوقراط ومثقفو المدن يسـمون قيادات الجبل بـ(الحرس القديم) في الحزب الذين يعارضون التجديد ويتهمونهم بالاستحواذ على المناصب الحساسـة التي تمس الأمن والمال والسياسـة " مكرريـن تجربـة الجزائر " بينمـا يتهم (الحرس القديم) أبنـاء المدينة بانهم خدموا البعث وتسـلقوا المناصب الجديدة مسـتغلين ضعف خبرة البيشـمركة بأمور الدولة.

تقاليد حسم الصراع بقوة القتال الداخلي وضعت أفندية البرلمان في موقـع الحرج.. فقد عارض غالبية النواب الباقين القتال الداخلي وأعتصموا داخل بنايته لمدة 110 أيام. لم يدخل المسلحون البرلمان، إنما تركوا المعتصمـين كما داخـل البناية الأنيقـة، وقد أخذني رئيس البرلما الدكتور روز شاويس ليريني أماكن الكتل وتوزيعها ثم الى النافذة التي كان البرلمانيون يراقبون منهـا القتـال من شـارع لشـارع ومن بنايـة لبناية ويسـمعون الأخبار من التلفزيـون مكتفين بالنقاش الذي لايملكون غيره،بينما تحسـم الأمور حولهم على طريقة البيشمركة القديمة بقوة السلاح.

الصـراع بـين الإثنين وجدتـه داخـل الواحد. فحـين التقي رجال الجبل وقد صاروا رجال السـلطة يخرجـون من وراء طاولاتهم بارتباك كونهم في المكان الخطـا ويمدون أيديهم لـي باعتذار وحرج كوننا قد تغيرنا حـين خذلنا والدنا الجبـل وصرنا ابناء مدن ورجال السـلطة التي حاربناها. مـع ذلك لم أتخلص وأنا في المدينة من المقارنة بين الموقعين وبين المكانين. أتفحـص الصبغة الفاحمة التـي حاولوا بها أن يغطوا بها الشيب ومحوا زمن المتاعب في الجبل وبدوا وكأنهم يحاولون التأصل مع هذه الغرف الرسمية. وربما كان الفسـاد المالي والإداري الذي ظهر مع الدولة الجديدة بعضا من تعويض زمن الزهد والحرمان. تعمدت وأنا ألتقي برفـاق الجبل أن ألغي المجال البروتوكولي وابدا الحديـث معهم عن مفارقات الحيـاة في الجبل. وحالما نبدا الاسـترجاع تنزاح طبقة الجد وتقفز ابتسـامة طفلية وإحسـاس ما بان ذاك الزمـن هو زمن البراءة ومـا الحاضر، بالبدلة السـوداء وربطة العنق وصبغة الشـعر، إلا امر فرضته ضرورات الحكـم. لم اتمالك نفسـي من تذكير أحد القادة حين دعاني لمطعم باذخ بمرقـة الحمص في الجبل وموائد ال (سـي سـي) كل ثلاثة بيشمركة على صحن واحد.

- ذاك وقت وهذا وقت.

قال لي محرجا وكأنـه يريد ان ينفي تاريخا من الأوهام.

كنـت أغالب عواطفي لأعذرهم.. فلا مفر من كل هذه االتوطئات لبناء الدولة التي حلم بها لكرد. وبيني وينهم حاولت أن أحدد موقفي كمناصر وناقد.

متتبعا خطوات الضحايا

أزور كردستان مرة أخرى مكللا بحزن عميق بعد ان قضيت شهرا ونصف اتتبع تفاصيل مجازر حلبجه والأنفال ومصائر ضحاياها.

ما تزال الصبية التي عاشت الحدث ورافقتنا وهي صحفية شابة تتذكر اللحظة بالتحديد:

-في السـاعة السـابعة من صباح ٢٤ نيسـان ١٩٨٨ اغارت علـى المدينة (حلبجـه) و اريافها ٢٠ طائرة عراقيـة.. كانت معنا جدتنـا فهرعنا الى الملجأ. حين خرجنا من الملجأ بعد انفجار شـديد رأيت سحابة من دخان رمادي وابيض انفرشت مثل وردة.

- شممنا رائحة، رائحة تفاح.

- لا، كانت رائحة مزيجة من الكبريت والبصل.

- آخرون قالوا إنها رائحة عنب.

مـا من احد عرف ان هذا الدخان الذي خيم على المدينـة وضواحيها هو الموت بعينه يحمل خليطا من السـيانيد وغازات الخردل والأعصـاب.. الذين ادركوا الخطر فـروا الى البسـاتين والفضاء المفتـوح. ولكن السـلطة اغلقت عليهم طرق الانسـحاب بإقامة حزام

مســمم بواســطة القصف المدفعي... ما حدث لشيوخ المدينة و اطفالها ونسائها اصبح واضحا للعالم: خمسة آلاف قتيل خلال ســاعات.. بعضهم اختنق في الملاجئ وحول ســفر الطعام او مكدسين في السيارات التي اتت لتحملهم بعيدا..

الصحفية الشابة وصفت المشهد اللاحق:

-توجهنــا للجبال وقــد غطينــا وجوهنا بخرق مبللــة. في اليوم الثاني نزلنا قليــلا وراقبنا بالناظور المدينة وسهل شهرزور. كانت بضعة هليكوبترات تحلق فوق المشــهد. ربما اراد القــادة أن يتأكدوا من مفعول ما أبدعوه.

-الناجون الذين صعدوا الينا مختنقين وصفوا ما حدث بكلمة واحدة:

- قيامة!

لم تكن البشــاعة في مجزرة حلبجة نتاجا عرضيا لعقاب، انما كانت البشــاعة نفسها مطلوبة. وقد كانت صورتها ماثلة في الخيال الذي اتخذ القرار. وقد جربت النتائــج قبل ذلــك بالتطبيق. وما دامت الوســيلة متوفــرة فــإن التنفيذ يتوقف على قــرار. وما كانت الســلطة التي اتخــذت القرار (مجلس قيــادة الثورة) بحاجة الى ذنب مثل تعاون الأحزاب الكردية المســلحة مع ايران.. فالعقاب صــدر قبل حدوث الجريمة عبر قرار(حســم نشــاط المخربــين) الذي يعنــي افراغ الأرض من ســكانها.. وحسب المنطق التحذيري الأمني فــان العقــاب لا يحتاج للتطابق مع ذنب يســاويه، لا في شــخصية المذنــب ولا في تزامنه مــع الذنب ولا في تجاوره معــه مكانيا.. فالمهم ان يكــون هناك عقاب شديد على ذنب ما، وليكن معنويا فقط. ولكن ينبغي ان يسبق العقاب الذنب الذي لم يتحقق بعد. وسيطبق هــذا العقاب على اي متهم ولأي ذنب لكي يدرك الكل بشاعة ما سيتحملونه.

أتتبع اثار الضحايا عبر الطريق الممتد كالأفعي بين تلال كرميان وشــقوقها الوعرة. راديو الســيارة يردد اغنية كردية من مقام الصبا تحيلني رحابة المشــهد، حيث ســحب أرضية من ورود الخزامى لصفراء تدور حول كتل من صخــور قذفتها البراكين قبل آلاف من الســنين فشــكلت التكوينات العجيبة التي توشــك أن تستحيل رموزا. أنكر المشاهد ووجود من حولي داخل الســيارة، أنكر جامعات الكعوب وقــد رفعن قاماتهن ووضعن راحاتهن فوق العيون ليتأملن موكب السيارات الحكومية، أنكر صيادي الحجل المختالين في قمم التلال، أنكر الحاضر النســاء لأتمثل مــا حدث عام ١٩٨٨قبيل تموز بقليل حين طبقت الأنفال الثالثة على على هذه القرى التي استحالت أطلالا أكل طينها المطر والإهمال. أستنطق القبور التي زرعت على طول الطريق لشواهد مــن أحجار مســطحة تجــاورت مثل أنصــاب آدمية واقفة فــوق التلال وقد أحاطتها ســحب من خزامى تغــذت من مــادة الموتــى العضويــة. أهتزوأتلوي من وعورة الطريق متتبعا مســيرة المؤنفلين الذين أخذوا بالشــاحنات العســكرية عبر هذا الطريق. هل التفتوا الى الخلــف ليلقوا آخر نظرة الى قراهم تحترق بعد أن سكب الكيروسين عليها أمام عيونهم وأشعلت النار. ما شكل المرأة التي تجرأت وصرخت منادية زوجها الذي فصل عنها معصوب العينين، نادته باسمه «أوماااار!» فاشعلت بصرختها صراخ الأخريات «ار ار ار « ومعهن يصــرخ أطفال فزعــون من زحمة الأجســاد الخانقة ومن هول المشــاهد أرجع صراخ النساء وأطفالهن عبر هذه البراري وأحاول أن أتمثل مشــاعرالمرأة الأولى التي أطلقت صرخة الذئبة الجريحة تلك. من كدس النساء أقفــز الى كدس الرجال الذيــن انتزعوا من زوجاتهم وبيوتهم وأخذوا معصوبي العيون يتهجسون اتجاهات السر ومواقع الطرق من حركة السيارة ليتأكدوا في أي أرض سيقتلون بعد قليل. قال لي علي البرزنجي وهو يريني قريته في منطقة هناره «نزلنا بعد المجزرة من الجبــال فوجدنا الكلاب وحدهــا تحرس ما تبقى من البيوت المهدمة. كانت تنبحنا نحن أبناء القرية الذين تركنــا قرانا مع رشاشــاتنا الى الجبــال. تنبحنا كلما اقتربنا من الركام بحثا عن فتات طعام. في البداية كان

النبـاح قويا وغاضبا، ثم لان بفعـل التكرار والتقادم واستحال أنينا خالصا.

بحثـت بين أطـلال قريته عن دليـل على تلك الحيـاة التي كانت هنا قبل أن تبدأ القيامة، فلم أجد غـير بقايـا مهد لا أعرف كيف كـبر الطفل الذي كان نائما فيه. وعلى مسـافة قريبـة مضاريف رصاصات الجنـود الذيـن روعوا القرية في ذلـك اليوم الذي لن ينسـى. لقد خلت تلال كرميان من ناسـها ولم تبق إلا حيـوات متناثـرة بـين الصخور والقبور. ناسـها يتتبعـون الزمان الجديد ونوالمدن المشـوه وقططها السمان وحواسمها الذين نسو أهلهم المنكوبين في غمرة التكالب على الصعود السريع، نسوا أهلهم ونسوا أنينهم الخافت تاركينهم يعضون الشفاه حد الدم، بينما يلوب الضحايا فوق صخور كرميان بلا مواساة ولا ثأر.

على مسـافة نصف سـاعة من أربيل يقع مخيم بنسـلاوة الذي يضم ضحايا الانفـال. معظم من فيه يعانون من اكتئاب وهلوسـة بانتظـار المفقودين من اقاربهـم بعد أكثر من ٢٠ عاما من غيابهم لم يتوقف الباقـون عن انتظارهم او انتظار جثثهم. بقيت أياما اسـتوضح الضحايا عن الواقعة التـي اعرفها بمعناها العام كمجزرة لاتؤلمني تفاصيلها.

جريمه جينوسـايد نموذجية: تبدأ بانكار الحق القومي او الديني لمجموعة من الناس، ثم إنكار وجود هذه المجموعة عقائديا، وينتهي الامر بافنائها جسديا .

وقـد اتبعـت الحملة اسـلوب الابـادة الجماعية التقليـدي الذي يقـوم على الثوابـت الثلاث: تحديد – حجـز – الابات . لكن النظـام العراقي اضاف لهذه الثلاثيـة الثابته بـادرة جديدة كونـه اول نظام في العالم يسـتخدم الاسـلحة الكيمياوية ضد مواطنيه. وقد استخدمت سورة الأنفال اعتمادا على الآية ١١: (إذ يوحـي ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سـألقي في قلوب الذين كفروا الرعـب فاضربوا فوق الأعنـاق واضربوا منهم كل بنـان) لأن الآية تنطوي على الفعل (اضربوا فوق الأعناق) وعلى الرعب الذي يثيره الفعل (إلقاء الرعب في القلوب). الرعب سيدفع إلى الاستسلام و يجعل أية مقاومة مستحيلة مادام كل شيء مهما كان جنونيا يبدو ممكن التحقيق من خلال هول الجريمة .

كنـت أدور من بيـت لبيت واجلـس على الأرض لاسـتنطق من الضحايا اكثر التفاصيل وجعا. معظم المدنيين الذيـن نجوا: لم يتوقعوا، حتى بعد حلبجه، استخدام السلاح الكيمياوي، انما هياوا انفسهم وطريقة حياتهـم مع القصف المدفعـي والجوى المالوف في قرى كردسـتان على مدى سـنوات طويلـة. لذلك تركزت الاصابـات علـى المدنيـين الذين لا يعرفـون مفعول الغـازات الكيمياوية ولا طـرق الوقاية منها، ويروون صورا مروعة لما حدث:

- حين فاجاتنا الطائرات وصوت الانفجارات حولنا كان البعض يقولون هذه غازات سامة، وآخرون ينفون ذلك. لم تكن غارات الطيران تعطينا فرصة لنستوضح فالطائرات لم تنقطع عن سـماء القرية، واذا انقطعت سـيبدا القصف المدفعي والراجمات. اعمدة من دخان أبيض كالملح المرشوش، أو أسود مزرق، أصفر، ثم تنزل السـحب الى تحت، وانذاك نشـم رائحة تفاح حلو، ثم تبدا الاعراض: ضيق في التنفس حد الاختناق، ودموع محرقة تنهمـر مقرحة الاجفان حد العمى وسـائل لزج ومحرق يسـود الجلد ويسـلخه، ونوبات ارتجاف وتقلصات حـادة. أناس يـدورون كالمجانين وبعضهم دخل في نوبات ضحك هسـتيري ثم يبدأ الموت حاصدا الاطفـال أولا. تمامـا مثل القيامة مع فـارق انها من فعل بشر. الفيالق القادمة من جبهة الحرب مع ايران، قوات الحرس الجمهوري، قوات الطوارئ، قوات الجيش الشـعبي، افواج الخفيفـة.. كل هذه القوات شـكلت الكماشة اللازمة لمنع سكان القرى المضروبة من الهروب خارج الطوق. بعد ذلك بـدات عمليات فصل الرجال عن النسـاء ثم الترحيل:(كنا نترك قرانا محشـورين فوق بعضنا بعد أن اخذ رجالنا معصوبي العيون، ومن

فوق كنا نرى السنة اللهب تلتهم قرانا وبيوتنا. صراخ الاطفال وصراخ النسـوة يختلط بصراخ حراسنا وهم يهددوننا بمصير أسوا من جهنم اذا لم نسكت).

لن ينسـى الكرد، وبالأخص الذين عاشـوا تجربة الانفال، ثلاثة أماكن مشـؤومة هي :(معسكر الجيش الشعبي في طوبزاوه) القريب من كركوك، سجن النساء في دوبـز الواقع عند ملتقى طريق كركوك- الموصل ، وسجن نقرة السلمان في الصحراء الجنوبية الممتدة الى السـعودية. في هذه المعسكرات الثلاثة وصل المرحلون وهم شـبه موتى من ضيق المـكان والتنفس والجوع والعطـش والاحسـاس بالمجهول. في هذه المعسـكرات انـزل الرجال القادريـن على حمل السـلاح وأخذوا مربوطين مع بعضهم في حبال جماعية. عذبوا وأذلوا بعد أن أخبروا بقـرار إبادتهم جميعا كمخربين. بعد جولات التعذيب أوقفوا على حافة حفر طولية مهيأة مسـبقا.. عيونهـم مكممة ووجوههـم باتجاه الحفر وأطلقت عليهم النار من رشاشات متوسطة ثم غطتهم الجرافات بالتراب ٨.

الشـيوخ اقتيدوا الى سـجن نقرة السلمان ليموتوا هنـاك دون رصاص، من الجوع وقلة الماء ويلقون فيما بعد طعاما للكلاب المسعورة المحيطة بالمعسكر.

أما النساء اللواتي اعتقلن في معسكر طوبزاوه فقد عشن عذابا يهون أمامه الموت بين الخوف على مصائر رجالهن الذين اقتيدوا الى جهات مجهولة و الخوف على الاطفال الذين يذوون على صدورهن من قلة الحليب و يموتون بمعدل سـتة أطفال في اليـوم الواحد وقد حصل الكاتب على رسـالة كتبت علـى قطعة قماش تروي كيف يؤخـذ الاطفال من أيدي الأمهات ويلقون في الحفر حتى قبل أن يموتوا.

. سالت الضحايا:

- هل ياتي المفقودون في منامكم؟ كيف؟

قال لي واحد في الخامسة والثلاثين من العمر إنه كان مختبئـا في دولاب الملابس حين داهمهم الجحوش الكرد وخلفهم القوات الخاصة:

- نعم أراهم، كما رايتهم للمرة الأخيرة، من شـق ضيق داخل دولاب الملابـس، يصرخون واكاد أختنق من صرخة مكبوتة...

-نعـم أرى حفيداتـي كل فجـر جالسـات جنب بعضهن وأنا أصب لهن الشاي.

-أرى والـدي ووالدتي كل غـروب آتيان من نهاية السهل تسبقهم الغنمات.

- يطل شقيقي من كوة ضيقة وعالية وراء جدار يناديـني بصوت مخنوق وبينـي وبينه جدار القلعة الذي يمنعني من الوصول اليه...

ثم ينزاح عني باكيا:

-لم أتيت لتسالني هذه الأسئلة؟ لتهيج أحزاني؟!

قالـوا عن حياتهم لم يعد لها طعـم بعد ما رأوه ومـا يربطهم بالحيـاة هو الانتظار المـر لأي خبر أو معلومة عمـن فقدوهم، وهم يعانون ثقل الكوابيس التي تلاحقهـم دون فكاك والحلم بعودة المفقودين لا يفارقهم ليلا ولا نهارا.

خلال محاكمة المتهمين بالمجزرة طلبت من مراسلي في عدد من المدن ان يسـألوا أجيـالا من العراقيين إن كانوا قد سمعوا بالأنفال في وقتها. كان الجواب:

-لا

- ابدا

- قصة مختلقة... حتـى في المناطق الكردية كان الجواب في افضل حالاته:

- سمعنا ولكن ليس بالتفاصيل.

عجبـت كيف تمر الجريمة بهذا الصمت.. ١٨٢ ألفا من المواطنين الكرد أزيلوا من الوجود في جريمة تمت بصمت دون شهود كما في رواية لماركيز.

توقفـت مرتين مـن صعوبة التنفـس وأنا القي مداخلتي في قاعة الجامعة في اربيل في ذكرى المجزرة. وحين جلسـت منهـكا ربت على كتفـي رجل خلفي ونبهني الى حديث مواطن من القاعة:

- إنه يتكلم عنك.

لم أفهم ماقاله الرجل الغاضب الذي قاطع سـياق

الجلسات.

- يقــول إن كلمات العربــي (يقصدني أنا) الذي تحــدث الآن مزقت قلبي، وما أحزنني هو انه لايعرف ان بعضا ممن شاركوا في الأنفال يجلسون الآن في الصف الأمامي.

لم أصدق ما قاله المواطن فسألت محدثي:

- معقول؟!

- نعم مع الأسف..

لقد رفع مبدا التســامح الــذي فرضته متطلبات القتال الداخلي بين الحزبين من موقع القادة السابقين للأفواج الخفيفة، في حين بقي الضحايا مع آلامهم.

أربيل وبارزان

نغادر أنا وفوزي كريم فندق (جوار جرا) فالتين مــن نظرات الحــراس الى قلب أربيل. يســألني فوزي بشك:

- هــل تعرف الطريق. فأهز راســي إوانا ابتســم مقدرا ان انعطافة ما ســترينا القلعة وآنذاك تتوضح الاتجاهــات. في مقهى (مجكو) ونحن نشــرب الشــاي ونتمثــل حقيقة أننــا هنا في جزء مــن بلادنا كنت أعيــد ترتيب الأزمنة والأمكنــة. في موقع ما هنا بين القلعة وشــبكة الأســواق المحيطــة ذاك الفندق الذي نمنا على ســطحه انا ووالدي حين كنت طفلا. لم أنم رغم مشقة الرحلة فقد بقيت عيناي عالقتين بشيخ أحدب يصعــد درب القلعة الضيــق بخطوات بطيئة. بينــي وبين نفســي اتخذت قرارا بــأن لا أغفو حتى يصل الشــيخ بيته وأنا في يقين من أنه لن يصل أبدا. تتبعت خطواته البطيئة وانا مستند الى كوعي لساعة وربما ســاعتين وأنا اسند خطواته بانفاسي المتثاقلة.. خطوة، خطوة، خطوة... في النهاية وصل الشيخ القمة التي تكلل ســت مدن وخمس حضارات تمتد لســتة آلاف عام، ونمــت بعد وصوله براحة كانني انا الذي قطعت مسافة الصعود.

حين كبرت وعشــت في الجبل علمني الكرد حكمة هذا الشيخ في صعود الجبل:

- أضبط أنفاســك مع وقع خطاك! تلمس صلابة الأرض باطــراف أصابعــك كما العنــز الجبلي قبل أن تلقــي بثقلك على الخطوة الجديدة! لا تنهك نفســك فــوق طاقتها، بل قســط طاقتك بحيــث تصل القمة ومعك نصف حيلك تحوط لمعارك القمم...

صعدت الى القلعــة وفقا لتوجيهات ذاك الشــيخ، أتلفــت الى الخلف لأرى ما قطعته وليس ما تبقى، وانا تائه بين بصري وبصيرتي. بصري يريني هذه الشبكة العجيبة من اسواق أربيل.. متاهة في الاتجاهات، متاهة من روائح، متاهة من ألوان.. سوق تؤدي لسوق اخرى، ومع كل تبدل تتبدل البضائع أيضا، متاهة في الروائح حيــث تختلط الروائح الكتيمة للســجاد المصنوع من جلد العنز بروائح التوابل والأجبان، ومتاهة ثالثة من الألوان، فما أحب الكرد مثل كثرة الألوان وسطوعها في ملابس نســائهم، تدوخني ألوان الملابس وهي قادمة الى عينــي من رفــوف الدكاكين ومن طيــات القماش واعجب كيف تجمعت الأعياد كلها في ثوب امرأة.

تــدور عيني بين هذه الأســواق وحركــة الناس وأصوات السيارات وتنبهني بصيرتي " أنت تصعد فوق ســت حضارات وســتة آلاف عام تراكمت فوق بعضها تحــت مدينة الآلهة الأربعــة (أربائيلــو)، لا يعرف الأطفال الذين أحاطوا بي راكضين ما يركضون عليه، ولا المرأة التي سكبت الماء في الزقاق وتوارت عن عيني أن ماءهــا سيشــح لمدينة تحت لا تراهــا. بين البصر والبصيرة اخترت الأول وتركت الثانية لكتاب اشتريته من قيسرية الكتب عن تارخ اربيل.

وصلنا بارزان بالمقلــوب، أي من الطريق الذي كنا ننصب فيه كمائن متقدمــة تحت جبل بيرس حذرا مــن الطريق المســفلت الذي كنا نتوقــع ان تأتي منه مدرعات الحكومة.

ســابقا كنت أصلها عبر سلسلة القرى التي تسكنها القبائل البارزانية الســبعة.. سلســلة من قرى في تلك الوديان المفجوعة حيث كبرت النســاء في صبر عجيب بانتظــار الأزواج الذين خطفوا ولم يعودوا، ولم تصل

شـــارة تدل عليهم سوى شائعات تقول إنهم استخدموا لتجارب مواد الإبـــادة الكيمياوية، وكبر الأبناء دون أن يـــروا آباءهم. كنا نتناول عشـــاءنا في واحدة من هذه القـــرى حين مالت المرأة وهي تـــدك العجين بعصبية على شخص بجانبي:

- إســـال هذا العربي الذي بجانبك، هل سمع خبرا عن رجالنا؟

رفيقي الكردي رد عليها:

-ومن أين لـــه أن يعرف؟ هو لايعرف حتى اخبار عائلته.

لم تلن السيدة وهي تواصل لك العجين:

- مع ذلك اساله، ربما يعرف خيطا!

شـــعرت بالحرج لكوني لم أضع في حسابي الخمسة آلاف الذين اختطفوا في ليلة تشبه القيامة، ليلة وقفت فيهـــا المعاوير وقد أنزلـــوا بالهليكوبترات مثل جيوش جوج وما جوج على سطوح القرية فارجين سيقانهم ومحركين رشاشـــاتهم حيثما يساق الرجال مكتوفين، معصوبي العيون وقد منع على النساء الصراخ.

آخرون كانوا يســـكبون الكيروســـين داخل البيوت وحولها وعلى الشجر ومخازن المونة.

-آخـــر ما رايته حين أخذتنـــي بيتي وهو يحترق ويتصاعد اللهب منه...

عبرنا كل هـــذه القرى المفجوعة وحملنا حكاياتها أمانـــة مع صـــرر الطعام الذي زودتنا بـــه الأرامل ثم صعدنـــا جبلا متين المطل على مدينـــة بارزان حتى قمتـــه البركانية الجرداء ثم تدحرجنـــا بين المغارات وعيـــون الماء حتـــى وصلنا مقراتنا في بـــارزان، حيث الهدنـــة القلقة بيننـــا وبين ربايا الحكومـــة في أعالي بيرس.

وصلتها الآن بالمقلوب عن طريق الحكومة المسفلت فســـألت أين اختفت المقرات التي انســـحبنا منها عام 1987. لـــم يفهـــم مرافقونا البارزانيـــون من جيل الهجرة الثالث ما اقصده، فقد كانوا أطفالا في مخيمات اللجوء ولم يعرفوا شيئا عن تلك الأيام إلا من أحاديث الكبار، وبينهم حســـن الذي استشـــهد والده في سجون السلطة خلال الحملة على قرى بارزان.

لهذه المنطقة قدســـية خاصة كونهـــا تضم رفات القائد مصطفى البارزاني تحت كومة من حجارة ودون شاهدة. لذلك صارت محمية منع فيها صيد الحيوانات فكبرت طيورها وهي تنقر الحب على مسافة قريبة منا دون أن تلتفت وتســـير غزلانها الهوينا دون أن تتلفت حذرا وصارت خنازيرها كالعجول وتفح حياتها زاحفة بين الشـــوك نحو عيون الماء. لم يعبر مرافقونا الجبل ولم يشربوا من الماء عيونه ولم يناموا في مغارته ذات الألف عمود لأنهم يدخلون مدينة أجدادهم بســـيارات الرئاسة وعبر الطريق المســـفلت، لذلك كانوا يسمعون أحاديثـــي باندهـــاش وكانني اتحدث عـــن عالم يمت للأساطير.

المدينة المتمردة

في الطريـــق الى الســـليمانية وفي مصيـــف مهجور وبينما نتحدث جرني واحد من البيشـــمركة القدامى من يدي:

- أترى تلك القمم الرمادية المتتالية؟... خلف هذا الجبل مباشرة..

بالكاد لمحـــت قمتـــين متجاورتين لفهمـــا ضباب وغموض.

-... هذا هو جبل قنديل!

تركت الشـــلال الهادر خلفي وموائد الطعام الغنية وزجاجـــة الكوكاكولا والســـيارات المصطفة بانتظارنا وتقدمـــت نحو حافة الأخـــدود . انفصلت عن الجمع لأبحـــث عن نفســـي في 1983-5-31 وأنـــا أدب على تلـــك القمة خائضا في ثلج يصـــل الى خاصرتي وتاركا ورائي وادي بشتاشـــان تـــدوي فيه القذائـــف ويلعلع فيه الرصاص وتاكل الحرائـــق فيه (مدننا الفاضلة)، ومعها حشـــد من الشـــهداء ومئات من رفاق لا أعرف مصائرهم. مثل عناوين فصول من روايتي مرت صور أحداث ذلك اليوم الذي يطارد أحلامي:احتلال القمم، ســـقوط ليوجه، وزيوه ثم تطويق بشتاشـــان، حرائق

الورق ونسف مخازن السلاح ثم قرار الإنسحاب الى الجبل...

نزلنا الى السهل فاقترب الجبل الذي صعدناه بذلك الإصرار الذي لايفسره غير جنون الحياة.لقد صورته في روايتي (مدن فاضلة):

مع الظلام بدأت أفقد الوضوح وحدود الأشياء وبدت الجماعة فكرة مجردة، فالألم يمت لي وحدي وما عاد هذا الجسد المنهك المنغرز في الثلج قادرا على التمسك بأية فكرة غير وجوده الكابوسي المبهم وتلك الغريزة التي تجعله ينهض حين يكبو ويستمر في السير، وصعد الى الرأس بخار ثقيل يجعل الأوهام أكثف من الواقع... أدخل سردابا من ضوء كبريتي مثل بئر تمتد افقيا... تنقطع فجاة مثل هاوية... أسقط فيتلقاني فراش الثلج وانهر نفسي: " مالك؟ وضوح!" أحاول امتلاك جسدي المخدر وأرفع رأسي فأرى واحدا نام على وجهه وهو يأكل الثلج وآخر يحفر الثلج باصابعه: " فقدت هنا قطعة لحم ساخنة "ويئن مثل طفل حين يجروه بعيدا عن كتلة الثلج... أدري هناك نار مشتعلة في نهاية السرداب وقد تحلقت حولها أكف مثل طيور محترقة وأسير على هدي هذه النار فيعترضني رفاق تمددوا على جانبي الطريق. أعبر واحدا منهم دون أن أسميه فيجرني الثاني، أعبره وارى من يجره من نومته بعنف:

-ستموووت!

ويجرني ثالث... أفقد غريزة البقاء والقي جسدي على الثلج غير راغب في النهوض حين ينادونني... بدات أعد الثواني: واحد.إثنين. ثلاث... واقفل عيني لأنال السلام: تمحي الصخور الناتئة وتلال الثلج وآثار أقدام من سبقوني وسلسلة القمم اللانهائية وهذه الضربات والكبوات والسير الشاق وعبء الحياة الذي نحمله كالبغال وبدأ تعب مخدر يملأ جسدي مثل حكة خفيفة في مكان غير محدد داخلي، وبدأ الألم دليل الحياة يهجر اطراف أصابعي، قدمي، ركبتي ولم أعد اسمع نداءات الحياة التي يرسلها جسدي وما عدت أسمع حتى أنيني ولا ذلك الصوت الآمر " إرادة!"... حتى الوساوس سكنت وتجمعت ذبالة الحياة الباقية حول لسان اخير من لهب احميه وأحتمي به... في النهاية رأيت جسدي وقد استحال ثلجا ستجرفه سيول الربيع..."

كنت أتلفت حولي في السيارة باحثا عن واحد شاركني التجربة، هو وحده قادر على أن يعرف سر الدوار الذي اصابني وأنا اراقب القمم التي تشبه ضروع بقرة مقلوبة، وأبحث بين وجوه حراس موكبنا وأسأل: اي منهم طاردنا وقتل رفاقنا وهم نيام على الثلج، ثم أنحي الفكرة قائلا لنفسي: عم تبحث؟ فتاريخك تاريخ للقتل والنسيان. والذين طاردونا على تلك القمم وقتلوا رفاقنا هناك هم مضيفونا هنا بعد أن تحولت الرصاصة بفعل الزمن الى وردة.

أقترب أكثر في مدينة السليمانية النائمة تحت جبل أزمر واقترب من روح الكرد، فهنا عاصمتهم الروحية. مدينة متمردة بامتياز لم يستطع النظام السابق ترويضها ولذلك فضل ان يحولها الى سجن. أتذكر أنني زرتها كصحفي ضمن وفد رسمي في بداية السبعينيات وكانت توصيات العسكري الذي قاد رحلتنا:

- لا تأمنوا هذه المدينة، إنها فخ!

أخذنا الى فندق محاط بثكنات الجيش ويحتل القناصون سطوحه.مع ذلك حذرنا من النوم على الأسرة:

-نموا على الأرض فهي أكثر أمانا لأن العصاة ينزلون في الليل من الجبل ويتسللون للمواقع القريبة.

في النهار أخذنا الحراس الى السوق وهمسوا في آذاننا:

- كل هؤلاء الباعة الذين يبدون ابرياء يتعاونون مع العصاة لذلك ابقوا قريبين منا!

هندسة المدن المحاصرة اوحت للنظام السابق بإنشاء الشارع الستيني حول المدينة بحيث يتاح لآلياته أن تتحرك من معسكراتها وتنتشر على طول هذا الشارع لتطوق المدينة المتمردة خلال دقائق. وقد نجح

النظـام مرتين في عزل المدينة عـن الجبال المحيطة، اي عزل ناسها العزل عن المسلحين في الجبل. وقد كان التمريـن النموذجي عـام 1985 حين أخفق تحالف الاتحـاد الوطني الكردسـتاني مـع الحكومة فطوقت آليات سـلطة المدينة خلال دقائق وألقي القبض على 6 آلاف مـن أنصار الحزب.وقبل ان تصحو المدينة من الصدمة استقبلت في نفس اليوم 150 جثة من الكوادر الذين أعدموا ضمن حملة الترويع. اعيدت الكرة ولكن بالتفافة اسرع بعد إخفاق الانتفاضة عام 1991.

تغيرت السليمانية التي عرفتها بفعل الأمان النسبي في بـلاد تهزها السـيارات المفخخة. غيرها الاسـتثمار العشـوائي فغطت العمـارات البلاسـتيكية المتأمركة ملامـح المدينـة القديمة وهويتهـا الثقافية وتغطت الأسـواق القديمة ببضائع البلاستيك الكوسموبولتية وبـدت لي مدينة تريد أن تنسـى نفسـها مسـتعيرة واجهات لا تمت إليها.

النخـب الثقافيـة هنـا فارقت علاقتهـا بحركة التجديـد في الثقافة العربية. وهي تدفع نحو انفصال ثقافي اكثر تطرفا من الانفصال السياسي. لا يريد أدباء المدينـة علاقة مع اتحاد أدباء العراق بعد أن أنشـأوا اتحادهـم الخاص، ولا يريـد الصحفيون الكرد علاقة مـع النقابة العراقية بعد ان أنشـأوا نقابتهم الخاصة على عكس قادتهم السياسـيين الذين يريدون التأثير بالمركز بعد أن ضمنوا سيطرتهم الكاملة على الإقليم. المثقفون الكرد المستقطبون قوميا وحزبيا وضعوا كل رهاناتهـم على القضية القوميـة واقل الرهانات على تعميق الديمقراطية خارج هيمنة الحزبين.

في كل مرة ألتقيهم يتحدثون عن كتاباتي فيزداد إحساسـي بالذنب والقصور لأنني اتابع أبعد الثقافات عنـي زمانا ومكانا وتجربة وأجهل أقربها الى، الثقافة الكردية.

في المرة الأخيرة وصلت كردستان من بغداد مخلفا ورائي أربعـين جثة مقطوعة الـرأس في يوم واحد. وصلـت وهاجس المفخخات ورائـي. بصعوبة تراخت أعصابي وانا أتحسس بحذر الأمان في كردستان. أراقب السـرعة التي تصاعـدت بها الأبنية قياسـا لزيارتي السابقة وانتشـار الشركات الأجنبية المستثمرة وكثرة الأجانب في فنادق الدرجة الأولى. شـعرت انني أعيش زمنين متعارضين: زمن كردستان حيث تتوطد الدولة على سـيئاتها وتنبنـي مدنا ومصانـع في هذا الأمان النسبي المطوق بامبراطوريات تكره الكرد. يقابله زمن بغـداد حيث تتفكك الدولـة وتحاصر داخل المنطقة الخضراء وتتهدم آخر مقومـات حضارتنا بالمفخخات والمليشيات وهيمنة الأصولية التي تريد،على تعارضها، إنشـاء طالبـان عراقية بلا اي مظهـر للفرح. الهدوء اسـرني تماما وأنـا أجلس في حديقـة الفندق اراقب تدفق الماء من النافورة واحك جسـدي بالبرد المسائي الخفيـف وأهش من ذهني بغـداد وأخبارها المقبضة عارفا أنها أمامي على مبعدة يومين .

من تاريخ الكرد في ولاية حلب العثمانية

د. محمد علي الصويركي

(١) الكرد في ولاية حلب:

في بحث علمي موثق قام به الطالب خضر عمران حول الحياة الاجتماعية في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي/ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري». اعتمد ضمن مصادره على وثائق محاكم حلب الشرعية، اثبت من خلالها وجود الكرد في ولاية حلب منذ القرن الثاني عشر الميلادي – منذ أيام الدولة الأيوبية، والدولة المملوكية، والدولة العثمانية - وهذا البحث يدعم الآراء التي تؤكد أصالة الوجود الكردي في سوريا (منطقة الجزيرة وعفرين) منذ مئات السنين، وقد وردت هذه الحقائق التاريخية ضمن أطروحة الدكتوراه التي تقدم بها الطالب المذكور إلى جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، عام ١٩٨٩م. ولقيمة المعلومات التاريخية التي وردت في احد فصول أطروحته عن الكرد في حلب، نستلها من أطروحته كما هي، يقول خضر عمران:

« أما بالنسبة للكرد فقد كان وجودهم في بلاد الشام مرافقاً للوجود (التركماني)، وفي بعض الأحيان كانت تحدث صراعات دموية بين الطرفين، فقد ذكر (ابنُ الأثير) في حوادثِ سنة ٥٨١هـ | ١١٨٥م أنه في هذه السنة ابتدأت الفتنة الكبرى بين التركمان والكرد بديار الجزيرة، والموصل، وديار بكر، وخلاط، والشام، وقتل بها من الخلق ما لا يحصى، ودامت عدة سنين[١].

وفي العهد المملوكي، ذكر (القلقشندي) انه وجد في ظاهر حلب وبرّها الممتد حاضرةً وبادية سكن كثيف، وأمم من طوائف (العرب والكرد والتركمان)، كما أشار أيضاً إلى مرابطتهم في (الثغور)مع (التركمان)، يحاربون العدو البيزنطي[٢].

ومما ذكر في العهد المملوكي أيضاً، انه كان يتبع حلب بعض قبائل (الكرد)، وكان بعض شيوخهم، يعينون من قبل السلطان[٣]، ويستدل من هذا أن العنصر الكردي في هذه الفترة كان يعيش في نواحي حلب حياة قبلية، ويعتمد على تربية الحيوانات، والرعي، والتنقل، وبعد استيلاء العثمانيين على بلاد الشام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، وخلال القرن العاشر /السادس عشر ، نظمت مناطق الكرد إدارياً، فجعلت لواء عرف (بلواء كرد حلب)[٤]، غير أن المصادر التي ذكرت ذلك لم تحدد المكان الذي يقع فيه (اللواء)، وان كان يعتقد انه يعنى به (جبل الكرد) المتمثل (بعفرين، وعزاز، وكلّس)، كما أشير إلى وجود (الكرد الايزدية)[٥] في هذا اللواء ، وقيل انهم كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب، وقطع الطرق، وقد عاقبهم أمير اللواء (ابن

عربــو)[٦] والد (جنبلاط بــك)، فقتل أعداداً منهم، جزاء لما يقترفــون[٧]، ولعل هذا كان يحدث في النصف الثاني من القرن السادس عشر.

ولقد فُهــم من (التنظيمــات الماليــة العثمانية) لبلاد الشــام في القرن العاشــر الهجري/ السادس عشر الميــلادي، أن الكرد وجدوا في ولاية حلب كقبائل، لكل قبيلــة زعيمها الذي يســمى (البيــك)، وكانت تدفع له الرســوم والضرائب والغرامات المفروضة على هذه القبائل، سواء فيها المستقر أو المنتقل[٨]. . .

وبالنســبة للوثائق الشــرعية، فقد ذكر (الكرد) في ريــف ولاية حلــب (كطوائف) مثلمــا ذكرت البدو والتركمــان، وقد جــرى الاطلاع علــى (٢٢١) وثيقة تخــص (كرد الريف)، ذكر ضمنها ٣٧ ســبعا وثلاثين طائفة كردية موجودة في ريــف الولاية.. وذكر معها قضايا هذه الطوائف (بيع وشــراء الكروم، ديون دفع الرسوم، طلاق ،تربية الحيوانات، علاقات بعضهم مع بعض، ومــع التركمان والبدو، ومع الســلطة الحاكمة، ومكان تواجدهم في قضاء كلّس (مركز القضاء، ناحية الجومة، عزاز ..)، وفي بعض قرى ناحية جبل سمعان، وفي ناحيــة العمق... وفي بعض المناطــق خارج ولاية حلب.

ومــن الطوائــف الكردية التــي ذكرتهــا الوثائق (طائفة اليزرلية الكردية)، وفهم انهم كانوا ينتشرون في مقاطعة (ســروج)[٩]، ثم (طائفة الكرد الخالدية) التابعــة لكلّــس[١٠]، وذكر انه لهــذه الطائفة (كتخدا) يجمــع العوارض والتكاليف، كما ســكن بعض أفرادها بمحلة الكرد ظاهر حلب[١١].

وتلي ذلك (طائفة دلكان الكردية)، وقد اســتنتج مــن الوثائق التي ذكرتها وجود أفــراد منها في بعض قرى ناحية جبل سمعان كقرية (بابنس)(١٢) .

وهنــاك (كــرد صهيــون)[١٣]، وكان يعتــبرون (مقاطعة مالية) يشــرف عليهــا (الدفتري) في حلب ويرسل بعض خدمة من الجنود السلطانيين لضبطها، ووضعهــا في خزينة قلعة حلــب، وقد ذكر ذلك ضمن وثيقة واحدة[١٤]، مع العلم أن (كرد صهيون) هم اقرب إلى سنجق اللاذقية.

أمــا (طائفــة الكرد الهشــتوانلية أو الهشــتنولية الكرديــة) فكانــت وثائقهــا كثيرة بالقيــاس لغيرها، ويتوزع أفرادها في قرى ناحية الجومة، وقرى قضائها كلّس(الايزديــة – جويــق –قــره قوى- قبــا أغاج ، داردیــل- قلندرية - عين ديب - مزرعة الزبيبة...). وذكــرت هــذه الوثائق قضاياهم المختلفــة من (بيع مساكن، وبيع كروم، أراض، ووصايا على صغار، وديون، وخلافاتهم مــع العرب، ومع بعضهم حول الحيوانات، ودفع مال الميري بالديموس...)[١٥].

وهنــاك (طائفــة الدنلبيــة الكــرد)، وذكــر وجود أفــراد منها في ناحية الجبول، وقد باع احدهم حجرة زرقاء (فرس) للشــيخ موسى البدوي من قرية حقــلا، ناحية الجبول ويعتقد أن هذه الطائفة كانت متنقلة[١٦].

وهناك (الطائفة الطوالية الكردية) المتواجدة في قضاء كلّس، وقد ذكرت من خلال قضية بيع كرم، وارض جــب الصغــير، قضاء كلّس يملكه شــخص من الطائفة، وكان المشتري من أهالي (محلة الشميصاتية) ظاهر حلب[١٧].

وبالنســبة (لطائفة كرد القولان سزلية) فهي تلي (الهشــتوانلية) من حيث عدد الوثائــق التي ذكرتها، وينتشر أفرادها في عدد من قرى قضاء كلّس (قراقوي – قازيان – الدرهمية –كاخور – بريعوص). وغالبة قضاياها تتحدث عن بيع كروم في هذه القرى، وبعض المشــترين من (النصارى)، ولعلهم مــن نصارى ظاهر حلب، كما ذكر وجود أفراد من هذه الطائفة في بعض قرى عزاز[١٨].

وهنــاك (طائفة الكــرد الرمضانليــة)، وقد ذكر وجود أفراد منها في قرية كفر زيت من أعمال الجومة قضاء كلّس وذلك من خلال قضايا بيع الكروم، وقطع الأراضي[١٩].

أمــا (طائفة البانوكية الكردية)، فيبدو أنها كانت

تمتهن تربية الأغنام وتبيعها للقصابين في حلب[٢٠] .

ثم (طائفة الطباخين الكردية)، ويسكن أفرادها في قرية براد[٢١]، ويعتقد أن هذه (طائفة مهنية) أكثر مما هي طائفة تجمعها أواصر القربى..

أما (طائفة الكرد السليمانية)، فقد ذكر وجود أفراد منها في بعض قرى ناحية جبل سمعان كقرية (حداديـن) وفي قـرى ناحيـة المطخ كقريـة (كفر حـداد)[٢٢]، ويعتقد أن لهذه الطائفـة صلة ما بكرد مدينة السليمانية في العراق، وقـد ذكرت من خلال قضايا (الديون)على بعض أفرادها .

ومن خلال قضايـا (الديون) أيضا ذكرت (طائفة الهارونيـة الكرديـة) ويبدو أن بعـض أفرادها كانوا يسكنون في ظاهـر حلـب[٢٣]، ولكن لم يحـدد مكان تواجدهم في الريف.

ثم (طائفة العمكليـة الكردية)، ذكر وجود أفراد منهـا في قرية (اشـرمن) من توابع الجـوم وفي قرية (قازيـان، وجبـل ايمان) مـن توابع كلّـس، وجميع قضاياهم تتحدث عن بيع كروم، والمشترين من ظاهر حلب[٢٤].

وتبقـى قرى قضـاء كلّس (قازيـان – الدرهمية – قراقـوى ...) المركـز الرئيـس لتواجـد طوائـف أخـرى كرديـة (كالقرجليـة)[٢٥]، و(القلاقليـة)[٢٦]، و(القشـتوانلية)[٢٧]، وقد ذكرت من خلال قضايا (بيع كروم، وديون).

أما (طائفـة الكرد المالكانيـة) فلوحظ أنها كانت تمتهن تربيـة الأغنـام وتتجول في قـرى الريف[٢٨]، رغـم أن الوثائق التي ذكرتها لم تحدد مكان تجوالها، ومثلهـا (طائفة الدنابلة الكرديـة) التي كانت تعتني بالحيوانـات (كالأغنام والخيـل)[٢٩] ولم يحدد مكان تجوالها.

وهنـاك (طائفة الكـرد اليعقوبيـة)، ولم تذكر الوثائق مكان ارتحالها أو اسـتقرارها، وقد ذكرت من خلال قضية (دين) على أحد أفرادها[٣٠].

وتبقـى الحيوانات مصـدر معيشـة الغالبية من الطوائـف الكردية، فطائفة الكرد الشـقبندلية كانت تبيع الأغنام للقصاب باشن بحلب (رئيس القصابين)[٣١]، وبذلـك تعمل هـذه الطوائف البدويـة الكردية على تامين حاجة سكان مدينة حلب من اللحوم.

ومثلهم أيضا (طائفة الكرد الجاوقلية) الرحّالة، وكان أفرادهـا يبيعـون الأغنام التي يربونهـا[٣٢]. أما (طائفة الشـقافية الكردية)، فقد ذكر تواجد أفرادها منها في بعض قرى كلّس، كقرية (حلبان)، وبعض قرى ناحية جبل سـمعان، كقرية حيان وتتحدث وثائقها عن بيع كروم، وخلاف حول حيوانات، وقضايا ديون، كما ذكر معها طائفة أخرى تدعى (العبدللية)[٣٣].

وتسـتمر الوثائق في عرض قضايا طوائف كردية أخرى (كالطائفة الشـنواتية الكرديـة)، وذكر وجود أفـراد منها بأرض الجويق تابع كلّس، وذلك من خلال قضية بيع قطعـة أرض[٣٤]. و(طائفة كرد أوقجي عز الدين) التي وجد أفراد منها في قرية الدرهمية (قضاء كلّس)، وقد ذكرت من خـلال قضايا بيع الكروم، ثم (طائفـة الدوكرية، وموسـى بكلي) وقـد ذكرتا مع الطائفة السـابقة من خلال قضيـة بيع (ثور) جرى الخلاف عليه بين أفراد من الطوائف الثلاث وعرضت القضية على قاضي مدينة كلّس[٣٥].

ومن خلال قضايـا بيع الكروم وقطـع الأراضي، ذكـرت طوائـف كرديـة أخـرى (كطائفـة الكـرد الايزديـة)، وذكر وجود أفراد منهـا في قرية (قوبار) قضاء كلّس[٣٦]. و(طائفة الكرد القرملية) وذكر وجود أفراد منها في قرية قازيان قضاء كلّس[٣٧]، ثم (طائفة الشيخلي الكردية) التي ذكر وجود أفراد منها في قرية (بابليـت) قضاء كلّس، من خـلال قضية بيع قطعة ارض وإسطبل، ومتبن، وارض بيدر في القرية[٣٨]..

ولوحـظ من خـلال الوثائق أن بعـض الطوائف الكردية قد امتهن أفراد منها (الرعي بالأجرة لطائفة الروبلية الكردية) حيث قيل: ان أحد الجاويشية سلم فرسه لرجل من هذه الطائفة ليرعاها, وأعطاه نصف اسدي مقابل خدمته[٣٩].

وقد لا ننسى (طائفة أشقياء الجلالية) من الكرد، حيث تحدثت الوثائق عن تواجدهم في (ناحية العمق)، وقد تعاونوا مع أشقياء التركمان الجلالية من (طائفة البرق) في الاستيلاء على الطواحين المستأجرة، واستغلال الماء لصالحهم الخاص، والإساءة لمستأجري الطواحين، وللفلاحين العاملين بالزراعة[٤٠]. وهؤلاء كما ذكر سابقا في (بحث التركمان والجلالية) قد لا تجمعهم أواصر القربى بقدر انهم شتات من الكرد، خرجوا عن طاعة الدولة العثمانية في فترة انحدارها وضعفها واشتركت فيهم عناصر أخرى مختلفة.

وهناك وثائق عديدة تذكر (الكرد) بشكل عام دون ذكر الطائفة التي ينتسبون إليها، وفهم من خلال هذه الوثائق تواجدهم في مناطق مختلفة لا تخرج عما ذكرت كقرى ناحية الجومة، وقرى قضائها كلّس (كفر كوكو – الدرهمية – كفر زيت...)[٤١]، وفي بعض قرى ناحية جبل سمعان (بابنس)[٤٢]، وبعض من قرى معرة مصرين، كقرية (كفتين)[٤٣].

هذا ما أمكن استخلاصه من الوثائق الشرعية- الموجودة بمركز الوثائق بدمشق- أما المصادر الحديثة والمعاصرة فقد ذكرت أسماء قبائل وعشائر كردية ورد بعضها في الوثائق (كقبيلة العميقي)[٤٤] التي تسكن قضاء عفرين . . و(عشيرتي الموجلي وخوماري) وتقطنان أنحاء جبل ليلون[٤٥]، و(عشيرة شيفانلي) التي تسكن ناحية راجو، وقبيلة الجومة التي تسكن جنوبي قضاء عفرين،و (قبيلة الكيتكان) المستقرة في عدد من قرى منبج وعفرين والباب، وعزاز....[٤٦].

وقد ذكر أن بعض القبائل الكردية جاء متأخراً إلي إيالة حلب عن القبائل السابقة (كقبيلة الشيخان) التي جاءت من الجزيرة[٤٧]، علما بان الوثائق قد ذكرت (الشيخلي) قبل منتصف القرن السابع عشر[٤٨]، وفي أواخره ضمن الطوائف الكردية وان بعضاً من أفرادها كان يقيم في نواحي كلّس، ويملك بساتين في وادي تشاب القريب من كلّس، وفي قرية (بابليت) من أعمال الجومة قضاء كلّس[٤٩].

وهناك قبائل قدمت متأخرة لنواحي حلب (كالشيكاغي) التي جاءت من أرمينية وأوقجي عز الدين[٥٠] ذات الأصل الغامض، وقبائل ثانوية اندمجت في القبائل السابقة كقبيلة موسى بكلي[٥١]، ومنبج[٥٢].

والخلاصة: فان الطوائف الكردية في ولاية حلب أثناء فترة البحث ـ لم تدن كلها بالإسلام فبعض منها ينتمي (للطائفة الايزدية)، وقد استقر قسم من هذه الطوائف وقسم آخر ظل يمتهن الرعي والتنقل (كالعرب والتركمان)، وكان تحدث بينهم وبين التركمان والعرب أعمال عنف محدودة حول مصادر المياه، وفي عمليات غزو ونهب متبادلة.

ولوحظ أن الكرد لم يكونوا كالتركمان منسجمين مع السلطة الحاكمة، فقد برزوا كقوة سياسية قبل فترة البحث ١٠١٤ – ١٠١٦هـ /١٦٠٥ –١٦٠٧م , حيث استطاع علي باشا جانبولاد زعيم إحدى العشائر الكردية الاستيلاء على ولاية حلب، كما ظهرت منهم قوة متمردة وخارجة على الدولة أثناء القرن السابع عشر الميلادي وقبله (كالسكبانية والجلالية)، وكانوا من أهم عوامل زرع الخوف والذعر في بعض أرجاء ولاية حلب[٥٣]».

(٢)العشائر والقبائل:

في بحث علمي موثق أعده الدكتور إبراهيم الدقوقي عن «كرد الدولة العثمانية» ، ونشر في المجلة التاريخية المغربية للدراسات العثمانية (زغوان- تونس)، العددان (٥-٦) شباط ١٩٩٢(*)، ذكر فيه (٣٨٠) قبيلة وعشيرة كردية كانت منتشرة في بلاد كردستان (إيران وتركيا وسورية والعراق) أيام الدولة العثمانية، واستند في إثبات ذلك الى أرشيف رئاسة الوزراء التركية الذي يحتفظ بجميع الوثائق الخاصة بالدولة العثمانية منذ نشوئها حتى سقوطها عام ١٩١٨.

وجاء في البحث بأن نفوس الكرد في الدولة العثمانية بلغت حوالي مليونين نسمة قبل سقوطها، وكان تطلق عليهم أسماء عديدة خلال ذلك العهد بلغت حوالي

(١٧) اسماً خاصاً بهم، مثل: كرد، كردي، كردلي، كرديلي، كردلر مورتانا، كرد محمودلو، قره كوردلو، كوجوك كورد مهماتلي، توركمان كردي، كرمانج...، علما بأن قسماً من هذه العشائر قد اندثر أو انصهر في العشائر الكردية الأخرى، ونستل من بحثه أسماء العشائر الكردية وأماكن استيطانها التي كانت ساكنة في شمالي سورية (منطقة الجزيرة وعفرين)، ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

مقاطعة الرقة (الجزيرة): كانت تسكنتها القبائل الكردية الآتية:

آدامانلو، آقجة توره نلو، آلوجلو، انتولو، اتمانلو(تمالو)، بادوكان، باديللو،باريجكان، بالابان، بامران، باساك، بايخانلو، برازي، بريفكان، بروان، بيلانالي، بيرانوغلو، بزوري، بينكان، بيزه كي حران، بيزه كي ريشوان، بوزان، بينكان، عزيزلو، يازكوري، بارانلو، بازوكي، بزكوري، بيخانلو، جاكسور، جان بيزكوري، جانان بيزيكي، جيران، جوركانلو، جمال الدنيلو، جيكانلي،خيان، حجوان،حاجاوانلو، حاجي يوسف، حاجي مصطفى، حاجي ازيدينوغلو، حاليكان، حزينان، خاصكان، خطمان، خيان، اروكانو، وديكانلو، داليانلو، ده ليوليارغلو، ده ركترين، ديزه يي، دوديكان، دودانلو، ده شتي، دينابي(ديناي)، دريجبان، ديوانلو، ديوانوغلو، ديفري، دوشي، زاخوران، زاروارلو، زرديوانلو، زه ركلي،زيباي، زيلان، زه ريكان (زه روكان)، زاخوزن، وامران، امران، تيرجانلو، تيرجان، تيركان، توراجلو، توراكانلو، اولوس، شيخان، شيخ بزيني، شهوركان، شقافيان، ساماق، شامللو،شاقي (شاقيلو)، شهركان، ريشوان، ريزي، روتان، سه بيكان، سكنلو، روتان، به روان، يوسكانلو، ره شي، ريشان، ريشي، موس بك، مورسيكان، موسايانلو، المللي، مير ميران، موران، موجويان، سحوركان، سروج، سيوه ره ك، سيسكان، سينديكان، ، شه قاق، ساماق، هويدا، كاوي (كاولو)، كله جوري، كيره جور، قارونيك اوغللري، قليجلو، قيزيل، قويونلو، قوين اوغني، كاسيكانلو، عثمانللو، كلومر، كونبنيك، كلوكان، ماليكان، مالوكي، كه بيكلو، كيكي،مامات، مايروباوي، مه رويسي، مه ريكان،ميكائيلان، ميللي، مير ميران، مودان، موجويان، مكرمانلو، موس بك، مورسيكان، مصلحلي، موسايانلو، نعمت، اوماران، اوشيلي، به روان، يوسكانلو، رجبلو(افشار)، ره شي، ريشان، ريشي، ريشوان، ريزي، روتان، سه بيكان، سكنلو، سيبكي، سيلوان، وامران، تلوغلو حسو، سنجان:

كليس(كلّس): آدمانلو،اسه نده للي، جيران، آمكي، جه ويدي، خوشتيوان، حاجكي، حاده م، دريكانلوا، دويارلو، دودانلبو، ده رسيه لو، ديسملو، دوشرلو، داغلو، هرمزكان، دوديكان،هويدا، مجدان، مه ريشان، موس بك، اوميار، اوكسوز، ره شي، ريشي، صولاق، شه قاق، شكوران

حلب: اروكانو، شقاقيان، برازي، جيران، داغلو،دليكانلو، دوشرلو، اهي (آخي)، اسه نده للي، هويدا، موس بك، اوكسوز، خوستيوان، ره شي، ريشي، ريشوان، شه قاق، شاقي (شاقيلو)، آمكي.

اللاذقية: موسان.

جوانب نهر الفرات: شاقي(شاقيلو).

الشام: برازي، شدادان.

طرابلس الشام:بوزان، الشيخان، باديللو.

إنطاكية: دوشرلو، ده رسبه لو، آمكي.

هوامش البحث ومصادره

ملاحظة: مصطلح سجل: يشير إلى سجلات محاكم حلب الشرعية المحفوظة في مديرية الوثائق التاريخية بدمشق.

(١)ابن الأثير:الكامل في التاريخ،دار صادر، بيروت،١٩٦٥، ١١/١٩٩

(٢)لقلقشندي: صبح الأعشى،القاهرة، ١٩١٤. ٤/١١٧-١٢٠-١٢١

(٣)دائرة المعارف،٢١/٨

(٤)ابن الحنبلي: در الحبب في تاريخ حلب،وزارة

الثقافة، دمشق، ١٩٧٣م. ٤٣٧/١

(٥)ينظر ذيل الملل والنحل للشهرستاني،٣٣-٤٠

(٦)ابن الحنبلـي: در الحبب،٤٣٧-٤٤٥وفيه ترجمة لجانبلاط بك ابن الأمير الكبير قاسم الكردي القصيري المشهور(بابن عربو) أمير لواء كرد حلب

(٧)المصدر نفسه،٤٣٧-٤٤٥

Mantrant(R)sauvaget(J),Reglements,(٧) ottomans. Sytiennes ,Beyrouth,1951. p.101-104

(٩)ســروج من ديار مضر تقع في مركز متوسـط بـين الفرات من جهة، والرها وحران من جهة أخرى، وهي على مسـيرة (٢٠) فرسخا من الرقة، وقد ذكرتها كتـب الأدب حيـث كان فيها أبو زيد بطـل مقامات الحريري. مادة سروج في دائرة المعارف،١١/٣٨١-٣٨٣

(١٠)سجل رقم(٢٥) من تاريخ١٦٤٨-١٦٤٩م، ص١٣٧

(١١)سجل رقم(٢٥) من تاريخ١٦٤٨-١٦٤٩م ،ص٢٩٧

(١٢)ســجل رقــم(٢٥) مــن تاريــخ١٦٤٨-١٦٤٩م ،ص٣٠٠و٣٠٢ وثيقتان.

(١٣)كرد صهيون: يسكنون في عددٍ من قرى ناحية (كنسبا) قضاء الحفة، أحد أقضية محافظة اللاذقية، وتبعد الحفة عن اللاذقية مسافة ٣٨كم.

(١٤)سجل رقم (٢٥) من تاريخ١٦٤٨-١٦٤٩م ،ص٣١٧

(١٥)مثال ذلك ينظر:سـجل رقــم (٢) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م، ص٣٥١، ســجل رقم (٣٢) من تاريخ ١٦٧٢-١٦٧٥م،ص٣١٦،٥٧٨، ســجل رقــم (٣٨) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م،٥١،٥٧٨،٣٨٠، ســجل رقم (٤١) مــن تاريخ ١٦٩٩-١٧٠١م،ص٣٧١، وقــد بلغ عدد وثائق(الهشـتوانلية) ١٦ وثيقة...

(١٦)سجل رقم(٣) من تاريخ ١٥٤٦-١٧١٧م،ص٣٣٩

(١٧)سجل رقم(٣) من تاريخ١٥٤٦-١٧١٧م ،ص٣٤١

(١٨)مثال ذلك: ينظر ســجل رقم (٢٧) من تاريخ ١٠٧٨-١٦٥٦م،ص٥٣٨، ســجل رقــم (٣٠) مــن تاريــخ ١٦٦١-١٦٦٤م،ص٢٢١، ســجل رقم(٤١) مــن تاريخ ١٦٩٩-١٧٠١م،ص١٢٤، ٣٤٦، وقــد بلـغ عــدد وثائــق (القولاق سزلية) ١٢ وثيقة.

(١٩)ســجل رقم (٢) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م،ص٢٥٤، و سجل رقم (٣٨) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م،ص ٦٠٦

(٢٠)سجل رقم (٢) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م ،ص٤١٠

(٢١)براد: يعتقد بأنها مــن قرى قضاء كلّس، وفي الوثائق ،سجل رقم (٢) من تاريخ١٥٤٦-١٦٨٨م، ص٤٢٩

(٢٢)ســجل رقم (٣٨) من تاريخ ،ص٣٠، و ســجل رقم (٣٠) من تاريخ ١٦٦١-١٦٦٤م، ص٢٧٩، وســجل رقم (٢) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م، ص٤٤٣

(٢٣)سجل رقم (٢) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م ، ص٥٨٦

(٢٤)ســجل رقم (٢) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م ، ص٦٩٤، وسجل رقم (٣٨) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م، ص ٥٧١، وثيقتان، وسجل رقم (٤١) من تاريخ ١٦٩٩-١٧٠١م، ص ٣٥٧

(٢٥)ســجل رقــم (٢) مــن تاريــخ ١٥٤٦-١٦٨٨م ،ص٧٠١،و ســجل رقم (٣٢) من تاريخ ١٦٧٢-١٦٧٥م، ص ٥٢٨ وثيقتان.

(٢٦)سجل رقم (٢) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م ، ص ٢٩٨

(٢٧)سجل رقم (٢٦) من تاريخ ١٦٥٨-١٦٦٢م، ص ٩٠

(٢٨)سجل رقم٢٦ (٢٦) من تاريخ ١٦٥٨-١٦٦٢م، ص ٢٥٩

(٢٩)ســجل رقم (٢٦) من تاريخ ١٦٥٨-١٦٦٢م ، ص ٣٨٣، وسجل رقم (٢٩) من تاريخ، ص ١٢

(٣٠)سجل رقم (٢٦) من تاريخ ١٦٥٨-١٦٦٢م، ص ٧٨

(٣١)سجل رقم (٢٨) من تاريخ، ص ٣٢

(٣٢)سجل رقم (٢٨) من تاريخ، ص ٢٧١

(٣٣)ينظر: سجل رقم (٢٨)، و سجل رقم (٣٠) من تاريخ ١٦٦١-١٦٦٤م ، ٢٢٣، وســجل رقم (٣٢) من تاريخ ١٦٧٢-١٦٧٥م، ٤٢٣

(٣٤)سجل رقم (٢٩) من تاريخ ١٦٦١-١٦٦٥م، ص٤٣٢

(٣٥)ينظر: ســجل رقم (٣٨) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م، ص ٦٦٥، وسجل رقم (٣٧) من تاريخ ١٦٨٦-١٦٨٨م، ص ٥.

(٣٦)سجل رقم (٣١) من تاريخ ١٦٦٥-١٦٦٧م، ص ٢٢٣

(٣٧)سجل رقم (٤١) من تاريخ ١٦٩٩-١٧٠١م، ص ١٢

(٣٨)سجل رقم (٣٨) من تاريخ ١٥٤٦-١٦٨٨م، ص ١٦٩

(٣٩)سجل رقم (٣) من تاريخ ١٥٤٦-١٧١٧م، ص ١٢٤

(٤٠)سجل رقم (٣٨) من تاريخ ١٥٤٦-١٧١٧م، ص ١٦٩

(٤١)ســجل رقم (٣٨) من تاريــخ ١٥٤٦-١٧١٧م ،ص ٦٩،٣٤٥،٥٠٠

(٤٢)ســجل رقــم (٣٨) مــن تاريــخ ١٥٤٦-١٧١٧م ، ص١١٣

(٤٣)سجل رقم (٤١) من تاريخ ١٦٩٩-١٧٠١م، ص ٤٤٠

(٤٤)العميقي: طائفة العميقــي وردت في الوثائق، وذكرت آنفاً.

(٤٥)جبــل ليلــون: جبل مطل علــى حلب، بينه وبين إنطاكية، في رأســه ديديان وبيت لاها وفيه قرى ومزارع (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢٩/٥).

(٤٦)ينظر: وصفي زكريا: عشــائر الشــام، ٣٣١/٢، وحميده/ محافظة حلب، ص ١٤١

(٤٧)حميده: محافظة حلب، ص ١٤١.

(٤٨)سجل رقم (١٨)، ص٥٩٠ وثيقة تاريخ ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥ م.

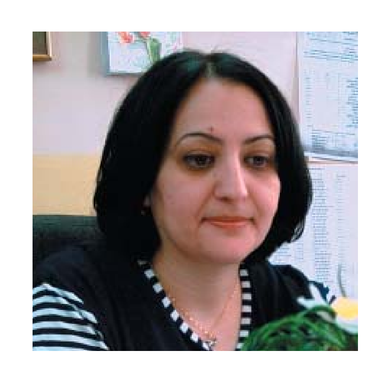
(٤٩)ســجل رقم (٣٨) من تاريــخ ١٥٤٦-١٧١٧م، ص ١٣٦، وثيقة تاريخ ١١٠٠هـ/١٦٨٩م.

(٥٠)أوقجــي عــز الديــن: ورد ذكرهــا في ثلاث وثائــق، وهي موجودة في بعض قــرى كلّس، كقريتي الدرهمية وهويجك، ينظر: سجل رقم (٣٨) من تاريخ ١٥٤٦-١٧١٧م، ٦٦٥، وســجل رقــم (٣٧) من تاريخ ١٦٨٦-١٦٨٨م،٦٦٥.

(٥١)موســى بكلي: ورد ذكرهــا في الوثائق، ينظر: سجل رقم[٣٨] من تاريخ ١٥٤٦-١٧١٧م، ص٤٢٥(٥٢) حميده: محافظة حلب، ١٤١

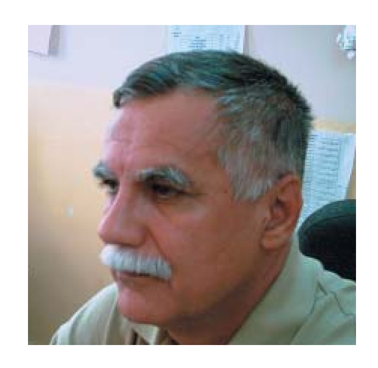
(٥٣)خضــر احمــد عبــاس عمــيران: الحيــاة الاجتماعية في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري. من خلال وثائق محاكم حلب الشرعية، اطروحة الدكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٨٩م، ص ١٤٠-١٤٥.

*نشــر هذا البحث في المجلــة التاريخية المغربية للدراسات العثمانية، (زغوان- تونس)، العددان (٥-٦) شباط ١٩٩٢، ونشر ايضا ضمن كتاب بعنوان «عشائر كوردســتان»، كاوا النشــر، بيروت، اربيل، ٢٠٠٢، ص



ايقاعية اللون والظل في الشعر

-دراسة مقارنة-



أ. د. ظاهر لطيف كريم - أ. د. نيان نوشيروان فؤاد
جامعة السليمانية- كلية اللغات

يرتبط النص بسلسلة من الصور الكلية والجزئية، السطحية والعمقية، التي تشكل له رصيدا جماليا، دلاليا، اجتماعيا.. فكلها الوان تنعكس عليها آثار الحالات السايكولوجية، الفكرية مع تجارب فنية تخضع في نظامها للتعبير عن مظاهر الهندسة الشعرية المتمايزة في التركيب، التشكيل والعلاقات، التي تؤسس لوحة تعبيرية-المنظور، الشخصيات، الضوء، الظل، الارتباط الفني والانساني، المفاهيم، الاحساس.. هذه الأمور تؤكد حقيقة المعرفة الثقافية والفنية والرؤى لصاحب النص ومدى ارتباطه، غير المشروط، بالخطوط المعمارية لحركية لوحاته باحثا ايجاد الذات والموضوع المتصلين بعذابات الانسان الحياتية والميتافيزيقية وصراعاتها الداخلية-حالات الحلم والانتظار، الموت، الولادة، المساحة المحدودة والحرية في تنوعها الاجتماعي والتاريخي.

ان ادراك الترابط والتفاعل وعلاقة وحدات النص بعضها ببعض هو احد العوامل الرئيسة لخلق الاسلوب والشعرية، على سبيل المثال، ففي الشعر، نجد بناء لونيا-المشاعر، التجربة الشعورية التي تشكل لونا اساسيا كالابيض مثلا وتندرج تحته الوان فرعية-هي ظل للون الاساسي الذي تحدده عملية امتصاص الحالات والانفعالات وهي بمثابة اللون المكمل للون الأول، أي ان الشعر «ينظم كلمات على اوزان خاصة وله اشعاع واصوات وصور»[1]، وان الشاعر هنا، يهمه

ان يكون على علم بنوعية اللون وكيفية استخدامه في حالات معينة دون ان يرهق نفسه في التخطيط او التفكير.. والشاعر الوجداني، بطبيعة موقفه الفلسفي، يتعامل مع قوانين الطبيعة بكل ما فيها من الوان وصور لأنه يجد في شعره خصيصة علائقية التي تنمو بين مكونات اولية والاخرى وسمتها الاساسية هي تحويل الصور إلى فاعلية خلق للشعرية في مستوياتها الايقاعية والدلالية والتركيبية[٢]، وان الصورة واللون-المباشر وغير المباشر- يشتركان معا في الهدف وبنية لغوية، جمالية وشعرية مستقلة، لهذا ان مفهوم الصورة مواز لمفهوم اللون في التعبير والغاية وهي علاقة توليدية، تماثلية وتفسيرية، وفي الوقت نفسه، وهي مشابهة بعلاقة الدال والمدلول في علاقاتها: السببية، الاجبارية، الضرورية، السياقية، الحضورية، التسلسلية، الالزامية، التعاقبية، التضامنية، العضوية.. نظرا للتطابق الحاصل بين التصوير الذهني-المدلول والاصوات المنطوقة-الدال- التي تستثير ذلك التصور[٣]. وتؤلف مثل هذه المستويات حالات المعنى الايحائي من العلاقات[٤] من حيث المعنى الاساسي او السياقي وان الاخير يحدده المعنى ثم يمتزجان بوساطة «كلمات تقنية»[٥]. والمقصود من هذا هو التحقق من هوية النص في الشكل والوظيفة والفهم، أي يتفرع موضوع العلاقة بين اللون الرئيس والظل-المكمل له-وفق تقديم وضعية النص او وفق توزيع مخطط التواصل بين الاثنين بلا تغيير في صومعية العنوان الاساسي الذي يشكل معايير جمالية في الترتيب والتناسب والقياس لأن الشيء الجميل، كما يحدده ارسطو في (فن الشعر)، هو ما يحتوي على نظام يقوم بين اجزائه بصورة متجانسة[٦]، وذلك من اجل عملية الادراك وتحقيق الاستجابة وهذا يؤكد ان القيمة الجزئية لا تنفصل عن الواقع الكلي، بل ان الاثنين يعملان من اجل التضامن الفعلي لحركية الفكر الفلسفي والابداعي للنص، وهذا ما يدفعنا إلى القول بان هناك احتمالا كبيرا في ان تتأثر هذه الحركية بالمقصدية النهائية في حركتها الايحائية. من هنا ان الانتقال من اللون الرئيس إلى الظل يجب ان يكون من جنس عمله وماهيته ومتحفظا، في الوقت نفسه، بالمبادئ والنتائج والطريقة لتحويل وعي ذاتي إلى وعي موضوعي وفلسفي في اطار تأثير متبادل بين الصوت والخطاب والعلاقة. وان العلاقة في كل هذا هي علاقة وظيفية، جمالية وادراكية ونهايتها كما بين ادموند هوسمان هي في الشعور الخالص وتعليق الاحكام والقيم[٧]، ولهذا اكد جان بير ريشار بان كل «شيء يبدأ بالشعور»[٨] وليس، كما يقول ارسطو في «انقلاب الفعل إلى ضده»[٩] كالتحول من الايجاب إلى السلب او من القدر إلى الارادة. لذا ان كل لون، سواء اكان جزئيا او كليا، يشمل العديد من الانساق المترابطة التي يتميز كل نسق منها بوظيفة مختلفة تجتمع عند نقطة واحدة وهي المقصدية او الخطاب كأن اللون الرئيس موضوع وخطاب والظل تجل لبنية مجردة او تخيل دون التعارض بينهما في التأويل والتأثير. فهذا الترابط المنطقي هو نمط العلاقة المهيمنة التي فسرها تودروف بأنها تظهر بين الوحدات في اوقات متميزة[١٠] وفق مراتب ومستويات يختص كل واحد منها باسلوب نوعي في الوصف واستقراء الدلالة[١١] مع بناء المعادلة فيما بين الوحدات. بتعبير اكثر تقنية، ان كل عنصر من المتوالية عبارة عن تشبيه وان لكل استعارة تلوينا كنائيا[١٢] توحي باشارتها بعضها إلى بعض بالمناخ النفسي او الاجتماعي العام في النص لهذا، ان الاثر المباشر للتواصلية في فعل اللون والظل هو في ائتلاف الخطاب والشعور التي تحددها المدلولات الاشارية للكلمات والعبارات كما يقول «فري» بأن شكل القصيدة وهو الشيء الذي تربط به كل التفاصيل، يظل هو هو سواء انظرنا اليه بوصفه ثابتا ام متحركا من بداية العمل إلى نهايته[١٣]، او كما اشارت جوليا كرستيفا في «علم النص» بان هذه العملية هي بالاساس ممارسة سيميائية والتي هي عبارة عن حلقة تكون نهايتها مبرمجة ومعطاة في صورة اولية منذ

البداية[١٤]، أي هناك مجموعة من العلائق للمحتمل الدلالي بين الوحدات الدلالية الكبرى والصغرى-اللون والظل-وهذا يؤكد سيميائيات «بورس» بان «العلامة شيء تفيد معرفته معرفة شيء آخر»[١٥] وان هذه المعرفة المضافة تدل على ان الانتقال من مؤول إلى آخر يكسب العلاقة تحديدات اكثر اتساعا سواء كان ذلك على مستوى التقرير او الايحاء[١٦]. هنا فالمهم في اية قصيدة ليس دور الشاعر في توظيف الواقع الاجتماعي اوالفكري، بل موقف الشاعر اتجاه نوعية الالوان المستخدمة في القصيدة وكيفية انسجامها مع ذلك الواقع وهذا هو مفهوم البناء بوصفه نظاما هندسيا متماسكا في عمله الاشاري والمعرفي للتعبير، على سبيل المثال، عن الاستجابة النفسية والعاطفية، أي ضرورة وجود الفعل التيميائي والانساقي التي تشمل عند «بياجة»[١٧] على:

-فكرة الكلية (التماسك الداخلي وترابط الاجزاء المكونة لكيان النص بموجب قوانين ذاتية تحدد طبيعة البناء والاجزاء المكونة له وليس تجميع العناصر).

-فكرة التحويل (تحويل الصور الاساسية من مدار إلى مدار اوسع شكلا ومعنى مع الاحتفاظ بمقصدية النص).

-فكرة الانتظام الذاتي (العمل من اجل بناء ومشروع يحافظ على الكيان الذاتي للمؤلف والقارئ والنص).

لذا يمكن القول بان اللون الرئيس يمثل (المرسل) الذي يولد الوظيفة التعبيرية او الانفعالية المركزة على نقطة الارسال وتنزع إلى التعبير عن عواطف المرسل ومواقفه ازاء الموضوع ويتجلى ذلك عن طريق النطق[١٨]، والظل يمثل (المرسل اليه) الذي تتولد عنه الوظيفة الافهامية وتوصيلها عن طريق (الرسالة)- فهي تستخدم للتدليل على انها رسائل حقيقية مع الاحتفاظ بمقصدية التخييل كأنها تتدخل في الموضوع في لحظات معينة ويمكن «معرفتها حدسيا»[١٩]، بمعنى آخر، ان المرسل يوجه رسالة إلى المرسل اليه ولكي تكون الرسالة فاعلة فانها تقتضي سياقا تحيل عليه وهو ما يدعى ايضا «المرجع». وتقتضي الرسالة، هنا، اتصالا إلى قناة فيزيقية وربطا نفسيا بين المرسل والمرسل اليه اتصالا يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه كما نجد في الشكل الآتي:

مرسل   سياق   مرسل اليه[٢٠]
← رسالة ←
اتصال
سنن

وبما ان النص الشعري هو «لغة ترادفية تأثيرية»[٢١] فان اللون والظل لا يمثلان الا دلالات متنوعة للتجربة نفسها، التي ترتفع، والاشارات الحسية من الميدان الحسي إلى الحقائق النفسية الداخلية[٢٢] هو ما عرف، اليوم، في علم النفس باسم «التداعي التلقائي» عندما تختلف الالوان في شكلها باختلاف الاحاسيس المختلفة وان كلا من بودلير في «التراسل» ورامبو في قصيدته (حروف) اكدا هذه الحقيقة بان هناك قيمة غريزية طبيعية ترتبط ارتباطا مباشرا باللون وان الانفعالات الخارجية تأتي عن طريق الحواس في الالوان والاصوات[٢٣].

التطبيق:

حددنا في هذه الدراسة، لونين اساسيين، طبقا للحالات السايكولوجية والسوسيولوجية وهما اللون القاتم واللون الفاتح.

-النموذج الأول (القاتم):

في قصيدة «OH! Snatched away in beauty»[٢٤]

للشاعر الانكليزي Byron نجد لونين: الاول اساسي وهو الموت المبكر والثاني فرعي هو: ponderous tomb رمس ثقيل، tender gloom الحزن الرقيق، sorrow lean ربة الحزن، drooping head منكسة الرأس، wretch التعاسة، disturbe القلق، tears-wet الدموع، distress الاسى، complain الشكوى، wan الشاحب.

ان عنوان القصيدة يعطي صورة ايحائية بان الميت هو

في ريعان شبابه وازدهار جماله وان القدر قد اختطفه، هنا المناخ العام –اللون الرئيس- هو المناخ الكرنفالي والجنائزي المليء بالجدل الظاهر والمخفي والخارج عن المألوف[٢٥]. وان هذا الانفصال المفاجئ هو في غير زمنه، أي ان العلاقة بين المعنى والزمن هي علاقة اجبارية وسببية، لأن المعنى لم يحس بوطأة الزمن الى ان تعرض لحادث مفاجئ كهذا، فمن اجل التعميق الدلالي لهذا اللون الاساسي يأتي الشاعر بالوان فرعية وذلك لاثبات المقصدية الكلية وضرورة الاقناع. ففي السطر الاول، ان صورة العنوان تتضح اكثر وتزول الغمامة عنها عندما استخدمت صورة فرعية في:

OH! Snatched away in beautys bloom

يا من اختطفك الموت في ازدهار الجمال

ثم يظهر في السطر الثاني لون اساسي اخر عندما يؤمن الشاعر بطريقة غير مباشرة بقدر الموت:

On thee shall press no ponderous tomb

لن يضغط عليك رمس ثقيل

وفي الوقت نفسه يتهرب الشاعر منه ويتجاوزه عندما يستخدم صورة الورود والاوراق في بواكيرها الخضراء التي تتموج فوق القبر:

but on thy turf shall roses rear
their leares, the earlest of the year

ثم يستعين بظلين متتاليين يدعمان اللون الرئيس والظل السابق، هما صورة تمايل شجر اللبلاب في حزن رقيق ووقوف ربة الحزن، التي هي رمز عن الشاعر، بجوار الجدول الازرق المتدفق منحنيا رأسه من اجل ان يغذي الافكار العمقية حول الموت باخيلته الشاعرية:

and the wild cypress wave in tender gloom
and of by yon blue gushing stream
shall sorrow lean her drooping head
and feed deep though withmany a dream

لم يكتف الشاعر بهذه الصورة، فسرعان ما لجأ الى صورة اخرى تستند، من جديد، العنوان والسطر الاول، هي صورة الايمان المطلق بحتمية الموت وشرعيته وعدم فعل شيء امامه:

Away! We know that tears are vain
?Or make one mourner weep the less
And thou who tells't me to forget
They looks are wan, thine eyes are wet

وفي قصيدة (پايز-الخريف)[٢٦] للشاعر الكردي گۆران (١٩٠٤-١٩٦٢) نجد لونين (اساسي ومكمل له). الاساسي هو الحزن الشديد بدليل: رأس القصيدة، مات (كئيب)، زيز (منقبض)، هاودەرد (في الهم سواء)، فرمێسك (الدموع)، هەناسە (آهات)، گريان (البكاء).

والفرعي هو: پرچ زەرد (العروسة الشقراء)، هەور (سحاب)، فرينى باڵدار پۆل پۆل (طيران الطيور رفا)، سيس بوون(ذابل) رژاندن (انسكاب)، خلال هذه التعابير الشعرية، نجد تداخلا تعبيريا، راقصا وفنيا بين اللون الاساس والظل تارة نرى ان:

-اللون الرئيس هو الحزن والفرعي هو العروسة الشقراء، ثم تصبح العروسة الشقراء لونا رئيسا للظل كئيبا ومنقبضا ثم ان الـ(كئيب ومنقبض) ينتج لونا مكملا هو «الهم السواء» وانه ينتج ايضا الدموع ثم نجد لونا رئيسا اخر وهو «مني الهم» وينتج ظلا هو «السحاب الباكي» وان نداء هەرگيز هەرگيز (ابدا، ابدا) المستخدم في القصيدة بواقع اربع مرات يشكل لونا رئيسا لحالة الشاعر الحزينة وتتفرع منه «ازهار ذابلة» و»البكاء» و «لا نمسح اعيننا».

وتارة اخرى نرى ان:

-عنوان القصيدة الذي تكرر في متن القصيدة بواقع ست مرات (البداية، الوسط، النهاية)، يشكل لونا قاتما، حيث الحزن، الكآبة، التشاؤم، الرحيل، الانفصال، السقوط واخيرا الموت وان ظله الذي شكل لنفسه فيما بعد لونا مستقلا كأن القصيدة تبدأ هنا هو العروسة الشقراء ويندرج منها ظل، والذي ايضا يصبح فيما بعد لونا رئيسا لظل اخر كأن القصيدة تبدأ منه، وهو:

من مات-تۆ زیز -رئيسي
انا كئيب وانت منقبضة- الظل
هەردوو هاودەرد
كلانا من الهم سواء

ثم يظهر لون مستقل وفرعي اخر كأن الانطلاقة الشعرية تبدأ هنا وهو:

٭من فرمێسکم (مني الدموع) —— رئيسي		
تۆ بارانت (منك المطر) —— فرعي وبالعكس		
٭من هەناسەم (مني آهاتي) —— رئيسي		
تۆ بای ساردیت (منك رياحك القارصة) —— فرعي وبالعكس		لان انا مواز لانت في كل شيء
٭من خەم (مني الهم) —— رئيسي		
تۆ هەوری گریانت (منك سحائب بكائك) —— فرعي وبالعكس		

ثم ينتقل الشاعر الى مشهد آخر، كأن القصيدة مرة اخرى تبدأ منه:
پایز پایز
هەرچەند گوڵ سیس ئەبێ بگرین..
الخريف الخريف
لنبك كلما ذبلت وردة

فنجد في هذا المقطع الاخير من القصيدة الوانا رئيسة وفرعية:
گوڵ سیس (ازهار ذابلة) رئيس، بگرین (لنبك) فرعي
ئاڵتونی دار ئەرژێ (كلما انسكب الذهب من الشجرة) رئيس، بگرین (لنبك) فرعي
پۆلی باڵدار ئەفرێ (كلما طار رف من طيور)رئيس، بگرین (لنبك)فرعي
بگرین بگرین (لنبك لنبك)رئيس، چاومان نەسرین (لانمسح اعيننا) فرعي
وفي قصيدة (الزهرة السوداء)(٢٧) لـ(نازك الملائكة)، نجد ايضا لونين، الأول اساسي وهو: الموت-موت الوالدة-بدليل:
عنوان القصيدة، الانفصال، الدموع، الحزن.
والثاني فرعي وهو: التل، الغابة، الشجرة، الدجى، الفجر، الظلام. ان عنوان القصيدة الذي يتكون من لونين الفاتح في (الزهرة) والقاتم في (السوداء)، يشكل بحد ذاته لونا اساسيا ويعطي في الوقت نفسه ايحاءً صريحا بان الشيء قد حدث وهو، من حيث الواقع، ليس من صالح الشاعرة وخارج عن ارادتها. لتجسيد ارضية هذا اللون هناك دعم جانبي وهو بمثابة الظل، يساعد مقصدية هذا العنوان والتوجه بعد ذلك نحو مدخلية القصيدة بتفاصيلها المحزنة.. وهو لون الكنز الغالي بعد سقوطه بفعل القدر والايمان به:
كنزنا الغالي تركناه هنا
ثم تضف الشاعرة ظلا اخر من اجل الحصول على القيمة الروحية الاضافية للمقصدية وهو العودة الشريعة والبحث عن معنى وراء التل:
لحظات ثم اسرعنا اليه

والتمسناه وراء المنحنى
ثم تبدأ صورة جديدة، لون اساسي، هي صورة:
الغاب+البحث عن المقصود+المحصلة:
وسألنا عنه في الغابة ربوه
فاجابت انها قد نسيته
ثم صورة اخرى اكثر اتساعا من حيث الزمن والتوتر، وان الشاعرة لاتزال في الغاب وهي تبحث.. صورة الاشجار مع ظلالها وهي في الدجى العميق:
وهمسنا باسمه في سمع سروه
فتناست في الدجى ما سمعته
مرة اخرى، صورة الفجر، لون فاتح من حيث الحقيقة الواقعية ولون قاتم من حيث الحقيقة النفسية لأن الشاعرة وجدت في هذا البعد المكاني صورة مؤلمة وحزينة في آن واحد عندما نبتت في مكان الكنز زهرة سوداء في تركيبتها المغلقة وتسقيها الدموع لينا ونضرة:
غير ان الفجر حي في ابتسام
وارانا في مكان الكنز زهرة
نبت سوداء في لون الظلام
وسقاها دمعنا لينا ونضرة
أي ان الظلال وهي: الظلام، السقي، الدمع قد ساعدت اللون الرئيس -المكان- الفجر في ابتساماته الواقعية لايجاد ما هو مطلوب لكن بشكل يختلف عن سابقه.
واللوحة الاخيرة تتشكل في ثنائية: الحقيقة والذكريات، الحضور والغياب، الزهرة في حقيقتها الجمالية والخيالية والحزينة.. والعودة من السراب والشعور بالهزيمة امام القدر لأن الارادة لم تستطع فعل شيء:
انها زهرتنا الوسنى الحزينة
امسنا في لونها مازال لدنا
فمنحناها مآقينا السخينة
وحملناها مع الذكرى وعدنا
-النوذج الثاني (الفاتح):
في قصيدة «I wandered lonely as a cloud"[٢٨] للشاعر «Wordsworth" نجد لونين، اساسي وفرعي، الاساسي نجده في المقصدية حيث التفاؤل والحرية بدليل هذا اللون:

And then my heart with pleasure fills
And dances with the deffodils

عندئذ ينعم قلبي بالمسرة
ويرقص مع ازهار النرجس
والفرعي الذي يدعم الاول وبدونه لا تتحقق شرطية اللون الاساسي، نجده في الطبيعة والوانها التي جاءت في القصيدة بصورة مفاجئة وغير متوقعة وادت، في الوقت نفسه، الى اثراء اللون الاساسي واحالة موقف نفسي حزين الى موقف كرنفالي:

I wandered lonely as a cloud
That Floats on high oer vales and hills
When all at once I saw a crowd
A host, of golden daffodils

كنت اهيم علي وجهي وحيدا كسحابة
تسبح عالية عبر الوديان والتلال
عندما ابصرت بغتة جمعا
حشدا من زهور النرجس الجبلي الذهبية
بمعنى ان الشاعر عندما رأى جمال الزهور في لونها الفاتح، بدأ بالاستجابة من السلب الى الايجاب، من الهموم الى الابتسامة كأن القلب بجوار الوان زهور النرجس والبحيرة وتحت الاشجار يخفق ويرقص في النسيم كالنجوم:

Beside the lake, beneath the trees
Fluttering and dancing in the breeze
Continuous as the stars that shine
And twinkle the milky way

الى جوار البحيرة، تحت الاشجار
تخفق وترقص في النسيم
ممتدة كالنجوم التي تلمع
وتتلألأ في المجرة

أي ان النرجس، الذي هو الفعل المساعد والمحرك ويعكس حرية الشاعر وخيالاته الراقصة، يشكل ايقاعا لونيا ونفسيا وجماليا عبر ظلاله امثال:
golden (الذهبية)، bay (الساحل)، ending line (الخليج)، waves (الامواج)، trees (الاشجار)... وان هذه المفردات المتداخلة بالاخير تنتج لونا اساسيا وهو الحرية والاستقرار:

They-daffodils-flash upon that inward eye
Which is the bliss of solitude

تومض هذه الزهور في بصيرتي
التي تمنحني هناء الوحدة

وفي قصيدة «ديمەنێکی بەهار» -منظر من الربيع- للشاعر الكردي گۆران نجد،بصورة عامة، لونين متناقضين، اللون القاتم الذي يمثل الواقع والفاتح الذي يمثل الخيال الخصب. بمعنى ان الشاعر حرم من الحرية والحياة الفاضلة لاسباب اجتماعية اوسياسية او فكرية. فمن اجل الحصول على القيمة المعنوية لمقصديته الاساسية، لجأ الشاعر إلى الطبيعة التي انعكست صورتها على صورة حرية الشاعر حتى ولو كان في في ظل الخيال. لذا ان اللون الاساسي في هذه القصيدة هو الجمال، التفاؤل والحرية، ولاثبات وتأكيد هذه المقصديات استخدم الشاعر مجموعة كبيرة من الالوان الفرعية التي تعرّف الصورة الاساسية وهي في الوقت نفسه تعتبر من خصائص هذه الصورة هي: هەوری رەنگاو رەنگ (سحاب ملون)، سەوزەگیای پاراو (العشب الريان)، گوڵ و گوڵاڵە (الورود والشقائق)، درەختی تازە شین (اخضرت الاشجار)، گەڵا (اوراق)، چرۆ (جنابد-البرعم)، چیمەن (العشب)، کزە بای فێنك (الريح الدافئة)، نەسیمی بۆن خۆش (النسيم العبق)، قاسپە قاسپی کەو (صداح الحجول)، نەغمەی چۆلەکەو بولبول (زقزقة العصافير والبلبل)، ئاونگ (الندى)..

ئەم لا یەك پەڵە، ئەولا یەك پەڵە: هەوری رەنگاو رەنگ

★★★ ★★★

سەوزەگیا پاراو، گوڵو گوڵاڵە مەستی رەنگ و بۆ
درەخت تازە شین، سەرلق رازاوەی گوڵ، گەڵا، چرۆ
سەرتاپای چیمەن دەرئەدا چین چین مرواری ئاونگ

★★★ ★★★

قاسپە قاسپی کەو نەغمەی چۆلەکەو بولبولی دەنگ خۆش

هنا قطعة، هناك قطعة، من سحاب ملون
العشب ريان والورود والشقائق ثملة لونا وعطرا
اخضرت الاشجار وتزينت الاغصان
بالورود والاوراق والجنابد
وخرجت الارض الخضراء لآلئ الندى
لتجسم مع صداح الحجول وزقزقة العصافير
وصوت البلبل الجميل

ان هذه الظلال، بدورها، تنتج لونا اساسيا اخرى وهو الفرح الكلي، قاقای پێکەنین(قهقهة الضحك)، سەربەستي(الحرية):

بەڵام وەك ئێوە لە دڵما ئەگرێت مەیلی سەربەستی
غير ان قلبي عامر مثل قلوبكم بحب الحرية

بمعنى ادق ان جميع هذه الالوان الفرعية تحرك النص والفعل المساعد من السلب الى الايجاب، من الكآبة الزمكانية الى التفاؤل. من هنا اصبحت الطبيعة اداة مهمة من ادوات الربط بين الذات والموضوع لايجاد المقصدية لأنها موازية لحالة الشاعر الشعورية حيث البحث عن الجمال والانطلاق نحو الحرية، فهو (الشاعر) كائن مشابه للطبيعة في كل شيء-الوظيفة- التفكير والادراك.

في قصيدة «عاشق الزهر» للشاعر علي محمود طه نجد ان اللون الاساسي ينبثق من دلالات العنوان حيث الحب ومثاليته الانسانية والجمالية. أي ان هذا العنوان يعطي انطباعا ايحائيا بان الشاعر لا يرغب التعامل في اجواء الفوضى البشرية ويحاول التهرب منها متوجها نحو الطبيعة بالوانها ورقصاتها المبتهجة:

ياليت لي كالفراش اجنحة

اهفو بها في الفضاء هيمانا
ارف للنور في مشارقه
واغتدي من سناه نشوانا
وارشف القطر من بواكره
فلا ارود الضفاف ظمآنا

ايضا ان الطبيعة هنا هي عامل مساعد للبحث عن التفاؤل. فعلى الرغم من ان معظم الشعراء وبخاصة الرومانسيين تربطهم بالحبيبة علائق الافتقار الواقعي لاسباب اجتماعية مثلا لكنهم يستمدون من الفضاء الطبيعي قوة واستمرارية لمواصلة وتعميق الالوان الاساسية. لذا ان اللون الاساسي في هذه القصيدة بحاجة الى الوان فرعية وذلك لاستناد مشروعية الحدث كما نجد في صورة الفراشة الطائرة التي تحلق في الفضاء الطليق بحثا عن الحرية والاستقرار كما نجد في الزهرة والسنابل والوان الربيع والحانها ثم تشكل هذه الظلال الوانا اساسية اخرى تساندها وتساند حركية اللوحة في صورتها التكاملية والجمالية كما نجد في القطر والنسيم وتغريد العصافير والخمائل:

وألثم النور في سنابله
مصفقا للنسيم جذلانا
أشرب انفاسها وقد خفقت
صدورها للربيع تحنانا
وبالعصافير في ملاحنها
تهز قلب الصباح ارنانا
ما كنت لولاه طائرا غردا
ولو جهلت الغناء ما كانا

الاستنتاج:

في هذه الدراسة، توصلنا إلى النتائج الاتية:

-ان كل قصيدة بمثابة لوحة فنية تتكون من الوان، منها رئيسة ومنها فرعية وان الفرعية رغم مساحتها المكانية موازية للون الرئيس في كل شيء: الادراك، الوظيفة، العمل: المقصدية.. وبدونها لا قيمة للاساس، بل انها مكملة له.

-ان امتصاص الحالات الشعورية والانفعالية هو الذي يحدد نوعية اللون.وبصورة عامة ان القصيدة تتكون من لونين اساسيين: القاتم والفاتح، وتتدرج من تحتهما الوان فرعية عديدة ثم يحاول كل لون فرعي، حسب استقلاليته وتقنياته، تشكيل لون اساسي لنفسه وهكذا.

-طالما ان الشعر بالاساس مبني على عدم الاستقرار والثبات بفعل عملية الافتقار فانه، في الوقت نفسه، يعتمد على حركية الصعود والهبوط، ايقاعية وتموجية اللون الاساسي والظل، الثنائية الداخلية، القاتم والفاتح في آن واحد ضمن قصيدة واحدة.

من هنا فان شعراءنا حاولوا تحقيق اهدافهم بفضل تعامل المستوى العميق وترابط وموازاة اشكاليتها الداخلية كما نجد في هذا المخطط:

العملية الشعرية (الولادة)
- اللون+الظل
- اللون القاتم+اللون الفاتح
- اللون الفاتح+اللون القاتم

المخطط البنائي للون القاتم(A)

الموت.. (اللون القاتم) ← الحزن، الالم، الكآبة (الظل القاتم)

الموت (انعكاس الواقع):
- ← الحزن
- ← القيود
- ← التشاؤم

المخطط البنائي للون الفاتح(B)

الحياة.. (اللون الفاتح) ← الحرية، السعادة، الحب(الظل الفاتح)

الحياة (الطبيعة):
- انعكاس الخيال ← الجمال، البهجة، الحب
- افتقار واقعي ← غياب الحرية والسعادة

خلاصة البحث:

ان هذه الدراسة تبين مدى الارتباط الداخلي بين الاجزاء المكونة للنص، سواء على شكل الصورة الجزئية او الكلية او اللون الاساسي والظل، وتقوم في الوقت نفسه بتوسيع مدار هذه المستويات ومحاولة جمعها في المركز مع الاحتفاظ بمقصدية المعنى الكلي والكيان الذاتي لصاحب النص. وان هذه العملية لا تتم الا بفعل مشروع المرسل والرسالة والمرسل اليه، بمعنى ان كل نص، وفق التركبية السايكولوجية والسوسيولوجية، عبارة عن مجموعة من الالوان الرئيسة التي تتكون عن طريق فاعلية الظلال وبدونها ان اللوحة النهائية ليست لها قيمة معنوية، جمالية ودلالية.

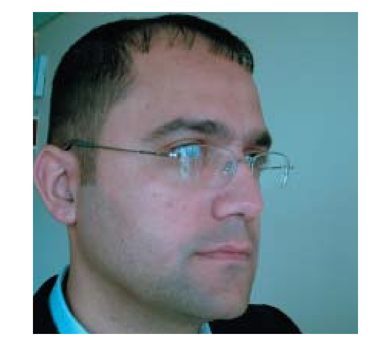
الهوامش:

١-محمد حماد: ١٠.
٢-كمال ابو ديب: ١٤.
٣-رولان بارت: ١١.
٤-ترنس هوگز: ١٢٢.
٥-بير جيرو: ٥٦.
٦-ارسطو: ٢٣.
٧-ناظم عودة: ١٠٣.
٨-ستندال: ٢٠٢.
٩-ارسطو: ٣٠.
١٠-تودورف: ٥٩.
١١-محمد الناصر العجمي: ٣١.
١٢-ياكبسون: ٥١.
١٣-نوثرب فراي:
١٤-كرستيڤا: ٤٦-٥٣.
١٥-اومبرتوايكو: ١٢٠.
١٦-نفسه: ١٢٠.
١٧-ترنس هوگز: ١٣.
١٨-محمد عزام: ٢٠.
١٩-تودروف: ٣٨.
٢٠-ياكبسون: ٢٧-٢٨.
٢١-جان كوهين: ٢١٣.
٢٢-اسعد رزوق: ٧٣.
٢٣-جان كوهين: ٢١٥-٢١٦.
٢٤-W.Peacock:230 اعتمدنا في ترجمة القصائد على ترجمة الدكتور عبدالوهاب محمد المسيري: ١٢٧-١٢٨، ٣٤٢-٣٤٣.
٢٥-باختين: ١٧٢.
٢٦-گۆران: ١٦٣-١٦٤ اعتمدنا في ترجمة القصائد على ترجمة الدكتور عزالدين مصطفى رسول: ١٨٧-١٩٢-١٩٣.
٢٧-نازك الملائكة: ٢/٣٢٠-٣٢٢.
٢٨-M.H.Abrams:186-187.
٢٩-گۆران: ١٦٩-١٧٠.
٣٠-علي محمود طه: ١٥٥-١٥٧.

المصادر:

١-ارسطو: فن الشعر، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت-١٩٧٣.
٢-اسعد رزوق: موسوعة علم النفس، مراجعة: د.عبدالله عبدالدايم، مطابع الشروق، بيروت، الطبعة الاولى-١٩٧٧.
٣-اومبرتوايكو: التأويل بين السميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بنگراد، المركز الثقافي العربي.
٤-باختين: قضايا الفن الابداعي عند دوستويفسكي، ترجمة: د.جميل لطيف التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الاولى، بغداد-١٩٨٦.
٥-بير جيرو: علم الدلالة، ترجمة: د.منذر عياش، دار گلاس، دمشق-١٩٩٢.
٦-ترنس هوگز: البنيوية وعلم الاشارة، ترجمة: مجيد الماشطة، مراجعة: د.ناصر حلاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الاولى-١٩٨٦.
٧-تزفيتان طودوروف: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، دار

البيضاء-المغرب، الطبعة الثانية-١٩٩٠.
٨-جان كوهين: اللغة العليا، النظرية الشعرية، المجلس الاعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة-١٩٩٥.
٩-رولان بارت: مبادئ في علم الدلالة، ترجمة: محمد البكري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثانية-١٩٨٦.
١٠-ستندال: مجموعة من المقالات، تحرير: فكتور بروميبو، ترجمة: نجيب المانع، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، العراق-١٩٨١.
١١-عبدالوهاب محمد المسيري: الرومانتيكية في الادب الانكليزي، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٤.
١٢-عزالدين مصطفى رسول: عبدالله گۆران، الاثار الشعرية الكاملة، شركة المعرفة للنشر والتوزيع، العراق-١٩٩٠.
١٣-علي محمود طه:الملاح التائه، دار العودة، بيروت-١٩٧٢.
١٣-گۆران (سەرجەمی بەرهەمی گۆران، بەرگی یەکەم)، کۆکردنەوە و ئامادەکردنی محمدی مەلا کەریم، چاپخانەی کۆڕی زانیاری عیراق بەغدا-١٩٨٠.
١٤- كرستيڤا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبدالجليل ناظم، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية-١٩٩٧.
١٥-كمال ابو ديب: في الشعرية، مؤسسة الابحاث العربية،بيروت، الطبعة الاولى-١٩٨٧.
١٦-محمد حماد: تكنولوجيا التصوير، الطبعة الاولى، القاهرة-١٩٧٣.
١٧-محمد عزام: الاسلوبية، منشورات وزارة الثقافة، الطبعة الاولى، دمشق-١٩٨٩.
١٨-محمد الناصر العجمي: في الخطاب السردي-نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب-١٩٩٣.
١٩-نازك الملائكة: ديوان نازك الملائكة، دار العودة-بيروت، الطبعة الاولى-١٩٧١.
٢٠-ناظم عودة: الاصول المعرفية لنظرية المتلقي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن-١٩٩٧.
٢١-نورپرب فراي: تشريح النقد، محاولات اربع، ترجمة: محمد عصفور، منشورات الجامعة الاردنية، عمان-الادرن-١٩٩١.
٢٢-ياكبسون: قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى-١٩٨٨.
23-M.H.Abrams,the Norton Antholoogy of English literature, sixth edition
Volume2, W.W.Norton of Company New york. Landon 1993.
24-W.Peacock, English Verse, london, oxford univesity press, Britain, 1966.



التبئير الفلسفي في الرواية
تجربة سليم بركات نموذجا



تنــويــه:

هذا الموضوع، في أساسه، جانب من مقدمة الدراسة التي تقدم بها الكاتب كأطروحة دكتوراه فلسفة في الأدب العربي وظاهراتية النقد الفلسفي الى مجلس كلية اللغات في جامعة السليمانية تحت عنوان "البعد الفلسفي للتبئير الروائي: دراسة ظاهراتية في تجربة سليم بركات". وقد أشرف عليها الأستاذ. د. ظاهر لطيف كريم، وشارك في مناقشتها: أ. د. عزالدين مصطفى رسول، أ. د. فائق مصطفى أحمد، أ. د. صالح علي حسين، أ. م. د. علاءالدين محمد رشيد، وأ. م. د. نيان نوشيروان فؤاد. وقد تقرّر قبول الأطروحة بعد مناقشتها بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٨ كجزء من متطلبات شهادة دكتوراه بتقدير امتياز.

إن المتتبع لراهن الدراسات الإنسانية والأدبية في واقعنا الثقافي، وخصوصاً في الوسط الجامعي، يُلاحظ هيمنة التوجه الذي يميل الى إقامة حواجز فاصلة بين المعارف والاختصاصات ومشكلات البحوث، بحجة التمسك بالعرف الأكاديمي الذي يفرض على الباحث التركيز على مشكلة بحثه، وحدود موضوعه، دون إيلاء اهتمام جانبي بالموضوعات والاختصاصات المجاورة. وهذه الصرامة الأكاديمية، في أساسها، وليدة المنهجية المعتمدة في العلوم الطبيعية، التي تتعامل، ومن زوايا متعدّدة، مع الأبعاد الطبيعية والمادية للإنسان، بمعزل عن أبعاده الرمزية والمعنوية. لكنّ ترجمتها في العلوم الإنسانية، واعتماداتها الحرفية في بعض الدراسات الأدبية واللغوية والاجتماعية، قد تخلق التباسات معرفية، وتنسف أواصر الارتباط العضوي بين هذه العلوم، التي يُفترض بها أن تتعاطى مع الإنسان، بوصفه كائناً لا يقبل التجزئة والتشريح في كيانه المعنوي.

وقد أدركت الجامعات الغربية هذه الإشكالية التي تواجهها العلوم الإنسانية، وخصوصاً بعدما تزايدت الانتقادات والاقتراحات من قبل مفكرين وأكاديميين روّاد، دعوا الى توفير حرية أكبر للباحث في مجال الإنسانيات، واعتماد مرونة منهجية أكثر في مجال نقل الخبرات وتبادلها بين العلوم الإنسانية. ومن أبرز هؤلاء المفكرين، مؤسس الفلسفة الظاهراتية "إدموند هوسرل"، الذي بادر منذ بدايات القرن العشرين الى تشخيص مواطن الخلل في المناهج التي تعتمدها

الفلسفة والعلوم الإنسانية، واقترح منهجية بديلة تقوم على الظاهراتية واستراتيجيتها في الرد والاختزال الفينومينولوجي، مؤكداً أن المأزق الذي تعانيه الإنسانيات، يتمثّل، بشكل أساس، في تأثّرها بمنهجية العلوم الطبيعية والرياضية البحتة، ومحاكاتها لها.

إستدراكاً لهذه الإشكالية، وفي سياق مختلف عن السياق الغربي، جاءتنا فكرة إعداد هذه الأطروحة، التي تطمح الى التزاوج بين حقلين من العلوم الإنسانية، وهما: الفلسفة والنقد الأدبي. والتزاماً بمنهجية واضحة تسمح لنا بمجازفة كهذه، اعتمدنا المنهج الظاهراتي، وتحديثاته النقدية المعاصرة، لمقاربة البعد الفلسفي في الأدب. ذلك أن المنهج الظاهراتي منهجٌ فلسفيٌّ في أساسه، وينظر الى التجربة الرمزية للإنسان، فلسفةً كانت أم أدباً، بصفتها خبرة يعكسها الوعي القصدي المباشر للمبدع أو المفكّر، وينظر الى النص بوصفه بنية فكرية وجمالية غير قابلة للتجزئة الشكلية، أو التشريح البنيوي، أو الإسقاط الآيديولوجي المسبق.

أما بالنسبة لموضوع الأطروحة ومحدِّداتها، فارتأينا التركيز على تلمّس البؤرة الفلسفية في الرواية، ومقاربة مستوياتها وتجلّياتها، التي تعكس مشكلة الإنسان المعاصر، وتكشف عن قلقه وتوتّره ضمن شبكة علاقات معقّدة بينه وبين العالم. والسمة البارزة في الرواية الحديثة، كما هو معلوم، تتمثّل في قدرتها على تبئير التأملات والتساؤلات والرؤى، الى جانب سردها الأحداث الظاهرة في المتن الحكائي، وإمكانيتها، كذلك، في تطوير أساليب الحوار والحوار الذاتي، التي تتكثّف في بعض الروايات، وتُقارب، من حيث عمقها، الحوارات الفلسفية التي كانت حكراً على الفلاسفة وحَوارِيِّيهم في العصور القديمة.

ولمقاربة هذا البعد الفلسفي في الرواية، لا يلجأ الباحث الظاهراتي الى الجمل المباشرة أو النبرة الآيديولوجية التي يُصرِّح بها الراوي والشخصيات في المتن الحكائي، ولا يركّز على تحليل التقنيات الفنية والسردية، التي تُشرِّح النصّ الى طبقات وأبنية ومخطّطات شكلية؛ بل يقارب النص كوحدة متكاملة، وخبرة ظاهراتية يعيشها الإنسان رمزياً. وتحمل هذه الخبرة بين ثناياها أسئلةً وأسئلةً مضادة، فيؤسِّس معها الباحث الظاهراتي حواراً يستند الى مستويات الخبرة المعرفية المتبادلة بينه وبين الكاتب.

أما اللغة الروائية، وما تتّسم به من سمات أسلوبية وتعبيرية، فهي محايثة أيضاً لهذه الخبرة الكلّية، ولا يمكن مقاربتها الشكلية بمعزل عن حوارية الرؤية وجمالية التلقي. وفي ضوء هذه البداهة الظاهراتية بالذات، استقرّ اختيار الباحث على تجربة سليم بركات الروائية، نموذجاً للمقاربة والتحليل؛ لأنها تجربة تتّسم بانفتاحها على اللغة الشعرية المكثّفة، والتقنيات السردية المتنوعة، دون أن تنفصل هذه السمات الأسلوبية عن الرؤية التي تلازمها والتبئير الفكري الذي يلتصق بها.

لكن الباحث لاحظ من خلال ما كُتب عن سليم بركات، من دراسات أكاديمية أو مقالات صحفية أو شهادات من قبل كتاب معروفين، أن التوجه السائد في هذه الكتابات ينظر الى بركات، بوصفه كاتباً كبيراً ذا قدرة فائقة في تشغيل جهازه اللغوي، وتوظيف تقنيات سردية مطعّمة باللغة الشعرية. وفي هذه الكتابات التي تبدو، في معظمها، شهادات إعجاب بكاتب كردي يكتب بلغة عربية راقية، استشعر الباحث إشكالية تتمثّل في أن التركيز على الجانب الشكلي واللغوي من تجربة بركات، يحجب، من باب التقريظ والثناء، الجانب الرؤيوي فيها، ويقدِّم لنا هذه التجربة وكأنها لغة بحتة، أو أطار شكلي شبه فارغ من الفكر والمعنى.

من هنا، انصبّ الاهتمام في هذه الأطروحة على ظاهراتية البعد الفلسفي في تجربة بركات، وهي تجربة تتميز بعمق فكريّ الى جانب أسلوبيتها اللغوية والسردية الخاصة، ويمكن تلمّس مستويات من التبئير الرؤيوي فيها، بعضها ذاتية، وبعضها آيديولوجية مباشرة؛ لكن معظمها تبئيرات فلسفية، من حيث قدرتها على إثارة أسئلة وحوارات متعددة في ذهن

المتلقي، ومن حيث تكرار قلقها البؤريّ الذي تتمحور حوله الأفكار والحوارات والأسئلة.

واعتمد الباحث في قراءة روايات سليم بركات أسلوب استقراء ظاهراتيّ، يبدأ من قراءة النص الروائي وتتبّع الأفكار والأحداث والظواهر فيه، وينتهي باستخلاص وتلمُّس أسئلة فكرية، قد يُبئِّرها الراوي أو أحد الأشخاص في الرواية، أو تنبئر ضمن السياق العام أو الخبرة المتبادلة بين النص والقارئ. وفي ذلك يعُلِّق الباحث، كما يُلزمه المنهج الظاهراتي، جميعَ المعلومات السابقة التي يعرفها عن سليم بركات، ويضعها (بين قوسين)، كي لا يتشتّت انتباهه، وكي يتعامل مع النص مباشرةً كخبرة معاشة. ومن ثم ينتقل من رصد هذه التبئيرات في النصوص الى رصدها في التجربة الروائية ككل، كي تكتمل الدراسة حسب تدرّج منهجي من الجزء الى الكل، أو من التعرُّف على أعمال الروائي المنفصلة الى التعرُّف على تجربته العامة. ومن بين رواياتٍ بركات، اختار الباحث ثماني روايات؛ قارب، أولاً، خمساً منها في محورين رئيسين؛ ثم قارب الروايات الثماني، ومن بينها هذه الروايات الخمس، كوحدة إبداعية تُجسِّد المستويات الرئيسية للتبئير الفلسفي في تجربته العامة.

تتكوّن هذه الدراسة من أربعة فصول، ارتأى الباحث أن يُخصِّص الفصل الأول لنظرية الأطروحة ومنهجها، ضمن مبحثين، خُصِّص المبحث الأول للتطرق الى مستويات التبئير والتناص بين الفلسفة والرواية. ويتناول المطلب الأول من هذا المبحث مفهوم المنظور والتبئير عند الفلاسفة والنقاد الأدبيين من أفلاطون الى جيرار جينيت، ويبيّن المطلب الثاني المقصود بمفهوم البعد الفلسفي للتبئير الروائي، حسب توظيف الأطروحة له؛ أما المطلب الثالث، فيتناول مستويات التناص الحواري بين الخطابين الروائي والفلسفي، وفي ذلك استشهد الباحث بنماذج روائية عالمية، يمكن تلمّس التبئير الفلسفي فيها، من الفلسفة العقلانية والمثالية الى الفلسفات ما بعد الحداثية، مروراً بالفلسفات العاطفية والطبيعية والمادية والوجودية.. وغيرها. ولبيان الجانب المنهجي من الأطروحة، خصّص الباحث المبحث الثاني من الفصل الأول للحديث عن الظاهراتية، التي بدأت كمنهج فلسفي على يد الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل، ثمّ توسّعت استخداماته في العلوم الإنسانية، وخصوصاً في فلسفة الجمال والنقد الأدبي. ويتكوّن هذا المبحث من مطلبين، يشرح المطلب الأول فلسفة الظاهراتية، من حيث جذورها ونشأتها وأسسها العامة وتحديثاتها المعاصرة على يد الفلاسفة الوجوديين والتأويليين. أما المطلب الثاني، فمُخصّصٌ للظاهراتية، بوصفها منهجاً لمقاربة النقد الأدبي والنقد الروائي على وجه الخصوص. ويتبيّن من العرض المقدّم لآراء عدد من النقاد الظاهراتيين أن هذا المنهج يتميّز بمرونة كبيرة، ويمكن توظيفه لمقاربة النص الروائي من مداخل نظرية عديدة، من المدخل النظري الذي يؤكِّد على أولوية الوعي التأليفي العائد الى المؤلِّف، الى المداخل التي تؤكِّد على جماليات القراءة وظاهراتية التلقي، من خلال تزاوج منهجيٍّ بين الظاهراتية والتأويلية. وهذه المرونة المنهجية تساعد الباحث على تلمُّس البعد الحواري- الفلسفي في الرواية، ومعاينة الخطابات والتبئيرات المختلفة التي تُجسِّد أبعاداً فكرية مختلفة. وبما أن موضوع الأطروحة ومنهجها، يندرجان ضمن قضايا الفلسفة والأدبِ الفلسفي المعاصر، فإن الحديث عنهما مازال متواصلاً في الأوساط الفلسفية والنقدية، وحيث لم يجد الباحث نظرية جاهزة عن التبئير الفلسفي في الرواية أو المنهج الظاهراتي المُعتمد لمقاربته، وقد استلزم هذا الأمر تخصيص الفصل الأول، بكامله، لنظرية الأطروحة ومنهجها؛ لأنه فصل تمهيدي يتضمن تنظيراً يقترحه الباحث، مستخلصاً إياه من نظريات متفرِّقة لم تكتمل خطوطها العامة ضمن نظرية جامعة حتى الآن.

أما الفصول الثلاثة اللاحقة، فمخصّصة لتطبيق هذه النظرية ومنهجها لمقاربة التبئيرات الفلسفية في

تجربة سليم بركات. حيث يتناول الفصل الثاني من الأطروحة مشكلة الهوية والانوجاد، كمشكلة فلسفية تحتل مساحة واسعة من روايات بركات، وكتساؤل وجودي تندمغ به أعماله السردية البدائية، "السيرتان" ورواية "فقهاء الظلام" بشكل خاص. لكن الباحث يستهل هذا الفصل بمطلب تمهيدي لدراسة أهم الدلالات الفكرية المستخلصة من التغييرات الأسلوبية التي شهدتها المسيرة الأدبية العامة لبركات، الذي بدأها شاعراً؛ لكنه انتقل في مرحلة أخرى الى الخطاب السردي، تجسيداً لتنويع أسلوبي استوجبته رؤيته الفكرية، التي لا يمكن حصرها في دائرة جنس أدبي معيّن. وفضلاً عن هذا المطلب التمهيدي، يضمّ الفصل الثاني مبحثين، خُصِّص المبحث الأول لقراءة ظاهراتية في السيرتين الروائيتين، ضمن مطلبين، يتناول المطلب الأول ظاهراتية الإدراك الحسِّي والخيالي في سيرة الطفولة "الجندب الحديدي"، ويتناول المطلب الثاني ظاهراتية الوعي وتناميه في سيرة الصبا "هاته عالياً، هات النفير على آخره". أما المبحث الثاني، فمخصّص لمقاربة رواية "فقهاء الظلام"، ضمن خمسة مطالب، يتطرّق خلالها الباحث الى أسئلة بؤرية، تتعلّق بإشكالية الهوية وقلق انوجاد الإنسان، في مجتمع يعاني الضياع والتوتر بين الوجود والعدم.

ينتقل هذا التوتر الوجودي الى دوائر أخرى من تجربة بركات، وخصوصاً في روايتَيه "الريش" و"عبور البشروش"، اللتين تسردان حكاية موت الإنسان وانعدامه من بؤرة ميتافيزيقية؛ فيصبح سؤال الموت سؤالاً لصيقاً بسؤال الحياة، ولا يستطيع الإنسان التفادي منه، وخصوصاً الإنسان الكردي الذي تصوِّره الروايتان ضائعاً في متاهات زمنية ومكانية، في عالم قاس لا يستجيب لوجوده. ويدرس الفصل الثالث من الأطروحة هذه الإشكالية الأنطولوجية في مبحثين، يتناول المبحث الأول، ضمن ثلاثة مطالب، إشكالية الوجود وتقاطع الأقدار الكردية في رواية "الريش". أما المبحث الثاني، فيتناول هذه الإشكالية التي تنتقل من دائرتها الكردية الى دائرتها الكونية، وتجسّدها رواية "عبور البشروش"، التي يعاني بطلها الراوي ضياعاً في متاهات برزخية بين الوجود والعدم، وضياعاً في متاهات البناء السردي للرواية أيضاً، حيث تتفكّك الحبكة بموازاة التفكُّك الماهوي للبطل الرئيس. ويتكوّن هذا المبحث من أربعة مطالب، يقارب الباحث في كل مطلب منها، مستوى من مستويات التبئير الفلسفي في الفضاء العام للرواية، التي تنمحي فيها الحدود بين المعقولات والمتخيِّلات، وبين منطق العالم الطبيعي والأحكام الميتافيزيقية والخرافية.

ينتقل الباحث، في الفصل الرابع والأخير، من المقاربات الجزئية لروايات سليم بركات الى مقاربة جامعة لتجربته الروائية ككل. ويدرس هذا الفصل، عدا الروايات الخمس المذكورة، ثلاث روايات أخرى، وهي "الكون" و"الأختام والسديم" و"كهوف هايدراهوداهوس". يتوزّع الفصل على ثلاثة محاور رئيسية، ضمن ثلاثة مباحث، يتناول المبحث الأول، وفي مطلبين، مستويات التبئير الذاتي والايديولوجي في تجربة بركات، وهي مستويات تتعلّق بالجانب الأسلوبي وبطريقة توظيف لغة السرد الراوي، وانعكاسها في فلسفة الكاتب، وتتعلّق، في بعض المقامات السردية، بالجانب الآيديولوجي الذي يُبئِّره الرواي وفق منظومة من القيم والأحكام المسبقة. أما المبحث الثاني، فمُخصّصٌ للتبئير الميتافيزيقي، وتجلِّياته في تجربة سليم بركات. ويتكوّن هذا المبحث من ثلاثة مطالب، يتناول المطلب الأول سؤال الوجود بوصفه صيرورة فكرية، ويتناول المطلب الثاني صورة الثنائيات الميتافيزيقية المنبئرة في روايات بركات، فيما يتناول المطلب الثالث صورة الكون، بوصفه إشراقاً باطنياً، وحدساً شعرياً، يمتزج باستراتيجية السرد في هذه الروايات. أما المبحث الثالث والأخير من هذا الفصل الختامي، فقد خُصِّص لظاهراتية التبئير الوجودي والعدمي في تجربة بركات، ضمن ثلاثة مطالب،

يتناول المطلب الأول مشكلة التناهي التي تعبِّر عنها هذه التجربة من منظور ميتافيزيقي؛ لكنها لا تلبث أن تنبئر وجودياً، وخصوصاً عندما يفقد الإنسان الألفة إزاء عبث يعانده في الوجود، ولا يسمح له بالبقاء في صومعة ماورائية يلجأ اليها الإنسان، فلسفياً تارة وخيالياً تارة أخرى، ليُضفي معنى على وجوده وصراعه مع العبث في الحياة. ويتناول المطلب الثاني مشكلة الوجود التي تتراءى كمتاهة يعانيها معظم الشخصيات في روايات سليم بركات، وينعكس قلقها في حواراتهم الذاتية والأحداث التي يعيشونها. أما المطلب الثالث والأخير، فيتناول ظاهراتية التبئير العدمي، وهو تبئير محايث للقلق الوجودي الذي لا يقدر الراوي على إضفاء معنى فلسفي عليه، إلاّ في دائرة اللغة الشعرية التي تتفكّك سياقاتها الى درجة يستشعر الإنسان معها تدحرجاً من المركز نحو المجهول.

وتنتهي هذه الأطروحة بخاتمة، تحوي أهم النتائج التي توصّل اليها الباحث ضمن خطوط عريضة. وأُلحق بها، بعد قائمة المصادر والمراجع، ملحقان، يتضمّن الملحق الأول شرحاً مختصراً لأهم المصطلحات الفلسفية والنقدية التي تحمل التباساً في صيغها وإبهاماً في معانيها، وخصوصاً تلك التي لم نبيِّن المقصود بها في متون الفصول وهوامشها. أما الملحق الثاني، فمُخصّصٌ للأعلام، وللتعريف بالفلاسفة الذين لم تعهد الدراسات النقدية والأدبية على تداول أسمائهم وأفكارهم.

وبقي لنا أن نقول في ختام هذا التقديم إن صعوبات كثيرة قد اعترضت طريقنا أثناء المراحل المختلفة لإعداد هذه الأطروحة، حيث إن الخوض في غمار دراسة تجمع بين الفلسفة والأدب، يتطلّب جهداً مضاعفاً واطّلاعاً واسعاً على مصادر فلسفية ونقدية ونصوص روائية تُتلمّس منها أبعاد فلسفية. واكتشفنا أن العديد من المصادر التي تتعلّق بصوغ الجانب النظري والمنهجي للأطروحة لم تكن متوفِّرة في مكتباتنا، أو لم تكن مُترجمة الى اللغة العربية أصلاً، مما استدعى بحثاً وتقصِّياً بين المكتبات والمواقع الإلكترونية الموثوقة، للحصول على أهم المصادر ذات الصلة.

ونرجو أن نكون قد وفِّقنا في إتمام هذه المهمة الصعبة؛ لكنّ إمكانياتنا وطاقاتنا المحدودة لا تسمح لنا، بطبيعة الحال، أن نزعم الكمال أو العصمة لها. ونأمل أن تُثرى هذه الأطروحة عن طريق الحوار والنقد، أو من خلال دراسات مستقبلية تُضيء ما فاتنا، وتُسهِّل ما استعصى علينا. وإذا كان ثمة كشف جديد في هذه الأطروحة، فإن الفضل يعود في ذلك الى مرونة المنهج الظاهراتي الذي يضيء الآفاق الفكرية نحو استكشافات نقدية وفكرية؛ أما إذا كانت ثمة إشكالات أو التباسات أو قصور، فإن المسؤولية تقع على عاتقنا بالدرجة الأساس.

الفة الشبه- الحيوان في ارواح هندسية



سامي داوود

إن الحيوان و الروح لا يبدءان إلا مع العالم، و لا ينتهيان أبدا مثل العالم........"ليبنتز" (المونادولوجيا) لا تفقد المادة صورها المختزنة بالعطب الذي يحجب عنها نفسيا ما تحتازه فعليا، و إن كان هذا المحتاز الفعلي بطبيعته غير ممتد مرئيا، فالتلف ـ النسيان يصيب فقط الآلية المحركة لصيرورة الصور، لما ستؤول أليه الصور إلى فعل ممكن، إذ ان النسيان وضع جسمي متصدع نتيجة فقدان حس التوجه المنسق لحركات الجسم مع الانطباعات البصرية الخارجية نحو إنتاج استجابات نافعة في الحالة الحاضرة للجسم، و كون جوهر الحالة الحاضرة للجسم هو تركيبه الحركي لأبعاد ثلاثة لا تلبث أبدا، فإن الأشياء اللامرئية -الصور- الذكرى تفقد بذلك وسيطها الحسي الضروري لتحققها في هيئة إحساس ممكن في الفعل الناشئ للانتباه ـ التعرف، مما يقصي عن الانتباه ما يشتمل عليه من صور مسبقة للإدراك، أي عجز الإستطالات الحسية عن التمظهر في صورة إدراك ـ فعل ممكن و ذلك لأن العطب الذي أصاب الآلية المحركة يقوض الجسر الذي من خلاله تعبر الإستطالات الحسية القادمة من الوسط الحسي المحرك إلى ما تفضله ـ تنتقيه من صور- ذكرى أكثر مناسبة للإدراك الحالي، فيعجز الانتباه على التعرف. تتطلب هذه الوضعية العليلة علية مساعدة، بل إنها تنتج معلولها المتمثل وفقا لـ "برغسون" في: "ضرب من الموقف الذهني المندمج هو نفسه في موقف جسمي". هكذا إذن، يحذف الموقف الذهني الحواس و الشيء الخارجي لاستعادة المادة البصرية ـ الصورة المسبقة ـ بتحريك العناصر العصبية المحركة ذاتها و المسجلة في مخطط ذكرى ـ الإدراك الأول، حيث تتحرر الروح من تلف المادة و تمرر صورها عبر الصدع الذي أحدثه النسيان في الجسم.

لا يحمل الجسم إذن الصور في صناديق دماغية أو في أدراج نخاعية، فيفقدها بمجرد اقتلاع درج أو إحراق صندوق، بل هو يتوسط بين مادة العالم الخارجي و بين الذاكرة المستقلة عن المادة و غير محدودة إلا بالروح التي يشتمل عليها، يحفظها من تلف المادة الحيوان، فالجسم برزخ بحدين غير متناظرين، يفتح حقلا تواصليا بين المجالين الروحي و المادي، و عندما تفقد الروح رداءها الجسدي، فإنها لا تتوقف، لا تنعدم بالموت العيني الذي يطبق حافتي الجسد و الروح على بعضهما وفق ما ذهب إليه "فيورباخ" في تأملاته عن الموت، بل إن الروح اللامرئية تفقد حقلها المرئي الجسدي، إذ ان الجسد المرئي هو الكثافة التي من خلالها و بداخلها تتمظهر الروح اللامرئية، و هكذا تنعقد العلاقة بينهما، بين المرئي الجسدي أو الكثافة المروضة بتعبير سليم بركات و بين

الروح اللامرئية أو الكثافة الملجومة للكائنات اللامرئية ـ الفواعل السردية في النص المضغوط "أرواح هندسية"الذي نصنفه ككناية عنه بـ(رواية)، فهو بنمط تركيبه يمتنع عن التعامل معه كرواية بل إنما كخطاب مضغوط بنسيج منفتح على خطاب بصري حسي تمكن سليم بتشكيلته الخطابية الفريدة من تحميل المقول بالمرئي الذي كان من الممكن أن ينحرف بإستراتيجيته الخاصة عن التمظهر اللغوي و الاستعاضة بالصورة عن الكلمة بوضع تمثيل بصري بين اللغة التي صاغت مشهد الموتى الذين يخبطون الرمال الدامية في قبو العمارة المجاورة لعمارة "أبي كير". أما أصل تمثل هذه الصورة فهو تمريرها من قبل الروح عبر الصدع الذي أحدثه النسيان في الجسم، و أي جسم، جسم متأرجح في كثافته بين نقيضين يؤسسان الواقع النفسي المنكشف على ذاته لخطاب الأرواح الهندسية، فكل الخطاب الروائي هو خطاب حلمي ممرر عبر صدع نفسي و عطب جسدي لهذه الشخوص المجبولة من مادة هلامية التمظهر، و هذا التمرير هو الذي يؤسس هلوسة تمثل الواقع المختفي بواقع بديل؛ إنتاج ثدي بديل ـ جسد بديل بكثافة بديلة، يغطي قصور امتلاك الثدي في مرحلة تصدع مونادة النفس المتمثلة بالمعنى الفرويدي للتحليل بـ "أنا الثدي" التي يمكن قياسها برهانا على أنا الروح بالنسبة لشبه الأعرج و لشبه أ.دهر و لشبه الرسام الذين يتحايثون مع الكثافات الأخرى المشبهة بها، فيكون الشبه في "أرواح الهندسية" هو النازع المحرك لرغبة الروح في امتلاك واقع بديل ذي ملامح مختلفة كعمارة أبي كير التي يعود إليها أ.دهر بمفاتيحه التي ألقاها في البحر ليجد المصعد الكهربائي للبناء يعمل، و كذلك البناء في هيئة مختلفة عن هيئته التي غادرها أثناء انهيارها و هو ينتقل في المرآة. تتسق صور سليم الهلوسية المنبثقة من خارج المادة و الوصف الذي حلل به ليبنتز الأرواح بما هي "مرايا حية"، مرايا تعكس الوجود لاجسميا و تسند الصورة المدركة لعالم الواقع، بحيث يكون الشيء المدرك محايثا بعالم لامرئي له أو يشتمل الواقع المرئي في ثناياه على عالم لاجسمي يضيء إدراكنا للواقع المرئي، إذ لا يشكل العالم المرئي إلا الجزء المرئي المتماسك و المدرك من العالم الحقيقي مما يجعل من العالم الواقعي ترميزا للعالم الحقيقي، و الخلاصة الأكيدة إذن هي أن التلف تغيير في حالة المادة فقط و ان الموت تغيير لعالم الروح وليس تلاشيا كليا أبدا للكائن المستمر بهيئته اللامرئية، أما الجسم فإنه يتعرض لتعفن مادته الجسمية المرئية فينحل دفعة واحدة في وضعية الموت، إلا أن الروح لا تتركه بشكل كلي لذلك اعتمد سليم في التفريق بين النقيضة مرئي ـ لامرئي، الكثافة في تحديد كيفيتهما الحسية المتفارقة ظاهريا و المشتركة في جوهرهما الواحد، ألا و هو الكثافة المترسبة أو المتبخرة، فالروح تحمل باستمرار صورة الجسم كذكرى و ترتديه في الهيئة الأخرى لها، عندما تتماسك أجزاء لا مرئية مع المونادة المركزية ـ النقطة المنسوجة بفعل تقاطع مجموعة خطوط نسيجية بلغة ليبنتز، مشكلة بذلك و مجسدة قانون الارتباط الكلي بين كل الأشياء، حيث ينكشف الواقع النفسي للمادة الحلمية التي جبل منها سليم بركات "أرواحا هندسية" بواقع اللاشعور منكشفا على صوره وبامتداد الذاكرة المحضة. بكل يقين لا يغدو هذا الأمر ممكنا إلاّ في الألفة المتخيلة للنقائض الموحدة التي يؤسس سليم من خلالها الصدمة النصية. فالنسيان قدر المادة، أما الروح ـ الذاكرة المحضة فهي خلاص المونادة لبقاء واستمرار العالم عبر تخيله. إذن الصرح المرئي الذي يحتوينا محتو داخل وعاء لامرئي يطرح باستمرار صور تحيل إليه ترميزيا و تنخر باستمرار ما اطمأن أليه جهلنا بالعالم الواقعي الهش، مثبتة أن الغلاف المرئي محمل بارتباطات فلكية و جسيمات لامرئية تسندها، بحيث يفقد المرئي بدونها حضوره الظاهراتي و ترميزه المتعدد الدوال. غير أن سليم في الأرواح الهندسية يجبل بالمتضادات مفهوم ـ ماهية الحرب المقوضة لمفهوم الجسم و الروح في الواقع و كذلك تقويض الحرب للواقع بما هو محض رامز مرئي، بمزجه أو بالأحرى بتقاطع و تداخل الأزمنة في نسيج الحرب و بالتالي اختلاط صور هذه الأزمنة في ألفة تلغي عنها دهشة حضور ما هو مصنف

بمنطق هويته كغائب في مكان صورة تموقعها هويتها المستقبلية في الممكن التحقق و ليس في المتحقق غير المنقضي و إحاطة صور هذين المتضادين بالآني غير الثابت لا في انتقاله المستمر من المابعد إلى الماقبل، بل إنما في ذبذبته التي تآني الماضي و المستقبل بحيث يغدو الحساب داخل الأرواح الهندسية ممتنعا يجعل من زمن الحرب هو الدوام الذي تتواتر عليه الوقائع في البعد الهرمسي للحرب، و كون الحرب هي جموح واقعي فإن الجنون هو القانون الذي تصطف على أساسه الوقائع داخل الأرواح الهندسية، لذلك نجد أن زمن الرواية زمن صوفي يكون فيه الماضي مستقبليا، أي بتعبير أوغسطين يكون زمن الرواية هو الـ "ماضي المستقبلي"، مما يجعل ممكننا تركيب الوقائع المرئية باللامرئية و محايثتها بحيث لا يتعرفون على واقعيهما فتعجز الكثافات الخمس من التعرف على واقعهما المرئي بالنسبة إلى أ.دهر و كذلك بالنسبة إلى جد أ.دهر و كذلك يعجز الرجل البدين الذي يثور من عدم بيع البائع جريدة لأولاده.. "إنه لا يرانا يا أبي..... كمن تذكر شيئا: أنا ميت" (ص 124)...إلخ، فسليم ينسج من ألفة الشبه ـ الحيوان هذه صدمة اختراق النسيان لخواص الروح، الصدمة التي تخترق ما نتكئ عليه من تجريدات معرفية لبرهاننا على لاقطعية و لاحتمية الواقع المرئي و برهاننا على ثنوية العرض و الجوهر؛ الارتباط المستمر و التلف الفقدان، صدمة خطاب تشتغل على إلغاء الصدمة الداخلية في النص، لإنتاج نص صدامي في الألفة التي يقيمها بين الكيفيات المحسوسة للكثافات المتضادة. تلغي لادهشة اللقاء بين الكثافات المتضادة، المسافة الفاصلة بين المرئي و اللامرئي، تعايشهما في المكان بحيث يفقدان ترميزهما الهوياتي، فتكون صدمة خطاب الأرواح الهندسية هي الألفة ذاتها التي يؤسسها سليم بين ثنوية الشبه ـ الحيوان الحيوي، و الألفة هنا ليست هي الانتباه للصورة المسبقة، إنما اختفاء الصورة المسبقة عن النقيضة مرئي ـ لامرئي، بحيث تعجز الكيفيتان على التعرف إلى كونهما المختلف، إذ يجبلهما وحش الحرب التوحيدي الذي يجعل جميع الموجودات مدركة كصورة نجمة خامدة فتكون كائنات الواقع الحربي حاضرة كنجمات خامدة تتقاطع صورها مع صور نجمات قائمة بالفعل، إلا أن إدراكنا و بفعل الأصل الحربي للكائنات في الواقع الجديد لها، يفقد حس التوجه لديه، إمكانية قدرته على عزل الخواص و تصنيفها و تجميعها في هويات تجعل النجمة القائمة ممتلئة بخواصها التي تجعلها قائمة و ممتلئة بخاصية القوام المختلفة عن الخواص التي تجعل نجمة أخرة خامدة و ممتلئة بماهية الخمود. سليم في خطابه الروائي هذا يصيغ ببساطة معقدة قانون الحرب في المادة و الروح على السواء، القانون الذي يفقدنا خبرتنا بالأشياء في العالم، لذلك تخلط خواص المادة بالروح، الشبه بالحيوان، الماضي بالمستقبل، الموتى باللاموتى، الأعضاء بالأعضاء، و هكذا يمهد سليم قبولنا لتبادل المادة و الروح خواصهما و بالدرجة الأولى خاصية العطب، التلف الذي يصيب ذاكرة الروح، بما معناه وضع النسيان في الروح بما يعلل هلوسة الروح في تماهيها بأوضاع مادية تفتقر إليها، فعودة أ.دهر بمفاتيحه لعمارة أبي كير و مصعدها يعمل كما لم يعمل من قبل و مطالبة صاحب العمارة له بأجرة شهرين، ليست تذكرا لفصل من سيرة ماضية، بل هي تخريف خلاق بتعبير "دولوز" في تعريفه للفن، تخريف يعلل الحرب التي هي علية عليا لهلوسة الروح. لذلك تبقى المسافة بين العالمين المتضادين مسافة سديمية لاغتراب المتناسل الكلي، فالأرواح في أرواح هندسية لا تتناسخ لتظهر من جديد في جسد شخص آخر... روح طيبة في جسد مختار أو طفل أو قط أو حتى نبات، و لا تتناسل لتعود مرة أخرى حية داخل رداء جسد بهيئة مغايرة وفقا لقانون الارتباط الكلي بين الأشياء كما أسلفنا، بل هي تظهر فجأة كظهور أ.دهر على سطح السفينة محدقا في الكثافات الخمس التي تتوهم بأنها لامرئية، و هي لامرئية و مرئية في آن، لامرئية بكثافتها الملجومة و بالنسبة للكثافات المروضة، و مرئية بالنسبة إلى أشباهها الذين يعتبر أ.دهر واحداً منهم. تعجز هذه الأرواح من التعرف على كونها فتهلوس ما تفتقر إليه لتغطي بذلك قصور ما تكونه، ولا يعزى

هذا القصور إلى المادة، بل و إنما قصورها إلى الحياة بحيث يكون الحقيقي هو المتأرجح في المابين، فالحرب هنا كما في أي مكان آخر تحايث الوجود بالعدم، بل تجعل العدم أساسا للإيمان بالوجود، إنها تحايث الموتى بالأحياء، و تحيل بالأحياء إلى موتى في الاحتياط، أرقاما تشكل موت خمسة أشخاص فقط في اليوم الواحد دهشة و تذكرا لحالة غائبة، فيخرج الناس من الملاجئ و تعود الأسواق في الظهور ليعود تشويق أساليب الموت مرة أخرى في الظهور كما في الصفحات / 51- 52- 53 /. إذ لا يشكل موتى المصادفات بوجودهم امتدادا للحياة، فهم لاموتى و ليسوا أحياء، فانتماؤهم إلى الموت أكبر من انتمائهم إلى الحياة، لأنهم يعلمون بقرب المسافة التي تلصقهم بالمحيط الذي يشغله الموت ـ ألم يكن انتقال أ.دهر عبر المرايا توسعا لرقعة الحرب..؟ ـ و انتمائهم للحياة ليس سوى حلم غير متماسك يخالطه الوهم. موتى المصادفات إذن لاموتى في ديكور يؤطره الموت و يشغله شبح الحياة، فالمحاكمة التي كانت تتم في قبو العمارة المجاورة لعمارة أبي كير و التي لم يكن بوسع الكثافات الخمس اللامرئية سماعهم فاقتربوا أكثر من أ.دهر و صاحب العمارة الذين كانا يؤيدان دفوع الموتى المقدمة بمثاقيل الشظايا التي قتلتهم، كل ذلك يشكل الحجة الدامغة على أن موت هؤلاء الطبيعي لم يكن إلا كشفا لموتهم المحتجب في واقعهم العضوي، و بأن الموت هنا ليس موتا للموت و بالنسبة إلى الأحياء فقط، إذ أن الموت لم يتنه الحياة بالنسبة لهؤلاء، لم يحد الموت حياتهم بالعدم، بل بهيئة أخرى مثقلة بالشظايا، بحضور كامل لذاكرة الموت بالألفة التي تعايش بين الشبه و الحيوان في عمق القبو المنكشف بجداره على البحر و على العمارة المنهارة و بأصوات النباح التي كانت تعلو من أساسات البناء المقام على مقبرة يوضحها سليم في الجزء الجينالوجي الثاني من الرواية و المسمى بالحكاية كما يجب أن تروى. الموت في الأرواح الهندسية هو ختام لمرحلة جسمية عينية، لموتى عضويين، و مصارحة للموتى بموتهم، أو هو مرآة ليرى فيه الضوء نفسه/ الصورة هنا مقتبسة بتصرف من الرسالة "حلاج" من رسائل السهروردي/ و الموتى موتهم، و العلية دائما هي الحرب التي تعيد صياغة العوالم المتضادة، تخلطها في وضعية الوجود في أطوار الانتقال الجثثي. صدفة تقع قنبلة غير متفجرة في الملجأ الذي يسوده نمط سلوكي مطمئن إلى حصنه التحت أرضي، تتدحرج القنبلة و يتبارى الوميض و الدوي في طبع الحواس بالانطباع الأخير لأشياء العالم عليهما، يصور سليم احتمالات متعددة لصدفة وقوع القنبلة المتعددة، يزامن الوميض الدوي، و يزامن الدوي الوميض، تختلط الأعضاء الآدمية في صيغ لاإنسانية تشكل بتآزرها مع النقاط المشهدية الأخرى و الموزعة على خطوط درامية متوازية صورا لانمطية للفكرة العامة عن الحياة، التي تفقد بدورها صورتها المسبقة و بالتالي يختل وعي ذات الحياة، تصورها عن نمط كونها، فالآدمي المستخلص من خليط فوضوي لتوزع الأعضاء السابق ـ الصور الذكرى لتركيب الكائن، مصاغ بهيئة لاسندية مغايرة... كائن مؤسس من خردوات تتطايرت فتسقط وفقا لمنطق السقوط الصدفوي المنفتح بطبيعته على إمكان كل ممكن، و بالتالي غياب الصدمة في كل تفصيل و في أي تفصيل داخل الرواية. أضف إلى ما تقدم أن سليم حين يذكر شبح زوجة صاحب العمارة، فإنه يذكرها عرجاء بحكم أن الذين لملموا أشلاءها نسوا قدمها بين أوراق اللبلاب (ص 54). إذن فالوجود العياني للإنسان في الحرب ليس وجودا قطعيا، بل ليس مظهرا حتميا له، الوجود يستمر في المظهر ـ الهيئة الأخرى للكثافة التي تحدد وجود الكائن بالصيرورة المستمرة للمظاهر ـ الهيئات المختلفة الأخرى و التي أدت إلى ظهور شبح أعرج لزوجة صاحب العمارة. و بما أن الموت و الحياة ليسا سوى وضعيات يتناوب عليها الجسد ـ المونادة في التعينات المتباينة لنمط كثافته، فإن سليم يجعل من الكثافة أساسا لتحديد كتلة شخوصه الحيوانية و الروحية... "و هو ـ أي أ.دهر ـ يصعد من الظلام بخارا بعدما انحدر إليه قطرا رقيقا يغزل الفراغ النوراني غزلا أليفا" (ص 80)، فالخفة هي الكيفية المكنة للكثافة الصاعدة بـ أ.دهر من الظلام، و الإمكان هو ماهية الشيء ـ الشبه هنا؛ فكرته

الواضحة عنه، لذلك تكون الفكرة العمومية لشخصية أ.دهر هي ما تقوم الذاكرة بتطعيمه في شبهه، غير أن الشبه هنا غير متناسخ جسميا، لذلك لا يمكن أن تكون الفكرة العمومية الواضحة لشخصية أ.دهر إلاّ فكرة الانفلات المستمر لوضوح خواصه، لذلك هو ملغز بالنسبة إلى الكثافات الخمس التي أصابها ما يصيب نقائضها من حيرة و دهشة حول وجود أ.دهر على سطح السفينة بعد أربعة أيام من انهيار عمارة أبي كير، و هذا الانفلات المستمر يجذمر - من الجذمور - شخصية أ.دهر، بحيث يتحدث إلى الرجل السَعال و إلى المترجمين الأشباح و إلى الممرض الذي ليس سوى شبح بوضعية واحدة، إذ ان أ.دهر هنا ليس ذبذبة حدين غير متطابقين، بل و إنما صيرورة هذين الحدين نحو بعضهما، انه الحقل الذي يمغنط مجال التواصل بين خطي الموت و الحياة، الوجود و العدم، و كونه فاعلا مغناطيسيا يجذب الحدود المتناقضة إلى بعضهما دون صهرهما، تستعصي على الحل شفرته لدى الكثافات الخمس "رغم الشبه القاسي الذي يتجلى رويدا رويدا وسط النظرات المتبادلة بينهما" (ص 39)، و في الآن ذاته تجهد هذه الكثافات عبثا في إعلامه بلامرئية صديقه الرسام، فنظرة أ.دهر تلتصق بكيفيتهم المحسوسة و تخترقهم كونهم نسوا بأنهم باتوا مرئيين آناء انكشافهم هم على أ.دهر على سطح السفينة.

مقابل شرفة أ.دهر، رست شرقا سفينة الموتى التي كانت قد اتجهت غربا، في مواجهة الصورة الثانية لعمارة أبي كير التي: "تجعل الشكل مقترنا بالنقائض"(ص 179)، حيث اختفى كل شيء في محيط العمارة من منارة المسجد و البيوت في الجهة الشرقية لتبقى عمارة أبي كير- بؤرة الفعل، الحركة - وحيدة في مواجهة الميناء الذي ترسو فيه سفينة الموتى، حيث البحر اللامتناهي بانعكاس الجهات على الجهات، البحر؛ الموطن الأسطوري للموت و المسكن الذي تنتهي إليه الروح في رحلتها الأبدية، فالسفينة ترميز تضافري لمعنى الخارون الثقيل و المتجه في البحر نحو جهة ثابتة، غير أن سفينة سليم و بحكم تناظر جهاته في المادة الحلمية التي يجبل منها خطابه، ترسو في الجهة التي انطلقت منها، و هي ترسو في الجهة ذاتها التي خرجت منها كون المكان هنا منسلخا عن مفهوم الجهة التي تقسمه في الواقع الآخر، و المكان داخل الأرواح الهندسية متطابق مع تركيبة الزمان فيها، لذلك تكون الأزمنة الثلاثة و الجهات الأربع متراكبة في بعد غير رياضي، بل و انما في بعد تخيلي مستخلص من منطق الرواية ذاتها، و هكذا يمهد سليم لانزياح صورة الخارون داخل الأرواح الهندسية عن الصورة الموروثة للخارون، فترسو السفينة المحملة بالأرواح في المكان الذي فقدت فيه هذه الأرواح و بدفعة واحدة رواءها الجسمي، كون الجهة الثانية هي الحافة المطبقة على الجهة الأولى التي تتضمنها لا انعكاسا بل و انما امكان، و بترابط كل شيء عبر الحقل المغناطيسي - أ.دهر - يأتي أربعة مسلحون إلى أ.دهر و يطلبون منه أن يدبر لهم أمر صعودهم إلى السفينة إلا أنهم لا يخرجون من العمارة (ص 131، 132). فعمارة أبي كير ليست منهارة أو قائمة، انها النقطة التي ينقلب فيها العدم وجودا و الوجود عدما، فيتراء بداخلها الرائي و المرئي في حركة دائرية تضمينية و يؤسسان بتراكبهما المزدوج لحمة النظرة - رؤية الجسد في غيابه.

إذن لا تناقض داخل المادة الحلمية المنسوجة أساسا من مزج مزاجي للتناقضات، فينطبع سطح الواقع بأشيائه المتضادة بملمس اللحم الحلمي الذي ينسج إنعكاس الأشياء على بعضها في المنطقة الظلية للمرئي - اللامرئي. و الأصل التمثيلي للمادة الحلمية هنا ليس هو التخيل، بل و إنما صورة الذكرى للحرب التي يحيل إليها سليم - كما "هرقليطس" الذي قال بان الحرب أصل كل الأشياء - أصل الأشياء في العالم، و ذلك في جينالوجيا النزاع المعروض بتصعيد جيني في الفصول التسعة للجزء الثاني من الرواية، فالمسافة بين البر و البحر تجذب بمناخها إمكان ثبات العابر فيها،و بتثبيت حجر إلى جنب حجر آخر يتأسس الخط الذي على طوله ستتوزع الحدود الفاصلة لامتلاك - تقسم الكتلة في الساح الممهد لترقص عليه النوازع المتضادة

لتعايش المختلفين عليه و فيه،و هكذا يوضع الحجر الأساس لبناء حجرات الأرواح الحاكمة لحركة ـ توجه ذريتهم في الأرض، وضع أساس لامرئي لنصب مرئي كعمارة أبي كير التي ستوضع أساساتها على مقبرة تختلط أرواحها بقاطني العمارة و تتقاطع مصائرهم، أما الاسم الذي يطلق على نمط الترابط بين الأساس اللامرئي و النصب المرئي فهو التعاقد على مقايضة الإبادة بينهما و المعروف لدينا بالحرب التي وضعها سليم كحجر زاوية الجموح لخطابه، فالحرب ليست كشفا لجينوم حيواني غير منقرض بالانتقاء الثقافي، و ليست تعبيرا بدائيا لرقصة الشر في الطبيعة الإنسانية، و ليست نواة مادة طيبة تجهل نوازعها الشيطانية الخفية، بل هي تمظهر مادي ملموس لجنون الكائن المهذب، لاضطهاد عقلانية العالم المتزن، للأصل المقدس المغفل في الطبع الآدمي المطمئن إلى غفلته عن مقدسه الخفي.... الحرب عبودية الأصل لطبيعته، و طبيعة تُعّقد أنماط الحياة لتفترسها، الحرب افتراس الحياة لذاتها، إبادة الذات لامتلاك ما يهدد الذات من تلاش ختامي، الحرب تعقيد و تقهقر، تعمير للهدم و هدم لامتلاك الشيء المعمر المجسد في الحكاية كما تروى في الجزء الثاني من الأرواح الهندسية. و قد تمكن سليم بدقة من الإمساك بالثابت الهستيري للطبع البشري خارج التجربة الزمكانية، التعيين الملموس لنواة الحرب الذي هو هوس الحرب ذاته، الذي يحايث المدرَك حسيا بالمتخيل و يماهي صور الحلم بصور الواقع في وضعية الحرب التي هي وضعية مابينية ينعكس عليها مخلوق هرمسي ليس بمرئي واقعي و لا هو بلامرئي متخيل، إنه هنا و هناك و ليس صهارة كليهما في وضعية ثابتة، فسليم يهندس الهروب، هرب النقائض نحو بعضها دون اندماجها في بعضها، إذ تمتد يد أ.دهر لتخترق الجدران و تتكيف ككثافة خلف الجدار، و يضع يده على الجدار في قبو العمارة المجاورة لعمارة أبي كير فتخضل بالدم. العالم هنا ليس واقعيا و لاواقعيا، و لا معقولية لدينا للبرهان على صلابة جهة بالقياس إلى زوجة جهة مقابلة، إذ ان الواقع مادة حلمية داخل مادة حلمية اقل تماسكا، فالجنون و ليست المعقولية هو الذي تستند اليه الحرب لتحدد بعدها الشمولي في امتلاك صور العالم، البعد الذي يتمظهر عليه الثابت الهستيري لبنية القتل في الصفحات / 50 ـ 51 ـ 52 /، المشيدة لتخريف صور الموت في بيروت سابقا و في بغداد الآن و في أي مكان آخر لاحقا فلا اسم يحتكر المكان بطقوس التخريف الدموي للموت، و كونه بلا تحدد منعزل فهو أي مكان و كل مكان، و هو كل مكان كونه إمكانية ثابتة و شاملة للعنصر الآدمي، فالموت إمكانية خالصة على التخريف. تتحلل من هذه الاستمرارية السببية لنمط كون القتل المتنامي التعقيد مضامين غير ظاهرة في وضعية علنية، لذلك لا يكون هوس الموت بالموتى و هوس الموتى بالموت في نمط القتل التخريفي سوى مضامين سابقة على تعيناتها الظاهرية، فهي ليست تمظهرا لأنماط غير محمولة بالوجود، ليست بلا سند سببي للطبيعة الأولى التي أفرزتها في التغيرات التي هيأت الوضعية الملائمة لانبثاقها، إنها انبثاق و ليست وجودا دفعة واحدة من عدم مأخوذ بنسجها في الخفاء، لذلك لم يضع سليم للمكان اسما يفرده في طبيعته و يحتكر بذلك نمط القتل الخبئ في ثنايا المادة النفسية للآدمي، فالتحديد ضد الإمكانية و نمط القتل هنا لامتعين مستمر في ثنايا الآدمي الذي بدأ بسرد وجوده قاتلا، لذلك تكون الروح علة وجود الحيوان، غير أن الحرب تشوش فعل الروح أيضا، تعزل وجودهما، تعمق تصدع الذات لتتسرب العوامل المرضية إلى عرش الفعل الآدمي، فتنعدم رقابة الآلهة في الحاكمية المطلقة للانفلات الفوضوي، لتتقوض صورة المجتمع و يحل محلها مجتمع بديل بخيال جذري مغاير في صورته، يكون فيها المجتمع مغتربا عن حقائق الدم المؤسسة لهيئة المجتمع المقوض الذي ينصب على أنقاضه وضع جديد للدم، يكون فيه الأخ ارتباطا لادمويا بل و إنما تنظيمي أو رهطي متطابق مع الألفة الوهمية للإيمان بطوطم ما، فيتسيد الدم المهراق مؤسسة الجهل التأسيسي و يضع خريطة بديلة ـ خيال راديكالي بديل

لإنتاج الفرد الاجتماعي. إذ لا هيئة قالبية تمظهر سلوكيات هذه النقائض المتآلفة في صيغ - صور سابقة تمهد لنفسها معقولية إدراجها في السلسلة السلالية لحركات الكائن الاجتماعي، فالحرب تهذب الدهشة، تحيدها لذلك يلغي سليم من واقع الأرواح الهندسية ما هو ممتنع بالضرورة وجوده و ما هو ممكن بالضرورة وجوده، إذ لا علية - قانون يكيف الامتناع بالضرورة عن الوجود و الإمكان وجوده بالضرورة، العالم هنا يتوق إلى الإباحية و هذا التوق هو الذي يخل بالارتباط بين المادة و الروح، لذا فمن المنطقي داخل الهيئة المختلفة جذريا للعالم هنا أن تتوه الكثافات الخمس اللامرئية افتراضا لأربعة أيام عن التعرف على حدود أشكالهم المرئية/ ص 173/، فالموتى و الأحياء ليسا ترميزين ماديين لعوالم متناقضة، بل إفرازات المادة الهيولية التي يجبل منها سليم كثافاته المحكومة بالنزعة الهرمسية في الهروب من العنصر الظاهري للكائن إلى عمقه حيث النقطة الإنقلابية التي يلتقي فيه المرئي باللامرئي.

يدمج سليم في الأرواح الهندسية مستويات الإدراك الثلاثة/ ذكرى محضة غير ممتدة، ذكرى صورة ممتدة، انتباه / فتحايث الذكرى الإدراك الذي يحايثها - يمزجهما في تراكب متآن غير متمايز الأجزاء، فتتمظهر الأبعاد الزمنية الثلاثة متآنية في بعد واحد هو الآن الحركي التراكبي، تمضي الأزمنة المتباينة معا مشوشة ترتيبها التصنيفي لا بالتنقل فيما بينها كتكنيك حداثوي لتشويش الزمن في بناء حبكة الرواية الحديثة، بل بوضعها معا بلا تطابق على سطح اللحظة الحاضرة، فالـ كان و الـ سين المستقبلية لا يحددان ماضي الشيء و مآله في النص، بل و إنما تموقعهما الهندسي في الخطاب فتتم معاودة الزمن ذاته مرة أخرى بتبادل موقعه مع زمن آخر على السطح الحركي للحظة، إذ أن زمن الرواية هنا غير مجوف نحو الماضي كونه يجعل من المستقبلي ماضيا، أو بتعبير " أوغسطين" إنه الزمن المستقبلي في صيغة الماضي، و هكذا يمكن للكثافات الخمس أن تشارك أ.دهر اطمئنانه على وجود السفينة في مكانها و هو ينظر إليها من شرفة شقته في الطابق السادس /ص 27/ و كذلك حيرتهم من مغادرة أ.دهر للسفينة دون أن يلتفت إليهم /ص 29/. لقد بين لنا فرويد في "إبليس في التحليل النفسي" أن الأرقام في الأحلام لا تكترث بالأصفار، فالأربعون سنة التي تسبق ولادة أ.دهر ذو الثلاثين عاما تجتمع في الرقم سبعة بدون صفره و المتطابق مع الرقم سبعة في الجملة التي تقولها الكثافات الخمس: "بعد سبع سنين من احتجابنا عليه" /ص 12/ الزمن الذي لا يمكن أن يجد ما يسوغه في النص إلا بكونه احتجابا لزمن ليس بسنين بل ربما بأيام يمكن تعليلها باختلال الزمن لدى هذه الكثافات التي لم تفلح في حساب المدة التي احتجبوا فيها عن أ.دهر. و يتكرر الرقم سبعة في مواقع عدة كالترتيب السابع لعمارة أبي كير و إقامة الجنرال الميت في صالة السينما لسبع سنين. إن بعد الرقم هنا حلمي أو لاشعوري لذلك يمكن أن نصنع من الأرقام زمنا يكون قريبا و بعيدا في الآن ذاته، الأرقام إذن ترميزات تضافرية لتثنية الزمن الواحد بأزمنة أخرى تجعلها تتركب كزمن المنمنمات على سطح ذي بعد واحد، غير أن إمكانية العود المختلف للزمن تسود الصورة أيضا، وفقا للفراغ الذي يلي الكثافة: "كأنما تؤكد المرايا العظيمة أن في اقتدارها رسم الصورة الواحدة على نحو مختلف بحسب الفراغ الذي يلي الكثافة" /ص 79/، فصور الكثافة تتحول باستمرار في الأطوار التي يحدده الفراغ لها، تتمركز في هيئة نقطة جسمية متقاطعة، و تسودها روح الانتشار في الفضاء الذي يخفيها و يعيد إظهارها في هيئة لامرئية تضيء الرائي بانعكاسها عليه، فلا ثبات لشكل الكثافة الذي يمسكه الفراغ و ينفخه باستمرار في أطوار مغايرة.

الكثافات، الأرواح، الأحياء، الموتى، العمارات، الميناء، السفينة، الجهات، الكهرباء المنقطعة - يا إلهي الكهرباء المنقطعة - البحر بجهاته المتداخلة، القراء.... إلخ، كلهم تتموقع في الفراغ الذي يليها، يحيطها، تبرزهما كمرئيات و تنشرها كأرواح.

ageNumber





مناجاة امرأة

شعر: كەژاڵ ابراهيم خدر
ترجمة: حسن عبدالكريم

١

في خريف مصفر اللون مررت عابرا في اعماقي
وجعلت همومي تصادق هما مقدسا اخر
انت في موسم ربيعي من سنوات عمري
رشيت عطرا لرائحة النرجس على شعري
وعرفتني على الوان الـ(قوس قزح) وعلى
اصوات الطيور المهاجرة.

٢

اعرف انه في احدى الليالي الظلماء
سوف اتشابك مع همومك،
وتختلط همومي مع ازقة روحك
اعرف انني ساذبح في احدى الليالي
مع احدى قصائدي، ولايوجد من يطالب بدمي

٣

انت كنت نسيم صحراء جنة عاطفتي،
وكنت تجرف اشواك الموت وعيون الذنوب،
كنت انت قدحا من شراب وامام رغبة مجنونة
انسكبت وليس باستطاعتك ان تجمعها مرة اخرى

٤

ايها الطائر،
طر على احلام طفولتي وانقر رغباتي
هات لي بذرة سنابل القمح،
لكي ازرعها في حديقة قلبي، وكطفلين قرويين
نبدأ بحصاد السنابل.

٥

ايها الطائر لاتنقر اوراق الورود
انك لم تتعلم اراقة دم اوراق الورود،
لاتشتم رائحة الحرب
انك فتى يافع تربيت تحت خيمة
مشتى معتدل الهواء في الجبال

٦

قل لي،
اذا خيرت بين السكر الناجم
من العيون والسكر بسبب
قدح من الشراب، فايهما تختار.
بين احلام طفولتي واحلامي في الوقت الحاضر

ايهما تنسى
بين الانامل الرقيقة لفتيات القلعة والاصابع
الخشنة والمشقوقة للفتيات الغجريات،
والاصابع المبللة بالحليب خلال حلب الاغنام
ايا منهن تختار.

٧

عندما اموت
بدل لون كفني
بلون وجهك
كيف ترضى ان يكون لون كفني
ولون ملابس ليلة الزفاف
يكونان ابيض اللون

٨

انك يجب ان لاتصادق غسالي الاموات
لانهم باستمرار ينتظرون موت الناس
ومعيشتهم في موتك انت واغتيالي انا

٩

السحاب اكثر ارتياحا مني
لانه عند مايبكي يشرب الارض دموعه
ولكنني ابكي في الفصول الاربعة
وليس هناك فم يشرب دموعي
قبل ما تأتي انت انا اتيت
قبل ما اتي انا انت اتيت
لاتقل احبك كثيرا
ولا اقول انا احبك كثيرا.

مدرارا تحدث ايها الوشاح المائل



شعر: علي پێنجوێنى
ترجمة: كاوه حسن محمد

يا الهي! اذا كنت غير مستفيد وسعيد
لخضوعك
ولست خائفا من تمردي
لماذا خلقتني اذن؟!
وسط اي معنى تضع مكانا لوجودي
فخوفا من نسيانك وعدم التطرق اليك
وخوفا من عزلتك
ومنعي من لمسك
لقد سفعت يدي على كل جذوة
وافرغت جميع الرصاصات المتضاربة
في قحف رأسي
لماذا احرقتني في جحيم الملتقى
ولم تأت معي لنرنتشف تحب كأس للسم
اعرف لماذا لم تأت
كي اتذكرك وابحث عنك دوما
ايها الوشاح المائل
تمعن كم هو جميل عدم لقائي مع الله
في احتساء الخمر؟!
تمعن للقاء لم يجمعنا مع الله
رحمتك مليئة بالنار وعيناك ثمل
بطوفان العزلة
يداي سهول من الخزامى الميتة
نار الغربة جعلت من روحي عنقاء
تمعن الى هذا التلاشي كم هو جميل!
يشبه هدوء بياض الثلج..
جرة تسكب الرمال على نفسها
غير مبالية من خوف الصحراء
الصحراء وبكل عظمتها
الصحراء وبيديها المشققتين
انها متمددة داخل هذه الجرة
تعزف على ناي الرمال
مع ان الماء لا يتراقص
حينما سمعت الوشاح المائل يتمتم..
عندما تكون الاصابع على الناي
ولا ينزف منها الدماء
عندما تكون نافذة السراب غير قادرة
على ترجمة حمت الصحراء؟
كجرة جميلة خالية من البلل

فحينما لاتحمر الـ (حيران)[1] بدماء الانتظار
فكيف استطيع ان ارقص واغني..؟
ايها الوشاح المائل
ليطل هذا السفر
وليكن هذا الجرح براقا
وليكن طوق العقيق وحيدا
تجلجل على جيد للفتيات ذات الوشائح المتمايلة
ولأبحث في هذه القفراء
وسط سهول فصوص الرمال
عن عيون الله..
بيني وبين نفسي
فوضى الوشايات تحكمنا
مابين عيني ودموعي
تتساقط جثامين السفرجل العزيزة
وكل تلك التوابيت لأوراق زهرة الشمس المنكوبة
لم تكن عيناي صرخة لهم
ولا دموعي تتسع مكانا لهم
تمعن من هذا الضياع
كم هو شاحب ايها الوشاح المائل!
انه يشبه لون العشق..
ايها الوشاح انك تنسكب ولكنك مليء بالظمأ
انني اغلي ولكنني مليء بالقفراء
هذا الباب في الحقيقة ليس بابا
وهذه النافذة تشبه ضباب يدي
يا عزيزي البائس ارم مظلتك
لاتحسن من رائحة الشعرية
حل ازرار ثوبك
الا تدرك
(اثناء صلاة المغرب ليوم امس انغرجت
ازرار صدرية الحبيبة
ذات اللون الاصفر والاحمر المشابه للشمس[2]
لم يكن صلاة، بل شلال دم لفجر حديقة التفاح
تمعن.. الى تلك البرتقالة المدمية
كم هي سعيدة ومسرورة
في هذا الوقت الضيق لصلاة المغرب..
ايها الوشاح المائل!
عندما افضل ثوبا للمطر من ورق الصنوبر
وعلى صدر الحشيش العاري
اجعل من عيون الفراشة نوما
واعلم كل الدموع الاتية
على دف درويش الرقص
ومن شال حبيبة الوشاح المائل
اعلم الغنج والدلال؟ التواضع والبساطة
عندما يمتلئ صدري بالنسور المتلطخة بالدماء
حينها يبقى شيء اضيفه:
كم هو لطيف ايها الوشاح المائل
هذه الرقصة المدمية
وهذه الرقصة مع احتراق الطيور العنقاء العاشقة
عندما يجثو المطر على فم ورقة شجرة
سوف يكون وشاح التترد
مع بقايا عزلتي
يتحلل وينصهر
وفي عتمة الليل عندما اذوب
قطرة قطرة اثناء الغسق
اقول وبكل نزاهة:
مدرارا تحدث ايها الوشاح المائل
الغض داخل الظلال
والغناء داخل الدماء
وللمة رذاذ الزجاج المدمية
داخل المروج الثملة
والسفر نحو الجروح المنعزلة
وهذه السوناتا المبكية
كم يليق بك ايها الوشاح المائل
الا تتذكر..؟
كنا نأتي كالعصافير المخدرة والساقطة تحت المطر
ونصطدم دائما بالشبابيك
وكنا نترك نصف فؤادنا
على مائدة امهاتنا

ونصفه الآخر الله وحده يعلم
على اية قمة موحشة ضائعة
وامست حجرا
وكنا نأتي ونتمرغ وسط رماد الملل
وكانت العزلة تلاحقنا كالكلاب
انفض غبار حذائك
ثم افتح ابواب الجحيم
افسح مجالا..
لاذهب الى ابهام يدي
كي يتراجع عن الانتحار
ثم اعد وافتح الباب للمطر
واقول لها:
حقيقة انك تمطرين منذ الخليقة
ولكنك لم تستطيعي ان تبيضي خطئية سوداء
ولم تكن بمقدورك ازالة دم سكين
ولم تستطيعي ان تحلي (فقيانة)[٣] فتاة
ولم تبكي معها قليلا
لم تأرشفي تعريف الحب
عندما يقول:
العشق هو مصالحة طفل
الذي يعزف عن الطعام
لقد ادمعت اوراق الاشجار كلها
ولكنك لاتعرفين احساس البكاء
افسحي مجالا..
لينهي سبابنتي من سلام صلاته
حينئذ اقول لك:
اوقفي عقارب ساعتك
لاننا جميعا سوف نشيخ
اصبحنا عجز لوم نتهنأ بعنقود شبابنا
شخنا ولم نتراشق قليلا بالماء
اصبحنا عجزا ولم يتسن لنا قيلولة
ومن كل البساتين لم يوهبوا
شماما واحدا للأحبة
لماذا اذن يجب ان نتصافى..!

ايها الوشاح المائل
عندما يمتليئ انفي برائحة التشرد
وعندما تتدلى الغربة على اكتاف بيتي
وعندما تباعه حذاء امي المدمية
في السوق بثمن بخس
حينئذ سوف ابحث لك هائما
عن ثوب اسود

وتبقى عيناي الضائعتان على حذاء امي
وعلى القمر التائه للسفر
وعلى اله قد ضاع وسط هذه التيه
تمعن للطمئنينة انها مضرجة بالدماء؟
يشبه تدفق الدماء
من اصابع الحسين في كربلاء
تمعن..
الى الاصيل داخل القدم الذي بين يدي
كيف اشتد نحيبه ونشيجه
كأنها ملتقى بيني وبينك.. ايها الوشاح المائل
تمعن..
للطرخون ممددة في احضان الجداول
تعد مسبحة متناثرة للوفاء
فانا لا اطلب كثيرا يا ذا الثوب الحريري
عدا تحية قبل انتحاري، ولا بكاء بعد موتي
تحية قبل الندم
تحية قبل وحشة العشق
وطوفان الملتقى
لا اطلب كثيرا
اجلب معك
رذاذ مطر، قبل ان تقضي نحبها عطشى
انني لم اطلب منك الكثير، ايها الوشاح المائل
انني غريب على نفسي
حتى عيني ليست لها المقدرة
على مشاهدة شحة يدي
جاء الجفاف وحدق في اعيوننا

نصف يدي داخل جرة محطمة تحت الامطار
اكثر تحطيما من قلبي الغائب
ونصفه الآخر ينوي هذه الليل
خفية من النجوم ان يدفن القمر
والمسيح بكل مسافيره المنغرزة في جسده
قابعا داخل قلبي المنقع
و (محوي)[٤] بطوفانه الملتهب
ممددا داخل حدقة عيني
ولكنني الآن
يداي المقتولتان لايتسع لهما مكان داخل نفسي
ولا يتسع لجذل الريحان في روحي
حينما انتحرت يوم امس بشهادة احدى الغيوم
ماذا تريد مني اذن..؟
فلم يتبق من قلبي قيد انملة
كيف يخضر هذا العشق المنجمد
كيف يخضر هذا العشق المنجمد
داخل نفسي اذن
كيف يتسع له مكان في نفسي.. ايها الوشاح المائل
لا تضع اصابعك في المياه المدمية
التي تنقع من الغروب
لن يصل صوتي اليك
ولا استطيع التحدث لاصابعك
الا داخل السراب
يحرقل نار البعد
وقيامة الملتقى يجعل في المداعبة
ولكن اناملي اصحبت رمادا
اذا لمستني اذوب
حتى وان لم تلمسني اكون رمادا
فتمعن بشكل مخفيف اضعنا بعضا..؟ ا
يها الوشاح المائل
بعد الآن لن يعترف احد بموت الغرف
فعند الآناسي، يرفض الغسق الذهاب
مع احد الى البيت
اذا وجب علي الموت
لاحتضر محلقا وليس داخل الغرف
ليس هناك احد ان اقول له:
في الليل امتليئ بالأجنة الطيران
وداخل حديقة الكرز اقهقه ضاحكا
وامسح عيون اوراق الكرز
وعندما استيقظ في الصباح
طائر القطامبتل من محنة التحليق
منتحرا امام تلفذتي
كم انت ماهر في صناعة هذه الجرار على الطرق
لم تبق شعرة سوداء في رأسك، بجوار بياض الجرار
بينما شعرك اصبح كندف الثلج
ولكن الجرار لم تبيض ولن تبيض
قضيت جل عمرك في صناعة الجرار
غير منتبه
من الصحراء لنرويها بقليل من الماء
فكيف نملأ الجرار بالماء..؟ ايها الوشاح المائل
لم انفض بعد من نفسي غبار صفاف بابل
روحي بجور جمرات الشيخوخة
تمعن كيف هي تغلي!
انظر كيف اتذكرك
انت لاتستطيع ان تسكب قطرة على روحي
ولا انا في استطاعتي ان المس جراحك
تمعن بعدنا عن الآخر..
كم هو جميل وبائس.. ايها الوشاح المائل تمعن..

الهوامش:

١-الـ (حيران) مقام كردي.

٢-بيت شعر لـ (نالي) احد الشعراء الكرد الكلاسيكيين.

٣-(فقيانه) كم طويل مع اللباس الكردي، تضعه النساء حول ايديهين وخصورهن.

٤-(محوي) شاعر كردي كلاسيكي.

شاركت هذه القصيدة في مهرجان (گەلاوێژ) الادبي العاشر في السليمانية- ٢٠٠٦.

ماروه (عبيدال) لمختلف الاجيال

قصة: تحسين گەرميانى

واصلت بحثي الحثيث عمّن للمشورة عون، بعدما كذّبني خلق كثير، ساموني رهق العذاب بما هو جارح من منبوذ كلام تجمله ألسنة لا تستحي أو تخشى عذاب يوم الحساب، لم أضق ذرعاً بهم، أو تستوني رغبة للاسنتهم أو ردعهم عمّا كانوا عني يفترون، آثرت منهجي السلمي طالما في البدن عرق ينبض بالرغبة لتحقيق مرامي، ودم جسدي لمّا يزل في فورانه اليافع لخنق كل بادرة غضب، اتخذت من التجوال مهنة، أنا وحمارتي المطيعة، قلت:لابد الحل أجده ولو في خريف عمري..!!

***

أنا(عبيدال السارح)ليس بوسع أعمامي نكراني، رغم نار البغض ودخان الضغينة يفضحان سحناتهم، كان أبي(مساري)من قوم إن أحسوا الجوع غزوا، وإن غزوا يبيدوا الضرع والزرع، هابتهم البطون العنيدة وتركوا لهم الأرض ذات الغلال، ترعرعت بعد جهاد عنيد مع مرض لف كل رضيع جايلني، من ذلك المرض نجوت بشربي حليب الحمير، بيد من رفض شربه نفق، رغم الجوع والحرمان كبرت، كنت ارعي غنم القوم، مقابل حفنة طعام وكسوة كل نصف عام، مات أبي وماتت أمي وبقيت مع شقيقة يقولون هي ليست من بطن أمي، بل فتاة اتخذتها أمي ذات يوم كي تكون لي أخت بعدما جفت أحشاءها، فتاة قيل ان عسكرياً باعها وهو قادم من سجن(نقرة السلمان)، مذ شعرت بطوال غربتي بينهم، بعدما ساموني سوء العذاب والظنون بألسنتهم السليطة، قررت أن أخوض متاهات وصحاري البلاد، لا حر يصرعني أو يردعني، واجهت كل الصعاب بقوة شكيمتي وعناد صبري، لا جفاف تمكن أن يشقق حلقي، ولا جوع أوقف سيري، خرجت وكلي يقين الفلاح نهاية رحلتي، استعنت بجردل ماءٍ، وبضع تمرات يابسات هنّ كل ما جادت بها يدى أختي العانس(مليحة)، ركبت دابتي(أم توأم)كما شاع اسمها بين عشيرتي الأقربين، حمارة لم تلد إلاّ توائم، حتى قيل ان (عبيدال)هو بعلها ونافخ بطنها كل ربيع بـ(كرّتين)لا تعيشان سوى أيام، تلك الكنية سعّرت رغبتي بالرحيل، بعدما جفّت منابع الرحمة وتم قطع حبل المودة والعشق بيني وبين من سكنت قلبي وملكت كياني وجداً وغراما، فتاة رغبت وصالها ورغبت هي وصالي بيد أن الكيد هادم الأحلام وضع حداً لمواصلة تشبثي بأمري، ثرثروا بكل ما هو مشين وغير لائق، وأفلحوا في تفريقنا إلى حين، لم أعد أحتمل نيران الفراق ولا أبواق النفاق، صحت فيهم:انتظروا العذاب والشقاق يا رفاق..!!

***

كان مغرب الشمس غايتي، هناك حط خيالي، حيث البراري تهرب بسحر، بعد مسيرة ليالٍ ثلاث وصلت بقايا شواهد لقبور دارسة، وآثار مساكن مهجورة، كوكبة أشجار يابسة، قلت أنال قسط راحة تشحن جسدي بالطاقة، وأتدارس وضعي قبل أن تتهافت رغبتي وتشل إرادتي، منحتني تلك الخلوة فرصة تقوية عزيمتي، قبل أن أهد خيط مصيري عبر الأرض التي تمتد وتمتد، جلست بعدما ربطت (حمارتي) بجذع سميك، غلبني نعاس شديد ولفني نوم ثقيل، لحظة نهضت، هالني الموقف وراعني، تأكدت من نفسي كي أطرد الظنون، عجبت مما حولي من تغير، راحة جسد ما ذقتها من قبل، خاب ظني بما خمنت من زمن استغرقته في سباتي، لم أجد سوى بقايا عظام جافة لدابتي وبقايا الحبل مفلولة وملقاة قرب رأسي، نفضت يدي من الرمال بعدما دفنت الهيكل المنخور، من جديد توكلت وكلي يقين أن وحشاً جائعاً ألتهم راحلتي وتركني فريسة في متاهة، كان يجب أن أجرجر قدمي مهما تواردت من خطوب، رحت أنشد الأفق المفتوح، رمال تلتصق بالأفق، سواد يتموّج لاح وأغراني، خلته غابة أو بستان أشواك، شاهدت سرب عقبان تحوم فوق رأسي، للحق أقول أوجست خيفة وراعني خلو المكان، لا نبات ولا أثر لأنس أو حيوان، تأكدت من خنجري في طيّة حزامي، ورحت أحث سيري صوب تلك البقعة المتذبذبة، استقبلني بعد ساعات سير نباح كلب، استبشرت خيراً كون الكلاب دليل حياة، وصلت بيت شعر في بيداء..وجدت امرأة تكاد تقضي نحبها، استدرجتني بعصاها، أدخلتني مهجعها، سردت لها ما جرى لي من خطوب.. قالت:

ـ أرضنا مسكونة باللعنات..

ـ خبريني يا أم عن لعنة جففت ضروع حلالنا، ان كنت للعناتِ مفسرة..

شربت(طاس)ماء والتهمت ثلاثا من تمراتي المتبقيات، حكيت لها كل ما جرى على قبيلتي من ويل يمطر الثبور، وشواهد راحت تشخص تكاثر القبور، بعدما شدّني يقين أقضَ مضجعي، ولهفة عارمة نفختني لاستعادة رجولتي بين أهلي وخلاني، مذ اتهموني بمواقعة الحمير، وليس أقسى وقعاً علي، يوم رفضوا تزويجي بـ(دلّة)فتاة قلبي..

ـ لك ما تبغي يا حيران، ولكن بشرط..شرط لا يكلفك..!!

ـ (دلّة)عبلتي والصحاري مأواي، أنا لكل شرط يدنيني منها..هات ما تشترطين..

ـ تتزوجني سبع ليال..

ـ ويحك يا عجوز..

لم أكد أنهي كلامي حتى ثار غبار لفني لفات، فدارت بي الأفلاك قبل أن أستقر، فاتحاً فاه، مصعوق النظر، بان ضوءً ساطع، فتاة تحاكي البدر ببياض وجنتيها، وتطرد سواد الليل ببريق عينيها، مالت علي، رجفت أوصالي، وكادت روحي أن(تطفر)من جسدي، أسندتني الى وسادة ريش، دلقت إلى فمي رشفات من ماء زلال، فتحت عينيي، كانت تغور إلى كياني وتفقدني شيئاً فشيئاً إيماني..

ـ تلك هي فرصتك، كل من تاه بحثاً عن دواءٍ نال مراده بعدما نلت منه مرادي..

ـ وهل لديك غاية يا بنت الحسن والجمال..!!

ـ أنا لست من بنات جنسكم يا إنسان..أنا ابنة ملك الجان، قضي علي أن أفعل ذلك حتى يأذن أبي بالعودة إلى مملكتيٍ وأعيش مع من ملك كياني بالهيام..

ـ حسناً بيدك مرادي وبيدي مرادك..

عشت سبع ليال بأنس ودلال، لم أكن في عالم البشر، في فردوس لا تصدقها العيون أو بوسع الألسن وصفها، وفي صبيحة اليوم الثامن استفقت على صوت غريب، لكم دعكت عيني، الحقيقة ظلت ماثلة، البياض بياض والسواد سواد كما يقولون، كنت عارياً أستلقي وكانت حمارة هزيلة تشهق شهقاتها الأخيرة، ليست ثمة خيمة

في الصحراء، خلت القضية مجرد كابوس قوم لا يتركونني لحالي، وحدي أداري الذي حصل، لفلفت جسدي بأسمالي، بصقت على الجسد المحتضر وواصلت من جديد سيري..!!

***

كومة تراب في صحراء أقلقت تفكيري وسدّت منافذ تأويلاتي، تناولت الأمر في ذهني، غريب أن تتراكم الأتربة في مكان تسرح الريح فيه بلا هوادة، أغراني ظن وتفاعلت في أحشائي هواجس دفعتني للمغامرة، تقدمت ويدي اليمنى تتشبث بمقبض مديتي، وجدت بئر ماءٍ حديثة الحفر، قر قراري على أن بعض السيارة أو مجموعة هربت من سجن(النقرة)قد سبقوني سيراً في تلك الرقعة، إحتفروها بعدما ضاقت بهم السبل وحامت حولهم المهالك جراء نفاد ما لديهم من ماء، وجدت حبلاً طويلاً ودلواً من نحاس، أدلته باحتراس شديد وكلي يقين لابد من ماءٍ حلو ، كانت بي رغبتان، رغبة لتعزيز موقف الماء في جردلي، ولحت رغبة أشد أن أغتسل من وعثاء سيرٍ كثيرٍ، وجمت بغتة، تناهت صرخة مكتومة تبعتها ضحكة صريحة: ما هذا..!!فتاة مليحة، عيناها تشعان كالبرق، شعرها سنابل شعير ناضج يداعبها لطيف نسيم..قالت:

ـ عمت مساء يا منقذي..

ـ أبنت أنتِ أم..؟؟

ـ لا تكمل ما لا أحتمله من كلام..

ـ إن لم تفعلي سأرجعك إلى موطن هلاكك..

ـ سأدلك على ما تبغي مقابل عتقي من هذه البئر..

سحبتها وكلي فرح، جلست تجفف عن أسمالها الماء، ظللت أحدجها بين واهم وغير واهم، قلبي غير واثق مما أرى، نثرت شعرها الطويل الفاحم، ولفته بيديها إلى خلف رأسها وأنا واجم..قالت:

ـ جئت في الوقت المناسب..

ـ يا بنت..لست بمطمئن منك..

ـ لست من الجان يا إنسان، أنا بنت من جنسك، رفعتني الذنوب بهوى المحبوب، أرادوا قتلي ولكن من كان نافذ القول من بني أعمامي أجبر أهلي وأعمامي أن يقذفوا بي في مكان لا يمر به إلاّ هارب من سجن(نقرة السلمان). قال لهم:عسى أن يتخذها أحدهم زوجة، نتخلص من فضيحتها، ونضيف حسنة إلى كنيتنا يوم الحساب..

ـ إن كنت حقاً ما تقولين، فلن أدخر وسعاً لأصلح بينك وبينهم..

ـ ذلك مرادي، ولكن أهلي أسود كواسر، خلّصوا الضحايا من مخالب قوافل العساكر، تراهم ولا تراهم، كالبرق ينقضّون وينسحبون، أرجوك لا تخاطر بحياتك ولا تجاسر..

ـ الخير سهم نافذ، ولو في جدار حصين..

ـ أذهب وأفعل، سأعطيك أغلى ما عندي، خاتم أودعه سجين هارب لاذ ببيتنا..

سرنا معاً، قبل أن يبدأ الليل بإرخاء سدوله، نمشي وما بين لحظة وأخرى تلتقي العيون، تفتر الثغران عن ابتسامتين ترافقهما آهتان، توقفت وناولتها جردل الماء من كتفي..

ـ بلّي لسانك كي ينطق..

ـ لساني عاجز..

ـ الماء يفل عقدته..

ـ أأنت شاعر..

- بل مجنون..
- لا أرى فيك خصلة تناقض..
- الناس يقولون ما يشتهون..
- دع من لا يستحي أن يريح غيرته بما يلذ للسانه من مستهجن كلام..
- بنت كم أنت..
- بنت الفصول التي أمطرت وأزهرت الأرض بالمسرات..
- أشهد أنك شاعرة..
- هات برهانك..
- لسانك..

وصلنا مكان ذي ربوة، بركت الفتاة وأبركتني بإشارة معها..

- أهلي..
- دعيني أنشدهم..
- ليس قبل أن يحل الليل، أعني منتصفه..
- ولم منتصفه..
- الغروب مصدر شؤم لنا..
- زيديني إيضاحاً..
- ذات غروب، قتلت الحكومة والدي، حين رفض تسليمهما هاربا من(النقرة)..
- وبعد..
- ذات غروب، قتلوا أمي بعدما أعطت هارباً ملابسها ولبست هي ملابسه..
- كفاك آلاماً..

تحاورنا بود، وجدتها لامعة الذهن، جريئة الكلام، سردت لها ما حصل لحلال عشيرتي من جفاف، دلتني على مكان كان يسكنه رجل وحيد رفض أن يختلط بالناس، قالت عنه: كان غامض الطباع، تحبه الطيور والضباع، مات واختفت جثته يوم هرع الناس لدفنها..!!كل امرأة تريد طفلا لابد أن تنام في غرفته ليلة، كل من لديها أبن أو زوج سجين اشتاقت لأوبته، كل فتاة تروم الوصال بمن تحب، ..أنتصف الليل..

- قالت توكل..
- تعالي معي..
- ليس قبل أن تنال كلمة عفو منهم..

سرت، نبح كلب وبان رجل ملثم، صاح:

- أبشر يا أخ..نجوت..
- لست من يطلب النجاة..
- وكل من معك، هو ناج..

رجعت هارباً، وصلت إليها، كانت متوجسة خيفة..

- ابشري..

مشينا حتى مطلع البيت، كان الظلام يبدد ملامح الأشياء، جلسنا على فراش وثير..

ـ لابد أنكما من ديار غريبة..
ـ وعد الرجال حق..
ـ ومن قال غير ذلك..
ـ معي فتاة تريد الحياة..
ـ إن كانت تبغيها فلها حياتي مع حياتها..
تقدم جمع رجال، كانوا متأهبين للصيد، أو غارة على(النقرة)لعتق الرقاب، تراحبنا وقدموا ما لديهم من لذيذ طعام..
ـ دعها تذهب إلى الحريم..
ـ لا داعي يا رجال، هي من لحمكم ودمكم..
ساد برهة صمت، أجاب الرجل الذي استقبلنا..
ـ فهمت مرادك، ليس من طباعنا أن ننكث العهود ونخون المواثيق، هي أختنا إذاً..

تراشقت البنادق إيذاناً بعودة المياه إلى مجاريها، خرج الرجال إلى غايتهم، بقيت وحدي على فراش تحت النجوم، قبيل الفجر شعرت بجسد يندس معي في الفراش، لم أكن أمتلك زمام وعيي، كنت مرهقاً أو مسحوراً، شيء من هذا القبيل لمّا يزل يراودني، فقدت صوابي، وحين نهضت كنت خارج أسمالي، وكانت(حمارة)في لحظة ولادة، بصقت عليها وتعوذت، ارتديت أسمالي ورحت أجرجر أذيال الخيبة بحثاً عن حلٍ يوقف زحف الجفاف في ضروع حلال قومي..!!

***

كانت رؤيا تكررت لعدة ليال، لم يصدقها أحد، فكانت (مليحة) وحدها تنبأت بما في الغيب من كوارث، ستحل بقومي وتشرذمهم كالحمر المستنفرة، قالت(سيندمون وتكون أنت قبلة أنظارهم، ستغدو سيد القوم يا أخي..!!)رأيت سحباً تجرجر نفسها بثقل، تتراكم فوق مرابع القوم، وتهطل أمطار غزيرة لكنها ترتد قبل أن تتلامس مع الأرض، كانت هناك فتيات من غير أسمال، يضحكن بغنج ودلال، لم يفلح أحد في تفسير رؤياي، بقيت ألح وكانوا يسخرون مني بل تطاولوا في غيهم وراحوا يتقولون أقاويل أو أباطيل منسوجة حسب ما يشتهون، ركب رأسي الجنون وقلت سآتي ببرهان ما رأيت، إن كنتم للرؤيا غير مؤمنين..!!

***

كان الصباح في أوله، تسللت من منامي دون أن أشعر(الحمارة)بذلك، مشيت نحو ساعة أو يزيد، وصلت إلى مشارف تل كبير، لاح بيت طين، وجدت بئر ماء في باحته، أدلت الدلو، سحبته وشربت، جلست وألقيت بجسدي في ظلٍ ظليل، لم أعرف كم نمت، مسدت لحيتي عرفت من خشونتها أنني استغرقت دهراً وربما دهورا، كان جسدي ينضج لهفة تتنامى، شيء في ذاكرتي، شيء جميل أكاد ألتمسه، رأيتها شجرة عملاقة أينعت ثمارها تحت وهج شمس ساطعة، هززت رأسي، كانت رؤيا واضحة، رحت أبحث عن مغزل لأنسجها على نول الحقيقة، حكت إطارها بخيوط من ذهب كي لا تذهب..!!

***

عند مشارف فجر جديد وصلت أرض عشيرتي الأقربين، لمحت بيوتات متناثرة، بيوتات متطاولة، كأنها أعجاز نخيل لا روح فيها، كدت أقفل راجعاً، داعبني ظن أنني أخطأت الاتجاه، كون الأرض ليست تلك الأرض التي صلت وجلت في تشعباتها، بيد أن نهيق حمار أيقظني من سبات طويل، وقفت أستطلع غرابة الأشياء، من بعيد لمحت عجوزا تلتمس دربها بعكاز، حثثت سيري ووقفت قربها:
ـ أين أنا خبريني يا عجوز..
ـ أنت في ديار أبي (التوأمين)..

تهاويت أرضاً، لم تكد تنهي كلامها، صحت بها:

ـ مليحة..

ـ صوتك صوت عبيدال..

ـ أنا هو..أنا هو..

تعانقنا ودخلنا بيتا لم يكن بيتنا القديم..

ـ ما هذي الأحمال يا أخ..

ـ هي مراد راودني وتفسير حلمي القديم..

ـ لم يعد ينفع بعد الذي جرى..

ـ نجربه على أقل تقدير، ربما يتحسن المصير..

***

ألبسنا كل(تيس)سروالاً، كي نستر عوراتها، بعدما راحت الغيوم تستحي من أهل الأرض، كفكفت دموعها، وحدث البلاء العظيم، تقاطر القوم من حولنا..صاح رجل:

ـ ألم تكتف بالحمير يا أبا التوأمين..

قال آخر:

ـ دعوه يعاشر التيوس هذه المرة..

كنت أطحن غضبي، وأنا أسمع ما كنت أسمعه من كلام غير لائق قديم لا يترك الألسنة..

قالت امرأة:

ـ يا قوم ألم أقل لكم(عبيدال)اختفى من أجل غاية..

أجابت امرأة:

ـ (إنزول)جاءنا بلبسان للصخول.. صحت بهم:

ـ ويحكم استروا عورات حلالكم تدر ضروعها باللبن، تلك هي تفسير رؤياي للقحط الساري يا قوم..قهقهت الناس ومضت..!!

***

كان اليوم مغبراً، توقعت أمراً جللاً، ما هي إلاّ ساعة أو تزيد حتى حامت طائرات مثل الغربان حول المكان، مركبات عساكر تجرجر أثقالها، أحاطوا بنا، قيدوا معصمي والقوني في سجن(النقرة).!!

***

استقبلني أوّل نزيل:

ـ ما هي جريرتك يا شيخ..

ـ كنت بحاجة إلى ألبسة تستر عورات(صخولي)بعدما شاعت الفتنة وانقلبت أحوال العباد، رأيت في المنام أن فروجها تجلب النكد في زمن بات البشر يلقي ما يستره، كنت قصير الحول، وجدت أقمشة كثيرة تتلاعب بها الرياح على الجدران، قلت لابد أن أخيارا من الناس وضعوها نذورا للفقراء والمحتاجين..!!

ـ جريرتك جريرتي، بكى طفلي من أجل ثوب جديد ليستقبل به العيد، وجدت قماشة على جدار، أخذتها وصنعت منها ثوباً له، وشوا بي الوشاة والقوني في غياهب هذا الجحيم..

ـ أين هي جريرتنا يا أخ..!!

ـ لقد قمنا بتمزيق(لافتات)عليها وصايا(الحاكم)..يا رجل..!!



الليالي وعدم كتابة الحكايات

قصة: دانا فائق
ترجمة: كاوه حسن محمد

مع قراءة اعلان اللجنة العليا للمهرجان، قرر بسرعة ان يشارك فيها، من دون ان يتحضر او تكون لديه مسودة قصة، وحتى لم تكن لديه اية فكرة في مخيلته.. (هنا بلاد الحكايات.. تلك الحكايات المريرة والعجيبة التي تواجهنا كل يوم بالعشرات وبالمئات ودون ايلائها اصغر ملاحظة او ادني تأمل، تمر متلاشية وتمضي نحو خانة النسيان والعدم.. يكفينا سرد حكاية امرأة مسنة كي يكون لتلك الحكايات من يسمعها..).

هذه هي بداية السطور الاولية بعد القرار، والذي كان يردده بين الحين والآخر في داخله، مما جعله يرسخ قراره اكثر.. تلك السطور الاولية التي وضعته في حرب بائسة ومشؤومة، في حرب كانت حتى للنصر خسارة!

يا له من قرار فجائي يا الهي..؟ كفجائية تلك الافكار الجمة المريرة التي كانت تأتيه مدرارا مع خطواته ويجبره على الكتابه بجناح السرعة، حتى وان ارغمته الافكار مئة مرة عنوة بان لايكتبها في أواخر الليل، فلم يكن ذا فائدة، لانه اذا ما فشل في آخر المطاف في سرد الحكاية، يستطيع بكل سهولة ان يغنيها وسط العتمة ويجعل منها هراء..!

الليلة الاولى..

في هذه الليلة المتأخرة تدلى (هو) برأسه على الاوراق البيضاء التي كانت امامه، متطلعا الى قلمه، لم يكن يعرف الى من يعود قرار اولى الكلمات والسطور، لنفسه ام قلمه؟! الامران سيان المهم انه اختار احدى افكاره في هذه الليلة المتأخرة في كتابة قصة.. والاهم من ذلك ان يستعد لمواجهة البداية، والذي يعتبره من المراحل الصعبة والمخيفة في كتابة القصة. كثيرا ماكان يردد في داخله (الهي.. كل البدايات هي هكذا صعبة ومخيفة.. صعبة مثل خلق الكون وبداية بعث اولى الانفاس لآدم، ومخيفة كالخطواط الاولى لطفل يتعلم المشي وتوجيه زناد بندقية خائن نحو الوطن..!)

كان متداليا برأسه على الاوراق البيضاء متطلعا الى سن قلمه باذلال، لايعرف من اين يبدأ بسرد الحكاية، حكاية ذلك السجين الذي لم يكن ترك جدران الزنزانة مبعث سروره وسعادته فحسب، بل يعتبره بداية كارثية وخيبة امل احلامه! حكاية مدينة بضحكاتها والقاء هتافاتها وهي تهاجم السجن وتقلع الابواب من جذوره في

رمشة عين.. من خلف الباب الحديدي، وبسلسلة اصفاده كان منهمكا في كتابة آخر جزء من روايته على حائط الزنزانة.. فمنذ مجيئه خلال الاسبوع الاول، بدأ بكتابة الرواية، وهاهو الآن منشغل بكتابة آخر السطور، والجموع المتحشدة يلقون الهتافات، ويهجمون على باب الغرفة ويقلعونه في لحظات من الجذور، هو لم يضع بعد نقطة نهاية الرواية، فيحتضنونه بسرعة ويحملونه على الاكتاف ويبعدونه باقل مدة من غرفته والجدران.

مازال خياله متشبثا على آخر سطور روايته ويحاول التملص منهم ويعود بسرعة نحو الجدران، كانوا اقوى منه بكثير فعجز من ان يحاول بجسده المرهق الراهن بالتمرد عليهم وان لايشارك بهجتهم..!

كان بمقدروه فقط ان يلتفت الى غرفته ويسكب بعض الدموع ويرفع رأسه مخاطبا نفسه: (الهي.. اوهبني القدرة فقط على حمل هذه الجدران معي.. او ان اعيش بدونها..!)

كان المحتشدون يهتفون.. ويحملونه على الاكتاف من زقاق لزقاق داخل المدينة، مفتخرين به على صموده وبطولته.. و (هو) لايزال عاجزا متدليا برأسه على الاوراق يتطلع الى قلمه باذلال، لايعرف من اين يبدأ بسرد هذه الحكاية!!..

الليلة الثانية..

كانت هذه الليلة كسابقتها ايضا، فتناثرت مجموعة من الاوراق البيضاء امامه، وكان ينوي كتابة حكاية اخرى (حكاية المرأة المتشحة بالسواد، نصعت ظفائرها رويدا رويدا بانتظار ان يطرق احد ما بابها، وكأعادة فلم مأساوي لنصف ثانية.. تتكرر هذه الصورة بشكل يومي (طق.. طق..طق.. يطرق شخص وبكل قوته الباب الخارجي ثلاث مرات. وكأنه تنبأ لحادثة مؤلمة تنوي بأسرع وقت واقل الخطوات ان تصل اليه، مع فتح الباب تحتضنه ويملآن جسد بعضهما البعض بالدموع! متلهفة لشخص يوهبها نصف سعادته وبالمقابل يتسلم منها نصف احزانها.. فخلال سنوات طويلة عدا انه سلب كل السعادة والسرور منها، كان قد اودع عندها جميع الآلام والاحزان.

لايدع التعب وانهماك الجسد ان تخطو بكل جوارح قلبها كي تصل امام باب الحوش، فسماع صوت صرير الباب كفيل بانهيار كل احلامها..)

مرة اخرى بدا التعب والقهر ظاهرا على ملامحها، فوجه تلك المرأة الموشومة والمنهمكة تتطابقان مع مظاهر غضب كرميان[١] المزقة مابعد الانفال..!

الانفال[٢].. حكاية هذا العمر المرير كم هو قصير وصغير على مستوى سردها.. هذه ليست حكاية واحدة وحسب، بل سهول فسيحة من حكايات المقتولين والمغدورين داخل حكاية كبيرة.. واذا ما اشرنا لكل حكاية من تلك الحكايات ربما تخلف من وراءها فيضانا من الدم.. فيضان اما ان يغسل وجداننا القذرة وينبهنا من اللامبالاة خلال سنين من الحكايات المنسية، واما ان يجرف معه المباني والقصور الفاخرة، والتي بنيناها منذ زمن طويل بالاكاذيب. (الهي.. حتى وان كان عمرنا كله ليالي، فلن تكن بمقدورنا كتابة هذه الحكاية، ولو وزعنا احزان هذه الحكاية على جميع الاوراق البيضاء في العالم، لتبقى الكثير منها بدون اوراق.. هذه الحكاية ذات الغطاء الاسود تأخذ كل عمرنا ولم ننبس بعد ببنت شفة..!) مع انشغاله في لف الاوراق البيضاء، هكذا كان يخاطب نفسه..

الليلة الثالثة..

قبل عدة سنوات سمعت حكاية هذه الليلة من رجل مجرب، والذي رأى بأم عينه جزءا من الاحداث، مع سرد اي حكاية من الحكايات تحتاج هذه العيون الى مسحها اكثر من مرة.

(هو) لايريد ان يدون الحكاية مثلما سمعها وحكاها الرجل المسن، بل يريد بناء قصة فنية ناجحة، قصة يفتخر بها في المستقبل وان تكون في محل امتنان، ليس على الاوراق البيضاء اتي امامه وحسب، بل تكتب على كل الاوراق البيضاء في جميع انحاء العالم!.. ولكن كتابة هذه الحكاية بحاجة الى قلب شجاع وصمود، قلب اقسى حتى من الحجر الذي يكبل بقدم شاب، محكوم عليه بالاعدام.. بلا ريب فان الجلاد لايفعل ذلك من تلقاء نفسه دون مقابل..! فقد همس بآذان والدة الفتى حول كمية الاجرة، مقابل تكبيل اقدامه بحجر كبير اثناء اعدام ابنها. حكى هذا الرجل العجوز والذي يعتبر احد شخصيات هذه الحكاية، على حين غرة يظهر طيف امام محله.. (استميحكم عذرا لم يكن بطيف.. بل اسأنا الفهم منذ اول مواجهة مع ذلك الجسد الخجول التي دفنت جميع البؤس واللآلام تحت عباءتها السوداء..) اخفاء كل ذلك البؤس والآلام تحت عباءة واحدة يحتاج الى اي حمود وحبر كبيرين.. يا الهي؟!

اثناء مسح دموعه كان يقول.. (لم يكن من حقي ان اعرف لماذا هي كانت تتسول، وماذا كانت تفعل بذلك المال، فبعد ان تأخذ النقود كانت تخفيها بسرعة تحت عباءتها السوداء؟!) ولكنها اخبرته بسرعة، انها ليست متسولة بل تعطي كل المال لجلاد ابنها.. (لانه يعطف علي وعلى ابني الوحيد، وقد وعد بمقابل هذا المال ان يضع حجرا كبيرا حول قدم ابني، كي يدفع الكرسي من تحت اقدمه اثناء الاعدام، وباسرع وقت واقل الآلام ان يلفظ انفاسه الاخيرة..!)

حكت المرأة كل هذا الحديث للرجل العجوز، اثناء بكائها تحت عباءتها السوداء بعد تستلمها بعض المال. خلال فترة وجيزة غابت عن الانظار، لم يكن احد يعلم هل هي رحلت ام انها تذوبت بدموعها تحت عباءتها واصحبت بخارا.. او انها كانت طيفا، ظهرت لفترة معينة امام محله وبعدها تلاشت!.. مع استعادة الذاكرة وسرد الاجزاء المتبقية من تلك الفترة، كان الرجل العجوز يجثو ولم يكن يستطيع ان يصمد امام دموعه وندمه وتأنيب ضميره كأنه مجرم.. جريمة اهداء بعض المال لجلاد، مقابل لفظ آخر انفاس شاب كان في ربيع عمره! كان يغمض عينيه ويرفع كلتا يديه نحو السماء متوسلا الى الله، كي يعفو عنه من هذه الخطئية الكبرى.. (خطيئة لو وزعتها على اهل الجنة، لارسلوهم جميعا نحو الجحيم!!..) كان الرجل العجوز يتحدث بهذا الشكل والدموع تذرف من عينيه. وكان (هو) مطأطأ برأسه على الاوراق التي كانت امامه وبكل هدوء يذرف عليها الدموع، تبللت الاوراق بشكل لم تكن بمقدروه كتابة كلمة واحدة عليها!..

الليلة الرابعة..

هذه الليلة هي الرابعة في كتابة الحكايات.. تلك الحكايات الملعونة التي لم يكتب فيها ولا كلمة واحدة، مما جعله يعاني من آلام مبرحة من الناحية الروحية والنفسية، فالأفلات منها كان اقرب للمحال.. على اي حال، وجب عليه وبأية وسيلة ان يكتب حكاية على هذا الاوراق البيضاء، التي لم تجف بعد جيدا بفعل دموعه في ليلة امس.

في البداية قرر ان يكتب حكاية تلك الفتاة التعيسة، عندما سكبت على نفسها صفيحا من النفط في حوش البيت، ومع اشتعال عود الكبريت لم يبق منها سوى صرخة وكومة فحم.

ولكنه لحسن حظه تذكر بان هذه من الحكايات العتيقة التي اكل عليها الزمن وشرب!. بعد برهة اراد ان يكتب عن خطوة من خطوات آلاف الشبان الذين قرروا بشكل نهائي ان يتركوا الوطن بكل آلامه ملتفتا لآخر مرة على الحدود وبحنجرة مليئة بالدموع مرددا. (وداعا يا وطن الموت.. من هذا اليوم انوي ان اعيش..!) على انه من هناك جاءت اخبار حتفه من دون جثة. وبسرعة تخلى عن هذه الفكرة ايضا مخاطبا نفسه: (الى متى

لاتكف عن مثل هذه الاقاويل البليدة والتقليدية؟!) لاحقا تذكر بعض الافكار من الماضي والذي حاول في عدة مرات كتابتها، ولكنه لم يفلح فيها.. ترى هل يكتب عن موت احد جيرانه، الذي كان يعزف الكمان، كان شابا يمر في بعض الاحيان من امام منزله، مرتديا زيا ابيض وحذاء ناصعا ومن دون ان يلقي التحية على احد او ان يرفع رأسه، متفوها ببعض الاشياء في داخله.. اشياء وكأنها لغة تخصه وحده ولايفهمها احد منا!. لم يكن يتحدث مع اي منا.. ويقولون حتى في البيت يتكلم قليلا، ولم يكن يختلط معنا.. وحتى في المنزل نادرا ماكان يخرج من غرفته، ويقولون انه يريد احتضان الكمان فقط والعزف عليه بعض الوقت، فلا يريداي شخص ولا حتى الطعام، يحكى انه لم يكن يتناول الا وجبات مخففة، لم يكن مهتما اصلا لانه كان يعزف باستمرار! وعندما تحطمت كمانه لم يكن يتحدث، ولا يأكل، مع اي شخص، كان منزويا داخل غرفته، مرتديا زيا ابيض مع حذاء ناصع، محتقنا كمانه المحطم بكل قوة، ويأتي الجميع راجين منه، ان يكف عن اضرابه، قائلين له سوف نبتاع لك آلة كمان جميلة وجديدة، لم يرد عليهم بل كان يحتضن كمانه بشكل اقوى، حاولوا معه الكثير كي يرضوه ولكنهم يئسوا في آخر المطاف، بالمقابل كان هو مصرا على قراره وراضيا من احتجاجه، اضطروا ان يتخلوا عنه وترك غرفته، كل ماكان يتمناه هو ان يلفظ انفاسه الاخيرة على كمانه المحطم داخل غرفته! حتى بعد موته حاولوا ان يقتلعوا الكمان المحطم من احضانه وثم دفنه، وكأنهم يحاولون ان يستأصلوا جزءا من جذور جسده.. الا انه كان يأبه اكثر من السابق بترك الكمان. اضطروا ان يدفنوه مع ملابسه البيضاء وكمانه المحطم، وكانوا يرغبون ان يكتبوا على ضريحه (الهي.. كم يختلف عبادك احدهم عن الآخر.. فقلب بعضهم اكثر صلابة من رصاص البندقية.. والبعض الآخر منهم يتشظى الى اجزاء كلما سمعوا استياء نوطة..!)

ولكنهم الى هذه اللحظة لم يكتسبوا شيئا على القبر!

مع انه لم يكتب كلمة واحدة من القصة، بدات الدنيا تكتمل في الاشراق!! هذا لايعني بأن الليالي الآتية احسن حالا من الليالي السابقة، لان تلك الليالي كشطت ملامحه ولونه، وتبعده اكثر عن شكل الانسان، والاجدر ان نكف عن هذه التغيرات المرعبة، التي حدثت خلال هذه الليالي للامحه والتي كانت تذهب به باستمرار نحو الضعف والوهن الجسدي، كوهن امرأة عجوز حدباء تنوي العودة الى الايام الضائعة لشبابها!..

الم يكن من الاجدر له ان يتلافى من تلك الاوراق الممزقة القذرة، المعلقة دوما على جدران المدينة، التي شوهت وجه الجدران؟!

الم يكن من الافضل له ان لايمر بمحاذاة الجدران الخشنة، التي كانت مليئة بالاعلانات المنبوذة؟!

ماذا كان يحصل ولو لبضعة لحظات ان يسترد الله عينيه المتفرستين ويبعده عن مصائب الحكايات الباهتة، ليترجحها اليه بعد حين كأمين مستقيم، او لا يسترجعها؟! مثلما كان يقول: (يا الهي الرحيم.. قبل ان اقرأ الاعلان، لماذا لم يكن في خلدك ان تهطل غضب امطارك على هذه المدينة وان تمزق جميع اعلانات الجدران وتنقعها بوحل اقدام المارة المسرعة؟! كان من السهل ان تجرف مع غضب امطارك كل القصور الفارهة.. المهم ان تنقذني من هذا العمل التافه، ولا اعرف هل امتهنتها انا على نفسي، ام انه كان قدرك! مشقة الكتاب لحكاية الف ليلة وليلة..).

ماذا الف ليلة وليلة؟! هو ليس بمقدوره كتابة حكاية ليلة واحدة.. فكيف الحال مع الف ليلة وليلة.. الوهم لايدعه الا يكون احد الابطال في هذا المجال، وان لايكون آهلا لكذا عمل، ذلك الوهم الذي حثه على قراءة قصته في المهرجان من دون ان يكون اسمه ضمن قائمة اسماء المهرجان، ودون اي استئذان من اللجنة، يبدا بقراءة قصته.. ولكن اي قصة هذه؟!

فعدا بعض الاوراق البيضاء، لم يكن معه شيء.. تلك الاوراق التي تدلى عليها خلال عدة ايام بلياليها ونهارها متأملا ومنتظرا كتابة كلمة واحدة لاغير، في كثير من الليالي كان ينتحب عليها وحتى طلوع الشمس، الضيوف داخل القاعة جميعهم كانوا مندهشين، بعضهم يفركون باعينهم غير مصدقين آذانهم واعينهم، وبعضهم الآخر فارغو الافواه، منتظرين نهاية هذا الفلم الكوميدي، المليء بالقصص العجيبة والغريبة، المشابهة لحكاياته في الليالي الاولى، ولكن من تغير واضح من قبل ادوار الشخصيات! كان يسرد قصة المرأة العجوز ذات الشهر الناصع محتضنة الكمان المحطم، لاتتفوه ولا تأكل كان يحكي قصة فتاة، من غرفة الزنزانة كانت منهمكة بسلسلة اصفادها في كتابة آخر سطور الرواية على حائط الزنزانة، مع هتافات جماهير المدينة التي تبدأ بتحطيم الغرفة وجدرانها..

بتصرفاته العجيبة تفجر جميع ضيوف القاعة بالضحك، وفي بعض الاحايين وبشكل مفاجيء وبكل قوة يهوي بقبضته على الطاولة التي كانت امامه مفزعا الجميع، وفي عدة مرات يلف احدى اوراقه البيضاء ويرميها في وجوه الضيوف بكل وقاحة. بعد ذلك سرد عليهم قصة شاب، طيلة سنوات وهو يدخن السجارة تلو الاخرى، في انتظار ان يطرق احد ما بابه،، ومن خلال مرآته المهشمة يعد شعيراته البيضاء باطراف اصابعه، مع قراءته لهذه الحكاية، وكأنه يعيش في غير عصره، ركض بسرعة نحو خارج القاعة ناحبا، ورمى اوراق يديه مستصرخا (هذا اشبه واقرب الى سرد حكايات الانفال.. منذ سنوات وتلك الحكايات التعيسة مرمية تحت اقدامنا ونسير عليها، ومن دون ان نفكر حتى في التقاطها..!).

لم يخمد بكاؤه وصراخه كليا داخل القاعة، مع ان صداه كانت تتردد، امسى هو نفسه واحدى الحكايات المنسية، فتلاشى وسط العتمة.. غادر الجميع القاعة متأبطين الواحد بذراع الآخر ضاحكين على اداء سرده العجيب والبهيج..!

فهرست

١-كرميان او گەرميان: اسم المكان الذي نفذت فيه عمليات الانفال. المترجم.

٢-الانفال: عمليات تهجير جماعية ومجازر نفذها نظام صدام حسين البائد في القرى الكردية، راح ضحيتها ١٨٢ الف انسان بريء. المترجم.

المصدر: كوردستان نوێ- الادب والفن العدد ٤٦٧ – ٢٠٠٥/١٢/٢٣
حازت هذه القصة الجائزة الاولى في مهرجان (گەلاوێژ) الادبي التاسع ٢٠٠٥



الذي يدعى ابجد

قصة: بكر درويش- طوزخورماتو

حيثما تمد ببصرك لن تجد غير الاف الاميال من الصحراء و امواج مطلامة من الرمال تتحرك يمينا ويسارا، وسط هذه الصحراء الشاملة ياتيني نداؤه، انني مازلت انتظره عند الحافات الجنوبية لمدينة السماوة، حيث هناك حفرت مخبئي وجلست لادخن انتظارى في غلوين رأسي كنت عبر الصحراء ارى كل شيء، قوافل من الجمال محملة بالجماجم والعناكب تنسج خيوطها لتحجبها عن الشمس، وكلاب سوداء وحراسا مهرة وبعض النساء مطرزات القامات بباقات من النرجس، من مخبئي ناديته.. ايها الماضي من تاريخي في جوعك وعطشك جوعي وعطشي، سوف ابعث باشعاري الى مملكة الامك ليرتوي عطشك وتشبع جوعك، حينما قلت ذلك تراى ليَ صورته جالسة قرفصاء وسط الاف الجماجم المتالمة من قيظ الصحراء، كمحاولة للتاكد من هذه الحقيقة القيت بشبكة انتظاري بين نهاية الصحراء ومكان تواجدي فتعلقت بها عشرات الجماجم تريد العودة الى اوطانها وكان تطاردهم الكلاب السوداء تلتهمونهم بشراسة وهم يصرخون (انقذونا.. انقذونا؟) في تلك الساعة كانت تفوح من الصحراء رائحة الوحل، ومن الجماجم رائحة النرجس، كنت معتادة ان اتمشى كل الصباح قليلا عند تلك الحافات الجنوبية والقى بنظرة على تموجات الصحراء واعزف قليلا على «الناي» الا انني في ذلك الصباح نسيت آلتي، فضحك مني احد الحراس، انه رجل مشوه يتساوى مع ظله عند استقامة الضوء على المنبر، وعندما سمعت ضحكته اصابني شيء من الخوف، فجعلني اعتقد ان العلاقة بين الصحراء وذرات الرمل كعلاقتي بقريني، ثم تذكرته كيف انه في احدى المرات تحدث معي قبل اخذه الى الصحراء وتفوه ببعض الجمل المفرغة ثم اخفى نفسه داخل بقية العبارة، فقساه الاهالي لانهم شبهه بالاعمى، والاعمى حسب تعرفهم هو كل من فقد احد حروف اسم واخفى نفسه داخل بقية الجملة لان داخل كل قوم الاف العميان او في طريقهم الى العمى برغم من هذه الحقيقة ظل هو جالسا في جلوسه بصحبة جماجمه , فعرفت جملة اشياء اساسية اخرى مليئة بالخواء وهذا ما جعله يضيع اسمه ثم يبحث عنه بين عشرات الجماجم ورمال الصحراء بحثا شاقا، هذا الاسم الذي لن يجده الا عند اطراف مدينتي والتي تئين حاليا تحت اقدام حراس همهم هو المغامرة، تلك المغامرة التي لا طائل من ورائه سوى امنية هشة او هكذا يتوهمون كلما سمح لهم ظروف حياتهم اليومية للانزواء خلف همسات دفاترهم و سجلاتهم العقيمة واضابيرهم العانسة وكانت هناك جملة اشياء اخرى في الطرف الثاني من الصحراء بنفس القوة شبيهة ببيض تلك الدجاجة الملعونة التي لاتبيض في السنة الا بيضة واحدة والتي سوف ينبث من قشرتها اسمه، لان لاسمه رائحة النرجس وسط الصحراء الجرداء، صرخوا :

وجدنا اسمك.. وجدنا اسمك؟

-انه يضحك منهم.. تقصدونني انا؟

-نعم وجدنا اسمك!

-ماهو اسمي؟ اعطوني اياه!

-اسمك ا، ب، ج، د..؟

-اسمي ابجد؟

-نعم اسمك ابجد؟

استنفزني هذا الاسم فسالت احدا اعتقد انه كان هو حيث يشبهني، ولو كنت قصدت بسؤالي نفسي، الا انني لم اميز السؤال بوضوح، بينما كان الجواب عبارة عن شيء يشبه صرير الباب في الصحراء سمعته يتعلق بحركة مجردة بين اندفاعه بقوة نحو الداخل وحركة مضادة الى الخارج، كنت هناك انظر الى هاتين القوتين، وكان يبدو ان مجامع من الكلاب تدفع بأنيابها الباب نحوالداخل ومجامع من الجماجم تدفعه نحو الخارج، في تلك الساعة الهجينة من عمري كل ما عرفته هو انني كنت جزءا سرمديا من تلك الاندفاعات حيث ارشدنى احدى حركات الباب التي تعلق بجوزة مجزأة الى الاف الاصابيع وكدفعة قوية منه اشارة الى الوية الرمال المندفعة عبر السلم الخارجي للبناية وكانت تندفع باعجوبة لا توصف ثم تنصاب بجانبي السلم وتتراكم في اسفل الممر، ولكن شيئا من هذا لم يحصل لان باحة عيني امتلأت بدخان سكاير الحراس، فعندمات تراجع جموع المدافعين بعض الشيء بدا هو نداءاته اليائسة للطرفين بالتوقف الا انه سرعان ما تحول الى كتل متحجرة من الاقاويل والتعليمات التي لا مبرر لها، كنت اعرف الذين يحثون هذه الزوبعة على استفزاز صحرائي، انهم سيجدون انفسهم في اختناقات الزمان وسوف يشتهون اصابعهم المقلمة و دفاترهم القديمة وانه سوف يفعل بهم مايشاء وهم مازالو يدفعون الابواب بافواههم الحالمة، مازلت انتظره عند اطراف مدينتي وصحرائي ممتدة امامي، ترى هل اذهب؟ لكن اين الدرب الذى اتيت منه لاعود حيث هناك جماجم تنام في صمت طالما حلمت به قرونا و دقائق من عمري، وها انني وسط دوامة صحرائي احس بان حصانا سرمديا يركض داخل رجلي، اصرخ من هذا الذي يحطمني بكعب حذائه، اظنه انسانا؟ هل انني هنا ام هناك؟ قبل ان احصل على الجواب، قلت له: ارفع حذاءك لقد حطمت رأسي!

—كلا انها الساعة الخامسة والعشرون.

—اذن اقذفني لكلابك يا ابتاه لقد ارتكبوا الفضيحة.

—حذاءك.. يا..؟

ترى وسط هذه الصحراء من ارفع شئنا الحراس ام الجماجم؟ ومن يسمع نداءاته هو حينما ينفجر الظلال و يتشظا النوايا ويبارز النداء بجحمها الخامل صورة صحرائنا الموحلة في الرمال و الجماجم، ناديته بلغة جرت لاول مرة على لساني فقال احد الهياكل: لقد افزعت جمجمتي! مازال عبر الصحراء (صحرائي) ياتيني نداؤه، وهذا نداء اخر والبحر ابعد ما يكون لان للصحراء طارق ونجم ثاقب وما ادرانا ما النجم الثاقب، انه يناديني عبر الصحراء لانه يريد ان يعرف مصير الجماجم، ولكن كيف له ان يعرف ذلك وفتحة نافورة قرب عينيه وجماجمه تنصاع قرب جمجمته مستقرا في لانهايات نوافذه، انه يشوى اسمه على رخام قدميه دون ان يفكر بالزجاج ولزوجة دمه على غرار كابوس نداءاته ولدغاته، من اين ياتي نداؤك وهذا الصحراء ابعد ما يكون، فايها المنتظر الفارغ يا (طودو) ايها الماضي الغريب يا من تدعى ابجد انني اسمع نداءك..

التشكيل المسرحي المونودرامي

قراءة في مسرحيتين لمحيي الدين زەنگەنە

غنام محمد خضر
جامعة الموصل- كلية التربية/ قسم اللغة العربية

المونودراما مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية (Mono)، وتعني الواحد، والمونودراما من المصطلحات الحديثة التي اختلف الباحثون والمنظرون، والمعجمات المسرحية في تحديدها على الرغم من اتفاقهم على نحو عام، على عدد النقاط الرئيسة التي تشكل أساس هذا المصطلح.

أما « المسرحيون والنقاد في اقطار المغرب العربي فقد اقترحوا وروجوا لما اسموه بـ (المسرح الفردي) والفردية هنا تقترب بطبيعة الإنتاج المسرحي وارتباطه بمبدعه (الفرد) الذي يقود مجمل أو معظم عناصر الإنتاج المسرحي إن لم تكن جميعها قاطبة[١]».

اطلق إبراهيم حماده تسمية (دراما الممثل الواحد) على المونودراما، وعرفها بأنها « المسرحية المتكاملة العناصر والتي تتطلب ممثلا واحدا – أو ممثلة - لكي يؤديها كلها فوق الخشبة[٢]». أما سمير الجلبي فقد أطلق عليها اسم المسرحية ذات الشخصية الواحدة وقال هي « المسرحية المتكاملة العناصر الي يؤديها ممثل واحد او ممثلة واحدة ويقدم فيها دورا واحدا او يتقمص أدواراً مختلفة[٣]».

مما تقدم نلحظ، أن الاختلاف يكمن في التسمية فحسب لكن مضمون التعاريف واحد سواء أكان دراما الممثل الواحد، أم الشخصية الواحدة، أم المسرح الفردي، فجمعيها يحمل فكرة واحدة ومحددة للمونودراما هي «المسرحية التي تطرح صوتا دراميا واحدا وتعتمد في بنائها شخصية درامية وحيدة أو مستوحدة تعاني أزمة او عزلة او اغترابا نفسيا او اجتماعيا يفرز صراعا داخليا، وتنفرد تلك الشخصية بالجمهور وبمساحة الفعل الدرامي بشكل (طاغ) لتبوح او تسرد تجربتها الدرامية على وفق المنظور الاوتوقراطي الذي يعكس أحادية الصوت المونودرامي، وقد تتضمن المسرحية وجود أو دخول شخص او شخوص ثانوية تؤدي دوراً او وظيفة هامشية – تكميلية[٤]».

وعلى الرغم من وضوح هذا التعريف، الا انه يبقى قاصرا عن تبيان عدد من الأمور من - وجهة نظر الباحث – إذ لم يحدد لنا التعريف حال

الشخصية الثانوية، هل لها حق الكلام أمام الجمهور، أم تبقى خلف الكواليس ويسمع صوتها فحسب.

أمـا نهاد صليحة فقد عرفـت المونودراما تعريفا أكثر وضوحا ودقة، وهو أن المونودراما هي « مسرحية يقـوم بتمثيلهـا ممثل واحد يكـون الوحيد الذي له حق الكلام على خشـبة المسـرح فقد يستعين النص المونودرامي في بعض الأحيان بعدد من الممثلين، ولكن عليهم ان يظلوا صامتين طول العرض»(٥)، وبناء على هذا التعريف سنقوم بتحليل مسرحيات محيي الدين زنكنه المونودرامية ودراستها.

اما ظهور المونودراما ونشأتها، فعلى الرغم من أنها لم تظهر بشكلها المكتمل إلا في العصر الحديث، « إلا أن بذورها وجدت منذ الدراما الأولى، ونلمحها في المشاهد التي كان البطل فيها في المسرحيات اليونانية القديمة ينفـرد بالحديث مدة طويلة بينما ينصت الجميع له في صمت حتى ينتهي»(٦).

فالكاتب اليوناني احتفظ بالحديث الفردي في إطار جماعي فكان الكورس يسـتمع ثم يجيب ويعلق، مهما طالـت المقاطع المنفردة التي يقوم بها البطل، فانفراد هذا البطل – ليتكلم كلاما طويلا – كان البداية الأولى لظهور الممثل الأول، وقد تم ذلك على يد (پيسـبس) الذي تنسب إليه الريادة في ظهور التراجيديا.

وفي ضوء ما تقدم، يمكننا القول ان « الفن المسرحي قد بدأ في مرحلته التاسيسـية بما يشبه (المونودراما) التي مرت بمراحل واشكال متعددة حتى وصلت الى ما استقرت عليه من شكل في العصر الحديث(٧).

أمـا المونودرامـا بمفهومها الحديـث، فلم تظهر الا ابان الحركة الرومانسـية التـي اجتاحت أوربا في أواخر القرن الثامن عشـر، فكمـا هو معروف، جاءت الثـورة الرومانسـية كي تكسـر القيـود وتثور على التقاليـد والأنظمة، وتقدس فردية الإنسـان، فبعثت المونودرامـا معها، وبما ان المونودراما تقوم على ممثل واحد، فقد ارتبطت بالفكر الرومانسي الذي يدعو الى الفرديـة، من هنا كان ظهور مسـرحية مونودرامية بعنـوان (بجماليـون) في عام ١٧٦٠ كتبها الفيلسـوف الفرنسـي – صاحب الحركة الرومانسية - جان جاك رسو، فهذه المسرحية تعد البداية الحقيقة للمونودراما، امـا إذا أردنا أن نحدد التاريـخ الحقيقي للمونودراما ومتى اعتلت خشـبة المسـرح الاوربي « فهناك اتفاق علـى ان الشـكل بصورته المعروفـة الآن لم يظهر الا في السـنوات الاخـيرة من القرن الثامن عشـر ما بين ١٧٧٥ – ١٧٨٠ على يد ممثل الماني يعرف باسم براندز، وفيما عدا ذلك فإن هذا الشـكل لم يسـتطع ان يحط لنفسه تاريخا محدد المعالم واضح الأبعاد «(٨).

أمـا الخصائص الفنية للمونودرامـا، فهي تختلف عن الخصائص الفنية للمسرحية التقليدية (المتعددة الشـخصيات)، إذ « تعد المونودراما مسرحية شخصية أكثر منها مسـرحية حبكة، فضلا عن أن الشـخصية في المونودرامـا هـي التي تقود الحـدث، فهي العنصر السيادي الذي يتحكم في الأحداث(٩).

فعلـى هـذا يكـون التركيـز في المونودراما على الشخصية أكثر من التركيز على الحدث، لأن المسرحية المونودرامية يشغلها ممثل واحد غالبا ما يكون وحيدا على خشـبة المسـرح، وبما أنه – كما قلنا سابقا – لا يجوز الكلام في المسـرحية المونودرامية الا لشـخصية واحدة، فقد ادى ذلك الى غياب في الحوار، وهذا الغياب في الحوار التقليدي الذي ظل وسـيلة الكاتب المسرحي في تقديم الأحداث والشخصيات، قد يؤدي «الى انزلاق المؤلف الى السـرد الممل وحينما يحدث هذا فإن النص يصبـح عبئا ثقيـلا على الممثـل الواحـد او الممثلة الواحدة، ناهيك عن كونه عبئا أقل على المتفرج الذي لا يجد ما يشده الى العرض فيرفضة(١٠).

ويعد السـرد احـدى الخصائص الفنية الرئيسـة للنص المونودرامي، وعنصرا مهما من عناصره يعتمد النص المونودرامي على « السرد المباشر بضمير المتكلم لا بضمـير الغائب كما في معظـم النتاجات القصصية والروائية وهذا ما يمنحه زخما دراميا(١١).

وهناك مجموعة من الوسـائل الفنيـة التي ابتكرها

المؤلفون المونودراميون لجعل السرد ذا زخم درامي منها:

١.وسائل سمعية (الموسيقى، المؤثرات الصوتية الخارجية كالرعد والبرق والمطر، المؤثرات الصوتية، الأصوات الخارجية).

٢.وسائل تقنية مسرحية (اقنعة، ملابس، دمى).

٣.الأكسسوار والسينوغرافيا (صور، ساعات، وسائل).

٤.الهاتف بوصفه حضورا (تمثيليا لـ الآخر) المغيب ....[١٢].

ومن خلال هذه الوسائل يكون السرد موجها على نحو مباشر الى الجمهور، بل يكون موجها الى شخص آخر منحه الهاتف، أو تلك الأصوات الحضور على خشبة المسرح.

كما تتميز أيضا المسرحية المونودرامية بالكثافة الشعورية التي تكون نابعة من « تركيز الحدث الدرامي في شخصية واحدة تلح على وجدان المتفرج طول العرض. وربما كانت هذه الكثافة الشعورية أحد عوامل الجذب الرئيسة فيها. فهي بالنسبة للمسرحية العادية كالقصة القصيرة بالنسبة للرواية في عالم الأدب الروائي من ناحية التركيز الشعوري[١٣].

أما الصراع في المسرحية المونودرامية فهو في أغلبه صراع نفسي داخلي، لأن الشخصية في المونودراما تكون منفردة ويغيب الند الاخر بوصفه احد طرفي الصراع « وهذا الغياب هو ظاهري وغير حقيقي سرعان ما يبطل حين نتأمل صراعات الشخصية المونودرامية مع الشخصيات المفترضة والمستحضرة»[١٤]، إذ ان هذه الشخصيات المفترضة أو المستحضرة تأخذ موقعا دراميا كاملا وتكون معبرة عن وجهة نظرها بطريقة او باخرى، وبهذا يتحقق الصراع في المونودراما، لكن هذا الصراع يبقى صراعا بطيء الحركة.

وإذا ما انتقلنا الى ما يخص مكان المسرحية المونودرامية وزمانها، وجدنا المكان فيها محددا، لأن المسرحية المونودرامية ذات فصل واحد مكثف، وهذه الكثافة تتطلب مكانا محددا. وغالبا ما يعبر المكان عن عزلة الشخصية عن العالم الخارجي فيكون المكان: سجنا، غرفة نوم، قبوا[١٥].

والزمن في المونودراما هو «زمن نفسي لا يتقيد بلحظة تاريخية معينة»[١٦]، والزمن النفسي ليس له « مقاييس محددة، فهو بعيد عن الضبط لا يخضع للتوقيعات المتداولة، ولكن الناقد او الدارس قادر على معرفة سرعته وبطئه بوساطة اللغة التي تعبر عن الحياة الداخلية للشخصية»[١٧]. فالزمن يتحدد على وفق طبيعة الشخصية فإذا كانت الشخصية سعيدة فالزمن يمر بسرعة، أما إذا كانت الشخصية حزينة فالزمن يصير بطئا، ولا نجد مثالا أبلغ من مثال (فرجينا وولف) في تجسديها لمفهوم الزمن النفسي إذ تقول:

«إن ساعة زمنية تدخل في نطاق ذلك العنصر الغريب من النفس البشرية قد تمتد لتصبح خمسين او مئة ساعة بالحساب الآلي، ورب ساعة تمثل تمثيلا دقيقا بثانية في العقل البشري. ان هذا التباين الغريب بين الساعة بالقياس الآلي وبين الساعة الذهنية معروف أقل مما يجب ويستحق ان ينال بحثا واستقصاء اوفى»[١٨].

ومن الخصائص الفنية البارزة الأخرى في المونودراما، المونولوج، إذ تتوجه الشخصية الى الجمهور، وتبدأ بمونولوجات طويلة تكشف من خلالها عن أغوار الشخصية وأزمتها، مواقف مسرحية متعددة.

وعلى نحو عام تتميز المونودراما بلونين رئيسين «اللون الأول هو ذلك الذي تتوالى فيه الأحداث على حسب سياق زمني معين تحدده الشخصية المعنية بالطبع، واللون الثاني يقدم رحلة في أعماق النفس البشرية دون العناية بعنصر الحدوثة»[١٩].

وبعد إستعراضنا لهذه الخصائص التي تتميز بها المونودراما عن المسرحية التقليدية، نستطيع ان نعد المونودراما من المسرحيات التجريبية، لأنها لم تسر على نهج ارسطو، فلم تعتمد على الوحدات الثلاث، ولم تلتزم بتعدد الشخصيات، إذ اكتفت بشخصية واحدة.

***

أما مسرحيات الكاتب (محيي الدين زنكنه)،

فستقتصر دراستنا في هذا المبحث على مسرحيتين مونودراميتن، الأولى وهي (مساء السلامة أيها الزنوج البيض)*، والثانية هي (تكلم يا حجر)*.

فاذا نظرنا الى الشخصيات، رأيناها ضعيفة لا تستطيع تغيير شيء من الواقع الذي تعيشه، وبهذا تكون مطابقة للشخصية المونودرامية التي تتميز «بضعفها إنسانيا فهي غالبا محبطة، يائسة، عاجزة»[٢٠].

ففي مسرحية (مساء السلامة ايها الزنوج البيض) نلحظ أن بطل المسرحية والشخصية الرئيسة فيها هو (سوران)، شاب مستلب يعمل موظفا مسحوقا في دائرة حسابات، ويسكن في سرداب عمارة صغيرة، وهذا الشاب يحلم أن تصبح المدينة التي يعيش، أو يريد العيش فيها، مدينة جميلة خالية من الفوضى وسفك الدماء لكن هناك مجموعة من الأشياء تعترض طريقه ولا تدعه يحقق حلمه بالوصول الى تلك المدينة، وهذه الأشياء تجعل منه إنسانا يائسا يعاني ظلما يعيش حوله، فنراه يقول في بداية المسرحية:

«آه ما أشد قسوة الأشياء حولي»[٢١].

وهذه (الآه) لم يقلها سوران اعتباطا بل جاءت تفجر مشاعر حقيقة، «اساسها إحساس الشخصية بالاغتراب، والضيق والاختناق»[٢٢] من الأشياء التي تحيط به، فـ (الآه) لم تكن معبرة عن شيء بسيط في شخصية (سوران)، «بل هي صرخة من يحاول الوصول الى حلمه ولكنه يصطدم بجدار هائل من الأشياء القاسية والمحبطة»[٢٣].

وهذه الأشياء هي التي تشكل الطرف الثاني للصراع مع (سوران)، وتعيقه عن إكمال لحن مقطوعته التي هي رمز للوصول الى المدينة، فهو يحب الموسيقى ويعشقها ويريد أن يحقق من خلالها أحلامه وطموحاته، لكن ثمة مشاكل تعترض طريقه، فهو من وسط محافظ يعدّ الموسيقى عارا ومنقصة وإساءة لسمعتهم، فكان والده ينهاه عن الموسيقى ويستهزئ من حبه للموسيقى حتى صار ذلك أمرا اثر في شخصية (سوران) وجعله ضعيفا، فقد اصيب برد فعل وتناقض بين الواقع الذي يعيشه، والحلم الذي يريد الوصول إليه.

«ابتدأ من ابي الذي كان يشبعني صباح مساء استهزاء وتهكما من حبي الطفولي المفرط للموسيقى والغناء ويضطهدني...»[٢٤].

تلك هي قسوة المجتمع على (سوران)، ابتداء من ابيه، ثم زوجته، فلهذا نراه فيما بعد يقارن حاله مع حال الزنوج، فهو مضطهد مثلهم. على الرغم من أنه ليس زنجيا، وبهذا يكون موضوع المسرحية (مساء السلامة أيها الزنوج البيض) موضوعا معبرا. إذ ان هناك زنوجا بيضاً يضطهدون وتسلب حقوقهم.

اما الشخصية في (تكلم يا حجر) فهي مختلفة تماما عن شخصية (سوران)، فالبطل في (تكلم يا حجر) هو الرقيب (موشي) الذي اوكل إليه مهمة التحقيق مع (الشاب الفلسطيني)، فانذاك اصبح للرقيب هدف وحلم يريد تحقيقه والوصول إليه. لكنه يختلف عن حلم (سوران)، لأن (الرقيب)، يريد ان ينتزع الاعتراف من الشاب كي يحصل على رتبة عليا في الجيش، فمصلحته شخصية تختلف عن مصلحة (سوران)، إذ ان هدف (سوران) الوصول الى المدينة الجميلة التي يعيش فيها مع مجموعة كبيرة من البشر، فهذا الحلم إذن ليس مصلحة شخصية، لكن شخصية (الرقيب) في الأساس هي شخصية منهزمة ضعيفة، الا انها في بداية المسرحية تبدو وكأنها قوية، او تتصنع القوة لكنها لم تستطع المقاومة في التصنع فنراها ضعيفة خانعة، إذ يبدأ بالتوسل امام الشاب:

«... ساعدني.. أرجوك.. ساعدني.. ارجوك.. ساعدني. لا بد أن تكون ارحم منهم.. انقذني من هذا العذاب الذي احترق في اتونه خلصني من هذا السجن الذي القوني فيه..»[٢٥].

نلمح من خلال هذا المقطع ضعف (الرقيب) وبأسه فمصيره معلق بمصير (الشاب الفلسطيني)، فهو وصل الى مرحلة عالية من التوتر والقلق.

ومن اوجه الاختلاف بين شخصيتي (سوران)

و (الرقيب)، أن (سوران) شاب مثقف فنان لا يؤمن بالنظرة العرقية والعنصرية وينظر الى الناس جميعا نظرة واحدة، ويحس بمعاناتهم، ويشعر بهم ويشاركهم في أحزانهم وهمومهم فنراه يقول:

«... اية جهنم فوق الأرض تلك التي خلقها لكم عبيد المال يا اخوتي الزنوج، لكم أعشق شعركم الذي تبز مكانته عتمه جلودكم المحترقة في سعير الاضطهاد والاستغلال لنر ماذا بوسعى ان افعل من اجل اشلائكم الممزقة التي أحسها اجزاء من كبدي تتمزق وتتفتت..»[٢٦]. من خلال هذا المقطع نلحظ كيف ان (سوران) يحس بمعاناة الزنوج السود، ويشاركهم في شعورهم بالاضطهاد فهو يريد ان يقول اني مثلكم مضطهد لان الإنسان المضطهد، يحس بجميع الناس المضطهدين. فهو يعكس نظرة الطبقة المثقفة الى الحياة.

اما شخصية (الرقيب) فهي شخصية (سوران) فـ(الرقيب) غير مثقف، معني بالامور العسكرية، كما يعكس نظرة الطبقة التي ينتمي اليها على الرغم من انه يدعي الحضارة.

«.. جلدك أسود بلون القير.. تنتحر فوقه سائر الألوان، مثل جلد العبيد الزنوج الذي كنت أشاهدهم في شيكاغو كل يوم.. والذين ابغضهم اكثر مما ابغض الشيطان نفسه.. ما إن تقع عيني على احد منهم حتى اكاد اتقيأ احشائي.. وتتحرك عندي غريزة القتل الكامنة في الإنسان.. ولكني رجل متحضر فأكبتها واهرب، متقززا من مرأى تلك الوجوه القردية المفلطحة والشفاه الدموية الغليظة...»[٢٧].

هذا هو تفكير (الرقيب) وكرهه للزنوج السود، لأنه ليس اسود مثلهم، فهذه النظرة العرقية المتخلفة هي السائدة في مجتمعات اليهود، تلك النظرة التي تدل على التخلف والعنصرية، فاذا كان (الرقيب) الذي يدعي الحضارة هكذا، فما حال الأشخاص غير المتحضرين عندهم، وما نظرتهم الى المجتمع ؟! فهنا تكمن أوجه الاختلاف بين (سوران) و (الرقيب).

أما السرد في المونودراما، فيكون في الغالب (خطابا ذاتيا مباشرا)، «لعل المونودراما من ابرز التمظهرات البنائية في توظيفها الأسلوب الذاتي المباشر معتمدة على الحوار الداخلي»[٢٨]. كما تعتمد على المناجاة الفردية للشخصية، عندما تكون على شكل سرد احداث طويلة نسبيا تقوم بها الشخصية متوجهة الى الجمهور. وقد تجلى الخطاب الذاتي المباشر في مسرحية (مساء السلامة أيها الزنوج البيض) على لسان (سوران):

« ... آه أحس الليلة بطاقة غريبة تملا عليّ جوانحي وتسري في عروقي.. إن التنفيس عنها يصطدم بالامر العسكري الذي وتده في روحي، صاحب العمارة.. في الساعة كذا.. الى الساعة كذا.. يحق لك أن تتنفس فقط وبخلافها.. انت ادرى بالنتيجة (بتصميم) سأخرق هذا الامر الخرافي ذات يوم.. واتنفس ملء خياشمي ومساحات جسمي وأطلق روحي من آسارها التي باتت تتمزق خلاله، وأنسج انغامي مناحة لأطفال العالم الصغار، أما الآن فموسيقاي لا تصلح مناحات للأطفال ...»[٢٩].

ففي هذا المقطع نلحظ كيف جاء خطاب (سوران) خطابا ذاتيا مباشرا، لكن هذا الخطاب اختلط فيه التداعي واستشراق المستقبل وآمان بعيدة افرزها لا وعي الشخصية، « إلى جانب ما شاب الخطاب الذاتي المباشر (الأسلوب غير المباشر الحر) الذي وضح من خلاله صوت صاحب العمارة»[٣٠].

أما في مسرحية (تكلم يا حجر)، فثمة سرد ذاتي مباشر على لسان (الرقيب) وهو يخاطب الشخصية الصامتة.

«... كل ذلك بسببك أيها الخنزير، هي هناك وحدها، وأنا هنا وحدي، في هذا القبو الخانق الذي يشبه القبر. اترك بيتي وأرابط هنا معك ويطلبون مني أن اتناول عشائي هنا، كما لو كنت حيوانا او مجرماً مثلك...»[٣١].

فالرقيب هنا يسترسل في خطاب ذاتي مباشر يكشف عما يجول في نفسه من أشياء من جراء الوضع الذي هو فيه.

وهنـاك مجموعـة مـن التقنيـات الثانوية التي أسـهمت في خرق أحادية الصوت في المونودراما، والتي اعطت للسـرد زخمـا دراميا مميـزا. ولعل أهم هذه التقنيات التي اسـتخدمها (محيـي الدين زنكنه) هي الشـخصية الصامتة، والصـوت الخارجـي، والهاتف. (فالشـخصية الصامتة)، تكونت في مسرحية (تكلم يا حجر)، بوساطة شخصية (الشـاب الفلسطيني) الذي يظل صامتا طوال المسـرحية. فعلى الرغم من ظهور هذه الشخصية على خشبة المسرح الى جوار الشخصية الرئيسـة (المونودرامـا)، تبقى صامتـة حتى نهاية المسـرحية، الأمر الـذي جعل (الرقيـب) يحاور تلك الشـخصية ويكشـف عن ما يدور داخل نفسه، كذلك مثلت هذه الشـخصية الطرف الثاني من الصراع الذي يدور في المسرحية.

«.. أما أنا فإن علاقتي مع الضمير انتهت منذ زمن طويـل.. منذ بدات انت ورفاقك تشـوونا بنار جهنم في الدنيا. وفـوق. أرضنا ومهبـط انبيائنا. في الحياة الجحيمة التي تخلقوها مـن حولنا (يتوقف) هما قد كشـفت لك عن جانب مهم من شخصيتي والآن بات الأمـر بيدك انت.. والاختيار متروك لك.. ان نبقى في ظـل الحوار الهادئ، او نتحول الى لظى الفعل الجهنمي ايهما تختار.. ها ؟ تكلم، يا هذا تكلم (يركله في بطنه بقـوة تصدر منـه آه) وأخيرا نطقـت؟ أنا الذي كنت احسبك حجرا»[٣٢].

نلحظ هنا كيف ان (الرقيب) يكشف عن جوانب من شخصيته من خلال هذا الحديث الذي يوجهه الى الشاب. فعلى الرغم من أن الشاب شخصية صامتة في المسرحية، يعـين على بلورة أحداث المسـرحية ويخلـق حالة من الصراع بينه وبين (الرقيب). و (الشـخصية الصامتة) هنـا بمثابة محفز جـاء بها الكاتب ليجعل الشـخصية المونودرامية تبوح بما في داخلها بوساطة هذا المحفز.

أما ثاني التقنيات المساعدة التي استخدمها (محيي الدين زنكنه) فهي تقنيـة (الصوت الخارجي)، الذي يقوم بكسـر احادية الصوت المنفرد في المونودراما، إلا ان هـذا الصوت لم يأت بصورة واحدة في مسـرحيات (ميحـي الدين زنكنـه) إذ جاء الصـوت الخارجي في مسـرحية (تكلم يا حجر) بوساطة شخصية تخاطب الشـخصية المونودرامية لكن هذه الشخصية لا تظهر على خشبة المسرح، وإنما يسمع صوتها فحسب:

«طرق على الباب.. يجفل، من ؟ من انت؟

-انـا سـيدي الرقيـب.. أنا الجنـدي المكلف بحراسة.. القلعة.. و ...

-ماذا تبغي؟ من ارسلك الي..

-سيدي الكولونيل

لنفسه سيدي الكولونيل؟ لا يمكن.. ما زال أمامي الكثير مـن الوقت (يحاول الآخـر ان يتكلم، يقاطعه باضطراب) اسـمع يا هذا لتسـكت انـت حين اتكلم؟ لتسمع حسب

-امرك سيدي الرقيب.. أمرك

-قل سـيدي الكولونيل.. إني لـم انته منه بعد»[٣٣]

نلحظ هنـا ان (الصـوت الخارجـي) كان محفزا للرقيـب، إذ خلـق عنده نوعا مـن الاضطراب، وهذا الصوت لم يسـتخدمه الكاتب مـرة واحدة، بل مرات عـدة، كي يعين على تنمية الحدث على وفق سلسـلة مـن الاحداث. لقد تكـرر هذا الصـوت ثانية عندما جاء جندي يسـأل (الرقيب) إذا كان يريد عشـاء. أما في المـرة الثالثة فقد صار للصوت دور فاعل في التاثير في (الرقيب) وفي سير احداث المسرحية:

«طـرق على الباب بصوت أجـش، ماذا تريد ماذا لديك ثانية

-سـيدي الكولونيـل امرنـي اخـبرك بأن مجموعة الحراسـة ستتغير بعد قليل، وإذا كانت لك حاجة فأطلبها قبل أن تغادر القلعة.

-سـاطلبها من المجموعة الجديدة (لنفسه)، كأن هذا الكولونيل يضمر ضدي شيئا.

-سـيدي الرقيب، انهم غـير مكلفين بتلبية طلباتك ونحن وحدنا

-بقاطعــة إذن رح اذهب الى أحضان زوجتك (بصوت اخفض) انت وسيدك الكولونيل.

-أمرك ســيدي الرقيــب، امــرك.. (اصوات قدمية تبتعد).

-هيه.. أنت.. أســمع (تتوقــف الأصوات) كم الساعة الآن

-الثانية عشــرة الا خمس دقائق، يا ســيدي الرقيب، هل تامرني بشيء»[٣٣].

مــن خلال هــذا المقطــع، نلحظ كيف صــار أثر (الصوت الخارجي) فعالا في ســرد المسرحية، فقد ولد صراعــا بين (الرقيب) وذاته، فعندما أدرك (الرقيب) أن الســاعة هي الثانية عشــرة إلا خمس دقائق، دخل اليــأس في قلبه وتوتره نفســه وبدأ يتفــوه بكلمات وعبارات تكشــف عن جوانب مهمة من شخصية، طالما أراد ان يخفيها عن (الشاب). فهو حين عرف أن الوقت قــد مضــى، ولم ينجز شــيئا من المهمة بدأ يتوســل بالشــاب، وأخذت معنوياته تهبــط، الأمر الذي جعله يسقط وسط المشرح، فهنا يكمن دور (الصوت)، إذ نرى بوساطة هذا (الصوت) أن السرد صار ذا زخم درامي.

وأما في مســرحية (مســاء الســلامة ايهــا الزنوج البيض) فقد اســتخدم الكاتب أيضــا تقنية (الصوت) وســيلة لخلق نوع من التوتر، لإثراء السرد، ولتنامي الأحداث والصراع، لكن الكاتب اســتخدم هنا مجموعة أصــوات وليــس صوتا واحــدا. وكان لصوت الســاعة حضور واضح:

«الساعة ما تزال ترن،

أرجــوك كفي عن زعيقك الذي أحســه منشــارا حادا.. يقطع أوتار أعصابي

(الرنين لا ينقطع)

آه كان ينبغــي ان تكونــي زوجة فنان او كاتب ما دمت تمتلكين هذه الطاقة الهائلة على خلق الازعاج

(يرميهــا بكتــاب الســاعة تســقط.. رنينهــا لا ينقطع)

آه.. آه اخرســي.. أخرســي.. اليــس حراما على مواهبــك الاضطهادية النادرة هــذه وأنت مجرد آلة.. كوني امرأة.. كوني امرأة.. يا غبية

(الرنين مستمر.. يضطر الى النهوض)

آه ايتهــا الدودة الحقيرة.. لقــد فرضت بصوتك المنشــار اعصابــي بما فيه الكفاية ما تــكاد الأفكار في رأســي تتبلور والنغم يتســق وينتظــم حتى تبادري الى تبــد يدها، تمامــاً كما كانت زوجتــي تفعل على الدوام..»[٣٥].

كشــف صوت الساعة لنا عن ذات (سوران)، ومدى حقده على زوجته، فهو شبه الساعة بالزوجة، فصوت الساعة، يقف عائقا في وجه (سوران)، ولا يدعه يكمل اللحن، كما نلحظ أن هذا الصوت خلق نوعا من التوتر عند (ســوران). ومن الأصوات الخارجية الاخرى التي اثرت في (ســوران)، أصوات الســيارات التــي تمر من جانب العمارة:

«(يشــتد المطر.. وتزداد أصوات الســيارات المارقه بســرعة بسرعة باضويتها البراقة.. صخباً وضوضاء.. تهيج أعصابــه، يلقي بقية الــكاس في جوفه.. تمرق سيارة.. يزعق بوقها. بشدة يهجم على الشباك بانفعال شــديد). ذئــاب.. حتى الليل الهادي المســكين لم يعد يسلم من اضطهادكم، وتمزيق سكونه الامن، باموالكم التي تسير بارجل من المطاط تزرع الموت في الطرقات.. وتزعق بافواه من حديد تتلف المزاج والأعصاب.. تفو عليكم وعلى أموالكم المغتصبة القذرة..»[٣٦].

ان هذه الأصــوات الخارجية، تؤثر في الشــخصية المونودرامية، وتجعلها تكشــف عــن ذاتها، الأمر الذي يجعل الســرد، ذا طابع درامي، لأن الشــخصية تشرع بمخاطبة تلك الأصوات وكأنها شخص ثان أمامها.

فعلى الرغم من اختلاف مصدر الأصوات الخارجية في المســرحيتين نلحــظ أن هناك تشــابها في دور تلك الأصوات إذ انها تشكل في النصين مصدر قلق للشخصية المونودرامية فكل شخصية – كما رأينا – تتاثر بتلك الأصوات على نحو مباشر وفعال.

أما الوســيلة الثالثة التي استخدمها (محيي الدين

زنكنه) فهي تقنية الهاتف. ففي (مساء السلامة ايها الزنوج البيض) قام (سوران) باستخدام الهاتف لمعرفة الوقت.

«(يدير قرص التلفون.. ينبعث صوت إنثوي رقيق)

عند الإشارة الرابعة.. وست واربعون دقيقة.. وثلاث وخمسون ثانية عند الإشارة.. الرابعة.. وست (بذهول تام) الرابعة وست وأربعون دقيقة.. يا إلهي.. ما الذي تقولين يأ آنسة.. لا يمكن نم.. نم ما الذي ابقاك لمثل هذا الوقت روحي.. نامي.. نامي.. يابنتي»[٣٧].

نلحظ من هذا المقطع، أن الصوت الذي جاء بوساطته ذو دور واضح في تحريك (سوران) وجعله يفكر في النوم، كي يستيقظ في الخامسة صباحا، ليذهب الى العمل.

«(ينهض بتثاقل)

الرابعة وست وأربعون دقيقة.. يعني توشك أن تصبح الخامسة.. يا إلهي (يتوجه نحو الساعة. يوقتها. يعيدها الى مكانها)

الخامسة تقريبا.. واستيقظ في السادسة. مستحيل. الى الجحيم بذي الكرشين ونقوده القذرة..»[٣٨].

وهكذا اعان الهاتف على كشف ما يدور في ذات (سوران)، لكن الصوت، المنبعث من الهاتف يختلف عن الصوت المنبعث من الخارج في مسرحية (تكلم يا حجر) حيث لاحظنا، ان الصوت هناك هو صوت رجل أما هنا فالصوت انثوي، بعدها يرن الهاتف وعندما يجيب (سوران) إذا بصوت يطلب النجدة:

«ينبعث من سماعة التلفون صوت مضطرب جدا، ولكن بوضوح)

ألو.. الحقنا.. كائنا من كنت.. الحقني يا اخي انهم يقتلونني

آه أنهم.. آه.. آ ه.. آه

(ينقطع الصوت البشري إثر اطلاق ثلاث طلقات نارية قوية.. سوران يجمد في مكانه.. تجحظ عيناه.. وقد غارت الدماء من وجهة يبدو اشبه بجثة محنطة..)»[٣٩].

ان هذا الصوت الذي حمله الهاتف، جاء محفزا كي ينهض (سوران) بعد ان اوشك ان ينام، وبهذا «اكتسب الهاتف وظيفة درامية فكان رمزا لطغيان الإله وتسيدها»[٤٠]. فالهاتف هنا يغدو بمثابة كائن يامر (سوران) بالنهوض، وعندما ينهض يصاب بإطلاقات نارية تحوله الى جثة.

تلك هي أبرز الوسائل او التقنيات التي اعانت على خرق أحادية الصوت، وهذه الوسائل جميعها ساعدت على ترتيب حبكة النصوص المسرحية، كما ساعدت على تنامي الصراع عند الشخصية، وعلى خلق نوع من التوتر، إذ ان «خلق حالة من التوتر وصياغتها ورفعها وتعميقها وحلها هو الهدف الرئيس لصيغة كاتب المسرحية»[٤١].

فقد رأينا كيف تتغير حال الشخصية عندما تقوم بسماع تلك الأصوات، كما كان لها دور مهم في «إثارة المخيلة وتحفيز الذات على الاستبطان والاستشراف وإظهار الوجه الآخر للنفس الإنسانية.. كيف تفكر؟ وبماذا تفكر وتشعر؟...»[٤٢] ومن الجدير بالذكر أن هذه العوامل المساعدة لم «تؤثر على تفرد الشخصية المونودرامية وسيطرتها المطلقة على مجريات الحكاية وسياق الحدث»[٤٣] اذ ان الشخصية ظلت منفردة طوال المسرحية.

أما المكان في مسرحيتي (محيي الدين زنكنه) المونودراميتن فكان مكانا محددا، ومتشابها في المسرحيتين. ففي مسرحية (مساء السلامة ايها الزنوج البيض)، جرت أحداث المسرحية داخل سرداب.

«سرداب، بعمق مترين عن مستوى الأرض، تحت عمارة سكنية ينزل إليه بسلم خشبي ذي بضع درجات، جدرانه ترتفع عن مستوى الأرض بحوالي المتر. في الجدار المواجه للجمهور نافذة ضيقة طويلة بعض الشيء، تطل على الشارع الذي يمتد أمام العمارة. السرداب واسع الى حد ما، يستخدم عادة كملجأ في

حالات الحروب والطوارئ وكمخزن للمهمل من الأشياء في الحالات الاعتيادية...»(٤٤).

وكما هو واضح من ارشادات المؤلف، لا يصلح هذا المكان للسكن لانه سرداب وملجأ عند الطوارئ، ومخزن في الظروف الاعتيادية ولا يسكن فيه الا شخص يكون منهكا وبائسا، يعاني مشاكل اقتصادية او اجتماعية تجبره على هذا النمط من العيش.

اما المكان في مسرحية (تكلم يا حجر) فلم يختلف كثيرا عن سرداب (سوران)، إذ ان أحداث المسرحية جرت داخل سجن وهذا السجن أيضا معزول عن العالم، لا يدخله الا شخص لديه مشكلة ما:

«قبو صغير الحجم في بناية قديمة، أشبه بقلعة عسكرية مهجورة.. الجدران قاسية..»(٤٥).

هنا نستفيد أيضا من إرشادات المؤلف في معرفة تفاصيل دقيقة عن المكان، والمكان في المسرحيتين يعبر عن عزلة الشخصية عن العالم الخارجي، وعن حالة الاغتراب النفسي الذي تعيشه، وهو» ذو دلالة نفسية تنصهر فيه ذاتية الشخصية المونودرامية بوصفه بديلا عن العالم الخارجي الذي تجتهد الشخصية في الانسلاخ عنه لتعيش الحياة الداخلية التي تأملها»(٤٦)، فكل ما تعانيه الشخصية داخل هذا المكان الضيق يدل على ضيق الشخصية في الحياة الواقعية.. وبهذا يكون (محيي الدين زنكنه) قد وفق في بناء المكان في هذين النصين.

ولم يقتصر وجه الشبه في المسرحيتين على المكان فحسب، بل تعداه الى الزمان، فالزمان في (مساء السلامة ايها الزنوج البيض) هو الليل، وكذلك في مسرحية (تكلم يا حجر)، « والليل في إيحائه الدرامي يمثل عتمة الروح لدى الشخصية المونودرامية»(٤٧)، ففي الليل يخلو الإنسان عادة الى نفسه ويتأمل الأشياء التي حوله ويبوح بما تثير الأشياء في نفسه. والزمن في المسرحيتين يرتكز على ركيزتين أساسيتين هما: الاسترجاع والاستباق ففي مسرحية (مساء السلامة أيها الزنوج البيض)، ثمة استرجاع:

«قبل ما يقارب العشرين عاما، تقدمت الى ركن الهواة في التلفزيون وأنا ممتلئ ثقة تبلغ حدود الغرور يحدوني أمل أن امنح الفرصة للتعبير عما تجيش به نفسي ويشع به عقلي. كان الوقت الممنوح لي خمس دقائق فقط. وهو وقت لا يكفي لضبط مفاتيح واوتار عودي، سألني معد البرنامج من المطربين تقلد؟ أجبت لا احد فان لي طريقتي الخاصة في الغناء استاء من جوابي كثيرا.. وامتعض»(٤٨).

فعن طريق هذا الاسترجاع الذي قام به (سوران) تعرفنا على جزء من ماضي الشخصية، كما اراد (سوران) من خلال هذا الاسترجاع ان ينقد المجتمع والمسؤولين، وقد عمد (سوران) الى الاسترجاع، ليملأ ذهن المتفرج بالمعلومات التي يمكن ان يستفيد منها في معرفة الأحداث وتفسيرها، وجعل هناك ترابطا بينها في وظيفة يدعوها جينيت بالوظيفة التكميلية(٤٩). فمعرفة هذه المعلومات تكون مكملة لمعرفة النص المسرحي باكمله، فقد أراد (سوران) أن ينقد المجتمع الذي اضطهده منذ زمن بعيد ولم يرحمه.

أما في مسرحية (تكلم يا حجر) فنرى (الرقيب) يقوم – أمام الشاب – باسترجاع الحوار الذي دار بينه وبين الكولونيل:

«.. صباح أمس استدعاني سيدي الكولونيل.. قال لي بكل قوة، يا موشي، قد أن لك ان ترتاح (بمرارة) تلك هي العبارة التي نستخدمها عادة مع من لم يعد نافعا. بدلا من أن نقول له قد أن لك ان تموت... صعقت هنيهة... توسلت إليه: سيدي الكولونيل.. قاطعني بلين، اشبه بلين السكين إذ تجول عبر كتلة لحم طري وقال عمرك قد بلغ الستين او طال. صحيح سجلك العسكري خال من المخالفات الكبيرة والتمردات الرعناء لكنه في المقابل خال أيضا من الخوارق من البطولات الخارقة.. ثم أضاف بعد صمت قصير: يؤسفني ان اقول لك انه قد ان لك ان تترك مكانك للشباب... لا أدري ماذا حلّ بي حتى وجدت نفسي في غرفة

الجنرال.. والجنرال: نفسه يرشني بالماء والعطور.. قاطعني سيدي الجنرال، مدركا حالتي الاستثنائية ومشرفا علي: لا عليك، أيها الرقيب.. لا عليك... ثم قال روحي فداه: لقد تمكنا من اقتناص احدهم، يبدو أن رأسه محشوا بمعلومات تهمنا جدا. لو جعلته يتكلم، أجدد لك العقد خمس سنوات اخرى واعدك بترقية.. مرة اخرى صعقت.. فصرخت: انا لها يا سيدي الجنرال، أنا لها.. امهلوني ثلاث ساعات فقط؟ وساعصر رأسه المحشو بالمعلومات وأضعها تحت يديك. قال هيه.. ليكن، ولكن تذكر أننا نريد أسراره ومعلوماته قبل حياته.. قلت سيدي لن استخدم غير السوط...»[٥٠].

في هذا المقطع الحواري الطويل نلحظ أن (الرقيب) قد استرجع قصة بأكملها، وكان هذا الاسترجاع عبر الخطاب المنقول إذ «صور لنا الحالة الباطنية للشخصية التي تواجه اختبارا صعبا يهدد كينونتها اما التهميش والاحالة على التقاعد، وهذا يعني الموت، وأما النجاح في استدرار المعلومات من الفدائي، وهذا يعني الاستمرار في العمل»[٥١]، ولعل هذا الاسترجاع يجعل المتفرج يعي حقيقة هذه الشخصية جيدا والأفكار والخواطر التي تدور في داخلها من حب الذات والمصلحة الشخصية.

أما الصراع في مسرحية (مساء السلامة أيها الزنوج البيض) فيدور بين (سوران) والأشياء التي تحيط به مثل الساعة والمدفاة والخمر فنراه يخاطب (الساعة):

«لا ترفعي عقيرتك بالصراخ.. مثلما كانت زوجتي تفعل كلما وجدتني منهمكا في عملي»[٥٢].

فالساعة تمثل الطرف الآخر للصراع مع (سوران)، فقد لجأ (سوران) الى المقارنة بين الساعة وزوجته، فهو يريد ان يكشف عن سلبية زوجته، ومن النماذج الأخرى التي تبين مواصلة صراع (سوران) مع الساعة:

«ما تكاد الأفكار في رأسي تتبلور والنغم يتسق وينتظم حتى تبادري الى تبديدها.. تماما كما كانت زوجتي تفعل على الدوام»[٥٣].

هنا يتزامن ضجيج الساعة مع كتابة (سوران) للرموز الموسيقية، مما يؤدي الى تبديدها. فـ (سوران) مرة اخرى يشبه الساعة بزوجته وهو يريد ان يشبه كل الأشياء التي حوله بزوجته، ولم تختلف المدفأة من الساعة، فهي مثل الساعة تقف عائقا امام ابداعه.

«.. يا حقيرة.. يا وريثة سوءات زوجتي مجتمعة.. تستعينين بالبرد والمطر لتحقيق ما عجزت عن تحقيقه وحدك لا لغائي في الفراش واغتيال الحالة الموسيقية التي احياها..»[٥٤].

يشبه (سوران) المدفاة بزوجته، لأنها تعيقه عن العمل وتسلب منه الوقت الجميل الذي يريد ان يقضيه في اللحن. أن جميع هذه الأشياء التي حوله تمثل «حالة صراعة، المرير، مع عالمه الداخلي (داخل الملجأ). فان صراعه مع القوى التي تداهمه على هيئة أصوات ضاجة تمثل صراعه الخارجي (خارج الملجأ)»[٥٥]، والأصوات الخارجية هذه هي اصوات السيارات[٥٦]. هذه الاصوات تكشف عن العلاقة القائمة بين (سوران) وعالمه الخارجي الذي يحاصره ويضيع عليه اللحظات الجميلة التي يعيشها، كما يعكس لنا النص نقد (سوران) للطبقة البرجوازية التي تمتلك السيارات والأموال التي تزعج بها الناس، أما الصراع في مسرحية (تكلم يا حجر) فيتمثل في صراع (الرقيب) مع الشخصية الصامتة (الفدائي)، فـ (الرقيب) يريد أن ينتزع منه الاعتراف، إلا أن الشاب لا ينبس باية كلمة ولا تهزه الأساليب اليهودية، فهو يتحمل التعذيب في سبيل خدمة القضية الفلسطينية، ولا يعترف على جماعته من الفدائيين، والصراع هنا صراع خارجي قوي، لأن الاعتراف بالنسبة للرقيب يمثل البقاء والحياة السعيدة، اما عدم الاعتراف فمعناه نهاية (الرقيب) وإحالته على التقاعد، ولهذا نرى الرقيب يستخدم المحاولات جميعها كي ينتزع الاعتراف.

«حينما اتنازل وأنظر الى وجهك القبيح، فلا تشح به حدق في عيني كما أفعل أنا.. كما يفعل الرجل مع الرجل لا تكشف عن جبنك منذ الوهلة الأولى فانا لا

احب الجبناء والخائرين»[57].

فـ (الرقيب) منذ البداية يسعى الى ان يستفز الشاب، لكن الشاب لا يكترث له، وهذا يدل على بداية الصراع بداية قوية إلا انه لا يبقى على وتيرة واحدة، إذ نراه يضعف في مواضع ويقوى في اخرى، كما نلحظ ان (الرقيب) يبدأ بالاستفزاز، وهذا يشكل بداية الصراع، لكنه بعد ذلك صار يمارس الضرب بالسوط، وهذا يدل على عدم احترام الصهاينة لحقوق الاسرى، كما يدل على بداية ضعف (الرقيب) وخذلانه. بهذا يمكننا القول ان (الشاب) يمثل الشعب الفلسطيني وإصراره، أما (الرقيب) فيمثل (الصهاينة) وجبنهم وحقدهم على الشعب الفلسطيني.

وبما أن المسرحية هي مونودرامية، تقوم على شخصية واحدة، فقد دار الصراع فيها بين الشخصية والاشياء التي تحيط بها أي ان الصراع صراع نفسي وعندما لا يتمكن (الرقيب) من انتزاع الاعتراف من الفدائي يبدأ الضعف والخوف يدبان في نفسه، وهكذا يولد الصراع النفسي:

«لا لا ايها الضعف اليك عني. المسألة مسألة حياة او موت لا تتسلق ذراعي مثل العنكبوت.. ايها الوهن الخائن لا تنفث في يدي الخدر.. ان مستقبلي كله يتوقف على هذه الليلة.. أكون.. اولا أكون.. ويجب أن أكون.. آه لا لا ايها النعاس اللعين لا تطبق جفني دعني آر..»[58].

فالرقيب يتصارع مع ذاته، فهو يضعف ويغلب عليه النعاس وهؤلاء لا يريد ان ينام، لأن مدة بقائه مع الشاب قليلة فتفوت عليه الفرصة في انتزاع الاعتراف.

وفي النهاية لا يستطيع (الرقيب) من الحصول على أية معلومات من الشاب، فالشاب ينتصر ولا يتكلم، وبهذا تبدو إرادة الشعب الفلسطيني اقوى من إرادة الصهاينة.

والصراع في هذه المسرحية يختلف عن صراع (مسرحية مساء السلامة ايها الزنوج البيض) إذ ان الصراع في الاخيرة وقع بين (سوران) والكون، اما في (تكلم يا حجر) فحصل بين (الرقيب والشاب).

وفي الختام لا بد من الإشارة الى ان هاتين المسرحيتين متشابهتان من حيث الموضوع. أما الاختلاف فقد كان في أحداث مسرحية (تكلم يا حجر) التي جرت على حسب سياق زمني قامت بتحديده الشخصية، أما مسرحية (مساء السلامة ايها الزنوج البيض) فقد كانت أشبه برحلة في أعماق شخصية (سوران).

الهوامش

(١) الخصائص الفنينة للمونودراما، حسين علي هارف، (اطروحة دكتوراه)، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد (١٩٩٧): ١٥.

(٢) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية: د. ابراهيم حمادة، دار الشعب - مصر (د.ت): ١٥٦.

(٣) معجم المصطلحات المسرحية: انكليزي - عربي: سمير الجلبي، دار المأمون للترجمة والنشر - بغداد، ١٩٩٣: ١٥٥ - ١٥٦.

(٤) الخصائص الفنية للمونودراما: ٢١.

(٥) التيارات المسرحية المعاصرة: د. نهاد صليحة، مركز الشارقة للابداع الفكري - الشارقة، (د. ت): ١٤٤ - ١٤٥.

(٦) م. ن: ١٤٥.

(٧) الخصائص الفنية للمونودراما: ٢٣.

(٨) اربع مسرحيات مونودرامية: أمين بكير، تقديم عبد العزيز حموده: ٦ (المقدمة)

() الخصائص الفنية للمونودراما: ٢٥٤.

(٩) أربع مسرحيات مونودرامية: أمين بكير، تقديم: د. عبد العزيز حمودة، مطبعة منير - بغداد، ١٩٨٤: ٩.

(١٠) الخصائص الفنية للمونودراما: ٢٥٦.

(١١) م. ن: ٢٥٧.

(١٢) التيارات المسرحية المعاصرة: ١٥٠.

(١٣) الخصائص الفنية للمونودراما: ٢٥٨.

(١٤) المصدر نفسه: ٢٦١.

(١٥) التيارات المسرحية المعاصرة: ١٥٠.

(١٦) غائــب طعمة فرمان روائيا، فاطمة عيســى جاســم، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ٢٠٠٤، ط١: ١٣٤/ وينظر ســيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الامــيرات، خليل شــكري هياس، اتحــاد كتاب العرب، ٢٠٠١: ٢٢٩.

(١٧) نقــلاً عن: فن الســيرة الأدبية، ليون إدل، ت: صدقي خطاب، مؤسســة الحلبــي - القاهرة ١٩٧٣: ١٦٤ - ١٦٥.

(١٨) أربع مسرحيات مونودرامية: ٩ - ١٠.

(*) كتبت هذه المســرحية في ٧ تموز الى ٢٢ أيلول عام ١٩٨١ في مدينة بعقوبة.

(*) كتبت في ١٩٨٨/١١/٢٨ في بعقوبة.

(١٩) الخصائص الفنية للمونودارما: ٢٥٤.

(٢٠) مســاء الســلامة ايها الزنوج البيض: محيي الديــن زنكنــه، مطبوعــات الامانة العامــة للثقافة والشباب لمنطقة كردستان، ط١، ١٩٨٥: ٨

(٢١) البناء الدرامي في مسرح محيي الدين زنكنه: ٩٦.

(٢٢) م. ن: ٩٦.

(٢٣) مساء السلامة أيها الزنوج البيض: ٢٧.

(٢٤) مســرحيات: محي الدين زنكنه، دار الشؤون الثقافية: بغداد، ١٩٩٤: ١٠٧.

(٢٥) مساء السلامة ايها الزنوج البيض: ١٠ - ١١.

(٢٦) مسرحيات: ٨٦ ؟

(٢٧) سردية النص المسرحي العربي: بيداء محيي الدين ميرو الدوسكي، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ٩٣.

(٢٨) مساء السلامة ايها الزنوج البيض: ٩

(٢٩) سردية النص المسرحي العربي: ٩٥.

(٣٠) مسرحيات: ٨٠.

(٣١) م. ن: ٧٢.

(٣٢) م. ن: ٧٦.

(٣٣) م. ن: ٩٩

(٣٤) مساء السلامة ايها الزنوج البيض: ١٧ — ١٨.

(٣٥) م. ن: ٢٩ - ٣٠.

(٣٦) م. ن: ٣٩.

(٣٧) م. ن: ٣٩ - ٤٠.

(٣٨) م. ن: ٤٢.

(٣٩) الخصائص الفنية للمونودراما: ٢٥٦.

(٤٠) صناعــة المســرحية، ســتوارت كريفش، ت عبدالله الدباغ، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٦: ٣٧.

(٤١) سردية النص المسرحي العربي: ٩٨.

(٤٢) الخصائص الفنية للمونودراما: ٢٠

(٤٣) مساء السلامة أيها الزنوج البيض: ٥.

(٤٤) مسرحيات: ٦٥.

(٤٥) سردية النص المسرحي العربي: ٩٦ - ٩٧.

(٤٦) الخصائص الفنية للمونودراما: ٢٦.

(٤٧) مساء السلامة ايها الزنوج البيض: ٢٧.

(٤٨) ينظر: خطــاب الحكاية، جيرار جينبت، ت. محمد معتصم وآخرين: ٦١.

(٤٩) مسرحيات: ٩٣ - ٩٧.

(٥٠) سردية النص المسرحي العربي: ١٨٤.

(٥١) مساء السلامة ايها الزنوج البيض: ١٧.

(٥٢) م. ن: ١٨

(٥٣) م. ن: ١٩.

(٥٤) البناء الدرامي في مسرح محيي الدين زنكنه: صباح الانباري، دار الشــؤون الثقافية العامة - بغداد، ٢٠٠٢: ٩٨.

(٥٥) ينظر: مســاء الســلامة ايها الزنوج البيض: ٢٩ - ٣٠.

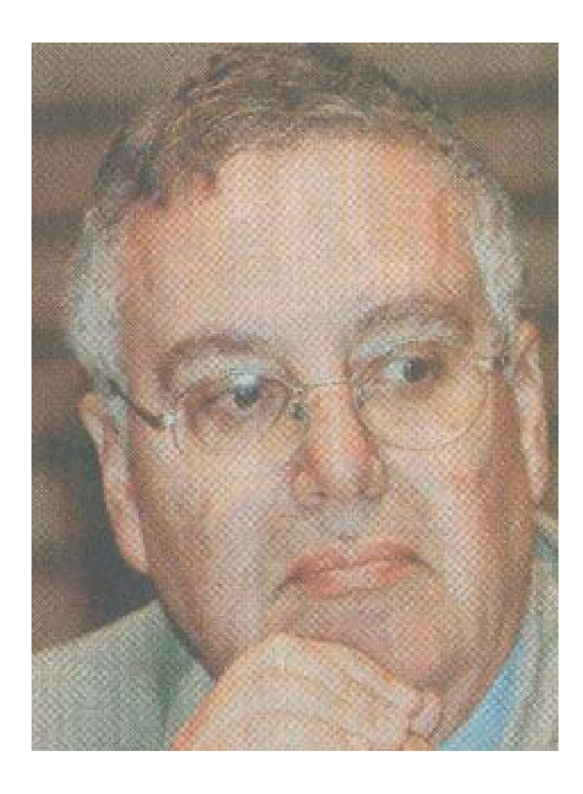
(٥٦) مسرحيات: ٦٦.

(٥٧) م. ن: ١٠٤ - ١٠٥.

حوار مع المفكر الليبرالي د. شاكر النابلسي

عن كتابه حول العراق ومسألة الارهاب والاحتلال والمثقف العربي والفيدرالية والديمقراطية وحلبجة والانفال

اجرى الحوار: عدالت عبدالله



*المسلمون لا موقف لهم إلا من رسم كاريكاتوري أو مخرج هولندي أو كلام بابا عابر. أما موقفهم من كوارث من هم اخوة لهم في الدين كالكرد فهو موقف خانع.

تحدث لنا، كالعادة، بلغته الناقدة التي تطال كل من يستحقها و يعتبر نفسه، من حيث يدري أو لايدري، فوق مطرقة النقد و الجدال أو خارج المساءلة و التشكيل. عنيت هنا المفكر الليبرالي د. شاكر النابلسي الذي ألف قبل عامين كتاباً سياسياً رائعاً و ذلك بأبعاد فكرية- نقدية تناول فيه الشأن العراقي و وقف على أحداثه و تأمل في تطوراته.. و في هذا الحوار، الذي ننشر النص العربي منه لأول مرة في مجلة سردم العربي، يجيب النابلسي عن أسئلة هامة تهم الشارع العراقي و الشعب الكوردي كسؤالنا عن الإرهاب و الإحتلال أو المثقف العربي و الفيدرالية أو الديمقراطية و الكوارث الإنسانية التي تعرض لها الكورد في ظل النظام السابق ..

كتابك الأخير

س: ثمة آلاف من قــراء الكورد يتابعون آرائك في القضايــا العراقية، و هذه المتابعــة، كما لاحظتها من خلال تســاؤلاتي في الأوســاط الثقافيــة و الإعلامية الكوردية و العراقية عموماً لا تتأتى من كونك مجرد كاتــب أو مفكر معروف ينبغي للقارىء الجدي العودة اليــك إطلاعاً على ما تذهب اليــه من أفكار ووجهات نظــر حول الشــأن العراقــي والكــوردي أو القضايا الأخرى التي تكتب عنهــا، و إنما متابعتك هذه تعود الى حســانات تفكيرك الليبرالي النقدي الذي تمتاز به وتُميزك عن الكثير من المثقفين العرب الآخرين الذين وصفتهــم أنت في أكثر من مناســبة بأن العديد منهم (بنو نفط) أو ضعفاء الموقف إزاء القضايا الإنســانية والعربية- الإسلامية.. ولأنك الآن ومن خلال تجربتك الكتابية مــع القضية العراقية، قدمــت هذه الصورة وهذا الإنطباع لدى قراءك هنا ، نفضل أن نسألك عن محتــوى كتابك الجديد المعنــون ب (الزلزال.. أوراق في أحــوال العراق) الذي يضــم مجموعة من مقالاتك المكرسة لتناول الشأن العراقي، ما الذي تريد أن تقوله في هذا الكتاب وما هو الهدف والرسالة؟ من هو الطرف المخاطَــب فيه وما الذي تنتظره من متلقيك وقرائك مــع هذا الكتاب خاصة أن هــذا الكتاب لم يصل حتى الآن بشكل كبير الى القارىء الكوردي والعراقي ؟

ج: كتابي (الزلزال: أوراق في أحوال العراق) الذي تم توزيعه في العراق بكميات كبيرة مع جريدة «المدى» وجريدة «الاتحاد»، بل ســمعت مؤخراً أنه يُستنســخ وتُبــاع منه كمبات كبيرة في المكتبــات العراقية.. هذا الكتــاب هو مجموعة المقالات التي نشــرتها منذ فجر التاســع من نيسان عام ٢٠٠٣ وإلى ما قبل عام تقريباً. ولكن هذا الكتاب لم يحوِ المقال «القنبلة» الذي نُشــر يوم ســقوط صدام حسَــين (هُبل الأكبر) في ٢٠٠٣/٤/٩ وقلت فيه:

فتح بغداد وسقوط الأصنام

هل صدّق أحد من العرب المقهورين، والمشردين، والمنـفـيـين، والمـطـارديـن، والمسـجـونـين عينيه، وهـو يـرى أصنـام الديكتاتور تنهار واحـداً بعد الآخـر في بـغـداد، والـبـصـرة، والـنـجـف، وكـربـلاء؟ هل هذا معقول أن يُسحق أول ديكتاتور عربي في التاريخ على هذا الوجه كما سُحقت الديكتاتورية في المانيا والاتحاد السوفياتي ورومانيا وكوسوفو من قبل؟ وهل من المعقول أن القدر لم يعد ينتظر الديكتاتوريين العرب لأن يزهقهم الموت الطبيعي لكي تتخلص منهم الأمة، فأصبح يُرسل لهم القوى العظمى للخلاص منهم؟ ألا يذكركم منظر انهيار أصنام الواحد الأحد، والقائد الصمد، والرئيس النفيس، والزعيم العظيم، والأديب اللبيب، والمُهيب العجيب، وفرعون الرافدين، بمناظر سقوط أصنام هتلر وموسوليني ولينين وشاوشسكو وميلوسيفتش، وهي تنهار وتتساقط واحـداً وراء الآخـر، في أنحاء متفرقة من المانيا، وايطاليا، والاتحاد السوفياتي، ورومانيا، وكوسوفو؟ نعم هذه هي النهاية الحتمية للديكتاتورية الطاغية الباغية في كل زمان ومكان، حتى وإن طال الزمن! إن انهيار وسقوط أصنام الديكتاتور في العراق ظاهرة عربية غير مسبوقة، لا في الماضي ولا في الحاضر. تـأمـلـوا هـذه الـظـاهـرة تـمـامـاً، وهـي تكتب تـاريـخـاً جـديـداً في المنطقة وفي سجل الـعـرب! لقد كنا نتمنى أن يكون هذا الانهيار والسقوط بيد الشعب العراقي وليس بيد جنود الحلفاء، ولـكـن الشعب الـعـراقـي الأعـزل مـعـذور ومغلوب على أمـره، لا يملك منه شيئاً، في ظل حكم أقسى الطغاة وأعتاهم وأشرسهم وأكثرهم حماية لنفسه ولنظامه، من خلال تلك الأجهزة المسلحة التي كنا نسمع عنها في السابق سمعاً، ولم نرَ حجمها وشراستها على أرض الـواقـع إلا مـن خـلال «فـتـح بـغـداد». نـعـم لـقـد كـانـت حـيـلـة الـشـعـب الـعـراقـي أمــــام طـغــيــان فــرعـــون مــفــقــودة. فـمـا هـي حيلـتـه أمــام هـذا الـعـتـو، والـقـسـوة، والوحشية، وهـذه المليشيات التي لا عـدد لها من

الجنود المرتزقة التي كانت تحمي الديكتاتور والديكتاتورية على غرار النازي والنازية؟ فكانت إرادة الله، أن يقول لمن يشاء (اذهبوا إلى فرعون انه طغى) وهو الذي (أضل قومه وما هدى) وهو (الذي علا في الأرض وجعل أهلها شيعا) وهو الذي نادى بقومه وقال (يا قوم أليس لي مُلك العراق) وهي أن يرسل إلى فرعون وجنوده أبابيل السماء ولهب الأرض لتفني فرعون وجنوده. فلنُسلّم بحكمة وإرادة السماء! لقد كلّفت اقامة أصنام الديكتاتورية في العراق مئات الآلاف من الشهداء في حرب الخليج الأولى والثانية، وفي حلبجة، والموصل، والبصرة، وبغداد، وفي كافة أنحاء العراق. وكلّفت اقامة أصنام الديكتاتورية في العراق مليارات الدولارات التي أحرقها فرعون الرافدين في وجه الشياطين في حروبه مع العرب والمسلمين، ثمناً لاقامة أصنام الديكتاتورية. وكلّفت اقامة أصنام الديكتاتورية في العراق مئات الملايين لبناء قصور فرعون المجنون بالعظمة والتي شاهدناها على شاشات التليفزيون، بينما يموت الشعب العراقي في الجنوب خاصة من الجوع والعطش، كما شاهدنا أيضاً على شاشات التليفزيون. وكلّفت اقامة أصنام الديكتاتورية في العراق مئات الملايين أيضاً لبناء المخابيء تحت الأرض لحماية فرعون وأهله وصحبه كما وصفها المهندس الألماني كارل إيزر الذي اشترك في بناء هذه المخابيء، وكان يعمل في شركة المقاولات الألمانية Boswau & Knauer التي نفذّت بناء هذه المخابيء في العام ١٩٨٤، بتكلفة ٦٠ مليون دولار! فكم كلّفت عملية اسقاط أصنام النظام؟ إن روعة وبهجة سقوط أصنام الديكتاتور في العراق، لا يضاهيها روعةً وعظمة وبهجة إلا سقوط أصنام الجاهلية في مكة و«فتح مكة»! ألا يُذكركم «فتح بغداد» بـ «فتح مكة»؟ ألا يذكركم سقوط أصنام الديكتاتورية في شوارع البصرة والنجف وكربلاء وبغداد بسقوط أصنام الجاهلية في الكعبة بعد «فتح مكة» المبين؟ ألا تشعرون أن ما بعد «فتح بغداد» ستكون هناك نتائج عظيمة لا تقل أهمية عن نتائج «فتح مكة»؟ لقد أسقط «فتح مكة» كل أصنام العرب في الجزيرة العربية فيما بعد، وسيُسقط «فتح بغداد» كل أصنام العرب المتبقية في العالم العربي فيما بعد. لقد هزم «فتح مكة» كل قوى الطغيان والجبروت في الجزيرة العربية، وسيكون «فتح بغداد» مقدمة لهزيمة كل قوى الطغيان والجبروت في العالم العربي. لقد جلب «فتح مكة» معه نور الحرية للعرب وللعالم أجمع، وسيكون «فتح بغداد» مقدمة لحرية العالم العربي كله، ومثالاً آخر يُحتذى من أمثلة الحرية في العالم. لقد كان «فتح مكة» البشرى العظيمة من السماء للعرب وللعالم لمرحلة منيرة وزاهية قادمة، يُخيم عليها السلام على الانسان، وسيكون «فتح بغداد» هو البشرى الثانية من السماء. فلولا إرادة السماء لما تمَّ «فتح مكة». ولولا إرادة السماء لما تمَّ «فتح بغداد» ولو أراد الله أن لا يفتح الحلفاء بغداد بالطريقة التي تمت، وبالسرعة التي تمت، لهدى فرعون وأهله إلى طريق الصواب والحق والعدل، حتى لا يضيع مُلكهم ويُطردون من العراق ومن الأرض شرّ طردة. إن الله يقول في كتابه العزيز في سورة الروم (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره). فهل يمكن أن يكون قيام أرض العراق من جديد و «فتح بغداد» إلا بأمره سبحانه؟ أليس «فتح بغداد» هو إعادة الروح التي سلبها الديكتاتور إلى العراق. وأنها تمت بأمر الله تعالى الذي يقول في سورة غافر (ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده)؟ ولو كان فرعون الرافدين من عباد الله الصالحين الأوفياء الخُلصاء لألقى الله الروح عليه، كما يلقيها على عباده الصالحين، ولما أزهق الله فرعون الرافدين، كما أزهق من قبله كل الظالمين.

(قلْ جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً).

وقد كان هــذا المقال مثار ضجة كبيرة لدى رجال الدين المتشــددين ولدى القومجية وغيرهم ممن كانوا ضد سقوط الطاغية (هُبل الأعظم).

ما أريــد أن أقوله في هذا الكتــاب هو أن نواقيس الحرية والديمقراطية بدأت تدق في العالم العربي. وأن العراق ســيكون بوابة الحرية والديمقراطية في العالم العربي رغم كل هذه الدماء التي تسيل كل يوم بفعل أعداء الحرية والديمقراطية في العراق من الســوريين والإيرانيين، وغيرهم من غربان العُربان الذين جاءوا مــن كل وكرٍ ومن كل فجٍ عميق لمحاربة قافة الحرية والديمقراطية. وما يجريَ في العراق الآن ليس مقاومة للاحتلال ولكنه مقاومة سرقة واعتداء ونهب لقافلة الحرية والديمقراطيــة. وما قُتل من العراقين صُنّاع المستقبل العراقي(الجيش والشرطة والطلبة والأساتذة والأطبــاء والعلماء والسياســيون والكتــاب والمثقفون وغيرهم) أضعاف أضعاف ما قُتل من الأمريكيين.

والطــرف المخاطب في كتابي هو الشــعب العراقي والليبراليون العرب وأجيال المســتقبل. ما انتظره من هذا الكتاب هــو أن تتحقق الآمال العريضة التي نادى به هذا الكتاب، وهي آمال الحرية والديمقراطية التي قطع العراق فيها شوطاً كبيراً حتى الآن رغم كل هذه الدماء اليومية الغزيرة والزكية البريئة. ولكن هذا هو ثمن الحرية. لقد دفعت أوروبا أكثر من عشرة ملايين ضحية ثمناً لحريتها من النازية والفاشــية في الحرب العالمية الثانية. ودفعت أوروبا الشــرقية مئات الآلاف ثمنــاً لحريتها من الديكتاتورية الســوفياتية. والثمن الــذي دفعه العراق حتــى الآن في الميزان العربي كثير جداً وغالٍ جداً، لأن العــرب لم يعرفوا معنى الحرية إلا علــى الورق وفي البلاغة العربية وفي ســحر البيان العربــي. أما الحريــة على ارض الواقــع فلم تتحقق منــذ أكثر مــن ١٥ قرناً. في حين أن مــا دفعه العراق مــن ثمن للحريــة حتى الآن ليس بالشــيء الكثير في الميزان الغربي الذي اعتاد أن يدفع الكثير والغالي ثمناً للحريــة. وانظروا ماذا دفع الكــورد من ثمن غالٍ في شــمال العــراق في حملة الأنفال وغيرهــا من حملات القتل والتدمير ثمناً لحريتهم واستقلالهم.

وإذا اعتقدتــم بــأن كتابي لم يصــل الى القاريء العراقي والكــوردي فأنا افوضكــم بترجمته الى اللغة الكوردية وطباعته وتوزيعــه مجاناً لوجه الله ووجه الحرية، كما تــم توزيع كتاب(الحصافة Common Sense) لموقد الثورة الأمريكية توم بين Pain.

الإرهاب

س٢: لاحظت في بعــض من مقالاتك التي تناولت فيها ظاهرة الإرهاب في العالم العربي والإســلامي أنك لا ترى في الأفق والأجل القريب أي مؤشــر لزوال هذه الظاهرة، وقد قلت ذات مرة أن الإرهاب لن ينتهي ولن يُقطع دابــره إلا إذا تغير وجه العالــم العربي الثقافي والإجتماعي والسياســي .. هذا صحيح ولكن الســؤال هنا هو: كيف يحدُث هذا التغيير ومتى ســيتحول هذا الخطــاب الذي يرددها المثقفــون العرب وحتى بعض من السياسيين من شعار الى عمل واستراتيجية عربية إســلامية متبعة في كافة الدول التــي تعاني من هذه الآفة؟ المشــكلة هي أن التغيير أصبح خطاباً ســرمدياً دون أن يتغــير ! أي دون أن يتجاوز نفســه كخطاب أو شعار أو دعوة أو إتجاه آيديولوجي فاقدٍ للمصداقية.. برأيــك كيــف يتغــير الوجــه الثقــافي والإجتماعي والسياســي للعالم العربي وما هي شروط هذا التغيير في الفضاء العالمي الراهن ومن ســيحققه في ظل أنظمة نعلم أن معظمها غير ديمقراطية إن لم نقل شــمولية و ديكتاتورية؟

ج: التغيــير عمليــة طويلة جداً. لقــد احتاجت أوروبا الى أكثر من مائتي ســنة لكي تتغير، وما زالت بحاجة الى زمن لكي تتغير أكثر. نحن في العالم العربي نتغير، ولكن ببطء شــديد جداً كحجارة النهر الجاري. وهذا شيء طبيعي. فالتراكمات الدينية والثقافية التي شــكلت أطناناً من الكلس المتراكــم على العقل العربي

مــن الصعب أن تــزال بين يوم وليلة، ســيما وأننا ما زلنا حتى الآن لم نتحرر من ســلطة المؤسسة الدينية، ومن فصل الدين عن الدولة فصلاً تاماً ، وجعل الدين للأمة وليس للدولة، وللناس وليس لرجال السياســة، لكــي لا يخطفــوا الديــن، ويجعلوه مطيــة لتحقيق أغراضهم، كما هو الحال الآن.

وأما بالنســبة للارهاب، فالارهاب لن ينتهي إلا إذا تم تغيير البنية السياســية والثقافيــة والاجتماعية والاقتصاديــة العربيــة. فالارهاب كتجــارة المخدرات وتجــارة الدعــارة والقمار وغيرها من آفــات المجتمع. القضــاء علــى الارهاب لا يتــم بقتل ارهابــي أو ألف ارهابــي. كما أن القضاء على تجــارة المخدرات لا يتم بقتــل تاجر ومهرب أو ألف تاجــر ومهرب مخدرات. والقضــاء علــى الدعــارة لا يتم بقتل داعــرة أو ألف داعرة. لقد قتل ماوتسي عشرات الآلاف من الداعرات في الصين وفي شــنغهاي علــى وجه الخصوص. وكذلك فعل الخميني في ايران ولكن ما زالت الدعارة منتشرة في الصين وايــران، لأن المجتمع لم يتغيركثيراً. وتغيير المجتمع لا يتم إلا بتغيير القيم. والقضاء على الارهاب لا يتم بقتل الارهابيين فقط ولكن يتم بالقضاء على ينابيــع الارهاب، وهــي التعليم الدينــي والاقتصادي الديني والمجتمع الديني المتشدد ورجال الدين الذين يخطفــون الدين بالفتاوى السياســية المدفوعة الثمن مسبقاً.

الطريق الى التغيير في العالم العربي يتم من خلال الإصرار على المضــي في طريق الحرية والديمقراطية واعطاء الأقليات حقوقها كاملة والاعتراف بالآخر.

الاحتلال

س٣ : في إطار رؤيتك الى المشــهد العراقي وما يُقال بشــأنه، أنتقدت عبارة الإحتلال، و نفهم بالطبع أنك لســت مع أي نوع من أنــواع الإحتلال و ذكرت هذا في مقــال أذكره جيداً، و لكنك مع الحالة العراقية تنظر للأمر بشكل مختلف وبمفهوم مغاير تماماً.. أنك ترى أن العــرب لا يفرقون بين الإســتعمار الذي جاء دون دعوة والجيوش التي جاءت بناءاً على دعوة أهل البلد للخلاص من حكم سياســي أصبح – كما تقول – من المســتحيل إزالته بالقوى الذاتية السياسية الداخلية.. هل هذا يعني أن الأنظمة العربية التي لا تريد التغيير ولا تلبي مطالب الشعوب والمجتمعات العربية وإراداتها في الإنفتــاح و الديمقراطية وإحترام حقوق الإنســان وكرامة هذا الأخير محكوم عليها بالوقوع في الفخ الذي وقــع فيه نظــام البعث في العــراق، أي إحتلال بلدنها بدعوة من شــعوبها المقهــورة كما حصل مــع الحالة العراقية ؟ وبالتالي أليس هذا يعني أن مفهوم الإحتلال الــذي يُقدم الآن في صــورة ســيئة دون دخول في أي تفاصيل وأي تشخيص لمسبباته والمسؤولين الحقيقيين عنــه هي حدث إيجابي كما ذهــب اليه المفكر العربي هشام جعيط للتغيير المنشود في العالم العربي ؟

ج: نعــم، يجــب التفريــق بــين «الاحتــلالColonization» وبــين «الإحلالSupplantation» كما قلت في مقال سابق. الاحتــلال هو نــزول قوات اجنبية في بلــد رغماً عن ارادة هذا البلد ومواطنيه من أجل استعمار هذا البلد والاستيلاء على ثرواته ومقدراته. ما حصل في العراق عكس ذلك تماماً . القوات التي نزلت في العراق حررت العراق من حكم طاغية ونظام حكم استبدادي. حررت الشــعب العربي والشعب الكوردي. وتحاكم الطغاة الآن الذين ارتكبــوا اكبر الجرائم في حق العرب في الدجيل وأبشــع الجرائم في حق الكورد في حلبجة وغيرها من المناطق الكوردية. والعمليات الارهابية التي تتم يومياً الآن في العراق ليســت لازالة هذا الاحتلال ولكن لازالة كل مظاهر الحرية والديمقراطية والسطو على قافلة الحريــة والديمقراطيــة العراقية كمــا كان الأعراب من البدو يســطون على قوافــل التجارة. لذلك يجري اغتيال السياســيين العراقيين الذي ســاهموا في البناء الديمقراطــي العراقي حتــى الآن. الاحتلال لا يقول للعراقيين إذا أردتم أن انســحب غداً فأنا على استعداد

لأن افعل ذلـك. لم يقل احتلال في التاريخ للشعوب المحتلة ذلـك لا في الماضي ولا في الحاضـر. ولم نقرأ ذلـك أبداً، سـيما وأن التاريخ الأمريكـي ليس تاريخ الاسـتعمار، وانما هو تاريخ الحرية كما نعلم. وبوش لـن يكون - حتـى وإن أراد ذلك شـخصياً - نابليون الجديـد، أو الملك جورج الخامـس وامبراطور العراق، كما كان جورج الخامس ملك بريطانيا امبراطور الهند (١٩١٠-١٩٣٦). ليـس لأنـه غير قادر علـى ذلك، ولكن لأن الثقافة السياسـية الأمريكية والتاريخ السياسـي الأمريكي يحولان بينه وبين ذلك. فلا تراث استعمارياً امريكيـاً يرتكز عليه بوش أو من سـيأتي بعد بوش لكي يحول العراق الى دُرة في التاج الأمريكي كما كانت الهند درة التـاج البريطاني ذي التاريخ الاسـتعماري الطويل والمعهود.

الأنظمة العربية بكاملهـا ضد ما حصل ويحصل في العراق. ضـد حرية العرب وحرية الكورد. مصالح حكامهـا ضـد ما يجـري في العـراق من بنـاء نظام سياسـي ديمقراطي حر. سـوريا الآن تضع كل ثقلها في العراق وكذلك ليبيـا وغيرها من الأنظمة العربية الديكتاتورية. حرية وديمقراطية العراق هي المحرقة التي سـوف تحرق الديكتاتوريات العربية فيما لو تم البناء الديمقراطي في العراقي.

المثقف العربي

س٤ : نجدك أحياناً توجـه نقداً لاذعاً للمثقفين العـرب على موقفهم الضعيف أو المخجل إزاء ما جرى للعراقيين على يد نظام صدام من كوارث إنسـانية و جرائم كبيرة أقترفها البعث، وقد سـميت الكثير منهم بمُمَجـدي الطاغية... أذكر موقفك هذا لأسـألك عن هذه المشكلة الحقيقية التي تواجهنا مع المثقف العربي أو لنقل أغلبهم لكي لا نقع في لغة التعميم - أسـأل ما هي يا ترى أسـباب وقوف الكثير من المثقفين العرب بجانب الأنظمة العربية والتباكي الإعلامي والخطابي والتنظيري المباشر وغير المباشر على زوال نماذج منها كانـت في غايـة الدموية واللاإنسـانية ونماذج أخرى منها هي – كما يقول المفكر د.برهان غليون – أنظمة ديكتاتورية و إستبدادية بإمتياز فقدت شرعيتها منذ زمن بعيد ولم يعد أي سبب لبقاءها ؟ لماذا تحَلّ المثقف العربي بالصمـت تجاه ما حدث للأكراد والشـيعة و الكثير من أهل السـنة التقدميـين منهم والعلمانيين طيلة سنوات حكم صدام الإستبدادي؟ و لماذا أصبحت أصحاب الضمائر والرسـالة الأخلاقيـة والنقدية من بين المثقفين العرب من الشـرائح الغائبة و المُهَمَشـة لا يهتـم بهـم الأعـلام العربي ويلقي الضـوء عليهم في الوقـت الذي تدعي الكثير مـن القنوات الإعلامية العربية بأنها منابر للتعبير عن الرأي و الرأي الآخر ؟ أين هو الرأي الآخر مقابل رأي اولئك الآيديولوجيين الذين يعتبرون أنفسهم كمثقفين للعالم العربي؟ كيف تنظر الى هذه المسائل .. ؟

ج: المثقفـون العرب هم الثقافة العربية. والثقافة العربية هي ثقافة الأجوبة وليسـت ثقافة الأسـئلة. بمعنـى أن الثقافـة العربية منذ ١٤ قرنـاً اعتادت أن تجيب دون أن تُسأل أو تَسأل. السؤال في الثقافة العربية ممنوع ومُحرّم . لقد قُتل وعُذب وصُلب وسُـجن ابن المقفع والحلاج ومهيار الدمشقي وجعد بن درهم وأبو ذر الغفاري وغيرهم لأنهم سألوا. وقالوا (لماذا؟)

وأنا في كتابي الأخير بعنوان (لماذا؟ .. أسئلة العرب مطلع الألفية الثالثة) قلت في المقدمة:

لماذا ؟

لـماذا اخترنـا أداة الاسـتفهام هـذه عنوانـاً لهذا الكتاب؟

الاجابة على ذلك واضحة.

فالثقافـة العربية منذ زمن طويل، معروفة بأنها ثقافة الأجوبة، وليست ثقافة الأسئلة.

الأسـئلة في معظم الأحيان ليست ممنوعة فقط، ولكنها محرّمة أيضاً.

وما من أمة عاقبت السـائلين على أسـئلتهم كما عاقبت الأمة العربية سائليها.

فكل المثقفين والفلاسفة والفقهاء والشعراء والحكماء الذين سجنوا وعذبوا وشنقوا طيلة ١٤ قرناً مضت، كانوا ضحايا أسئلتهم.

الثقافة العربية منذ ١٤ قرناً كانت وما زالت ثقافة الأجوبة الجاهزة، بدون أسئلة.

أجوبة مجانية قديمة جاهزة ومجترة، ولكن الأجوبة عن أسئلة العصر غير موجودة.

ومن هنا جاء عنوان هذا الكتاب:

لماذا؟

وهذا تصديقاً لقول نيتشه : « من أراد أن يرتاح فليعتقد، ومن أراد أن يكون من حواريي الحقيقة فليسأل».

الديمقراطية

-س٥ : بخلاف أغلب المراقبين السياسيين للمشهد العراقي ومستقبل هذا البلد الذي يعيش الآن في أوضاع سياسية وأمنية وأقتصادية متدهورة للغاية ، نراك غير متشائم حيال التحديات التي يواجهها المجتمع العراقي والتطلعات التي تتعلق بدمقرطة العراق كمشروع بديل ومُمحي للتراث الديكتاتوري البعثي .. و قد أشرت في مقال لك الى ما قاله إيريك ديفيز مدير مركز الدراسات الشرق أوسطية في جامعة روتجرز الأمريكية حول المجتمع العراقي، و الذي يرى- كما ذكرته في مقالك - إن جذور الديمقراطية في العراق ضاربة في المجتمع المدني أكثر من أي بلد عربي. وأن المجتمع الديمقراطي في العراق يعود إلى قرن كامل من الزمان، عندما تم انشاء كلية الحقوق في بغداد في العام ١٩٠٨ والتي كانت من أعرق مؤسسات التعليم الراقي في العالم العربي. وفي السنوات اللاحقة تمكن المعلمون وطلاب الجامعات والمهنيون من تكوين جمعيات واتحادات وأندية اجتماعية. وانشيء أول صالون ثقافي في العام ١٩٢٦ و مظاهر أخرى مدنية التي أعتبرتها كما أعتبرها ديفيز حاجة أساسية لبناء الديمقراطية، و لكن مع ذلك أشرت أيضاً الى شروط أساسية ينبغي الإشتغال عليها بهدف تحيق الديمقراطية في العراق و هي أولاً: اللاعودة المطلقة الى الحكم الشمولي، ثم المحافظة على مؤسسات المجتمع المدني، و إعتماد سياسة السوق الحرة، و قيام قضاء حر و نزيه .. و السؤال هنا هو : كيف يمكن أن تتحقق الديمقراطية و العراق يعيش الآن تحت ظروف صعبة و قاسية لا تفسح المجال لحل النزاعات و المشاكل السياسية و معالجة مشكلة إنعدام الأمن و تفاقم العنف و الإرهاب كي يباشر بشكل مبرمج و عقلاني لتحقيق و توفير العناصر التي ذكرتها و وصفتها كشروط لدمقرطة العراق؟

ج: كما قلنا سابقاُ، على الشعب العراقي أن لا يحسب أن تحقيق الحرية والديمقراطية بالأمر السهل، وبدون تضحيات. انظروا ما فعلت اوروبا الغربية والشرقية وماذا قدمت من تضحيات من أجل تحقيق حريتها. وإذا كان الشعب العربي لا يقدر ثمن الحرية فإن الشعب الكوردي أكثر تقديراً للحرية من الشعب العربي المرتهن للعبودية منذ ١٤ قرناً. أنظروا كيف استقبل الشعب الكوردي التحرير في نيسان ٢٠٠٣ بالزهور والغناء والرقص والبناء. وانظروا كيف استقبل الشعب العربي في العراقي التحرير بالسيارات المفخخة وبالدماء اليومية والقتل والتدمير. الكورد شعب متحضر من هذه الناحية أكثر من العرب. والاستقرار والبناء الذي نراه في المناطق الكوردية الآن دليل على حضارة هذا الشعب. والفوضى الذي نراها في المناطق العربية دليل على همجية العرب في تلك المناطق. تحقيق الحرية والديمقراطية في العالم العربي يجب أن يُستلهم من التجربة الكوردية في العراق. انظروا الى الفرق بين شخصية جلال طالباني (حفيد صلاح الدين الأيوبي) وصدام حسين أو بشار الأسد أو معمر القذافي أو علي عبد الله صالح أو غيرهم ، وستعرفون لماذا ما زال العرب مرتهنين حتى الآن للعبودية والاستبداد والديكتاتورية.

الفيدرالية

س: هناك فكرة بل دعوة كبيرة في أوساط سياسية و شعبية في العراق لتنظيم العراق إدارياً و سياسياً

من خلال تطبيق فكرة الفدرالية و النظام الفيدرالي في البلاد. و لنذكر أولاً أن الكرد يتمتعون الآن بشبه إستقلال ذاتي و لهم مناطقهم الفدرالية التي هي من أفضل المناطق العراقية أمناً و إزدهاراً و إنتعاشاً ، والشيعة تطالب الآن بأقامة أقليم فيدرالي في الجنوب يضم ٨ محافظات عراقية إحتذاءاً بما يسود في الأقليم الكوردستاني، و هناك من يقول أن هذه الفكرة هي الوحيدة لضمان وحدة العراق و أنها تمثل طريقاً قويماً لتحقيق أي مشروع ديمقراطي ترضى به أبناء الشعب العراقي و لكن المشكلة الآن تكمن في موقف قوى سياسية عراقية محدودة القوة والشعبية والنفوذ تزعم أنها تمثل سنة العراق و ترفض أي تفكير في فكرة الفدرالية، وقد قرأت أنك تقول في هذا الصدد أن موقف السنة من الفيدرالي غير مفهوم ويدهشك أن يقف العراق كله بكورده و شيعته ، بعربه ويهوده، بمسيحييه ومسلميه، على قدم واحدة بإنتظار البركة العربية السنية لكي يسير العراق حثيثاً في الطريق الجديد، و ذكرت أيضاً أن الفيدرالية تستعصي على فهم ووعي العرب السنة العراقيين ، وإذا كان الحال هكذا كيف يمكن لنا أن ننظر الى مستقبل هذا الموضوع، ما هي سبل إقناع السنة أو عواقب رفضها المستمر للفكرة وماهي مشروعية الأعتراض السني أصلاً من هذه المسألة وكيف يمكن التعاطي معها؟

ج: العرب السُنّة تاريخياً لم يعتادوا العيش إلا في ظل الخلافة الامبراطورية. وهم لم يعوا التغييرات السياسية التي طرأت على الأمم والشعوب. وما زال العرب السُنّة يحلمون باعادة الخلافة. وهم ما زالوا يبكون على سقوط الخلافة العثمانية بسيف أتاتورك العلماني عام ١٩٢٤. لذا فالعرب السُنّة لديهم عقدة نفسية وتاريخية وثقافية هي «عقدة الخلافة» التي استطاعوا تحقيقها من خلال حكم واستغلال واستعمار الشعوب الأخرى وآخرها كان جنوب اسبانيا (الأندلس) التي استعمروها لمدة سبعة قرون وما زالوا يبكون حتى الآن على هذه المستعمرات، في حين أن بريطانيا العظمى كفكفت دموعها، ولم تعد تبكي على مستعمراتها في العالم العربي وفي الهند وفي افريقيا. لذلك، ليس من السهل التخلي عن فكرة الخلافة الامبراطورية واللجوء الى الفيدرالية. الفيدرالية شكل ونظام سياسي حدبث وحضاري لم يرقَ اليه حتى الآن العرب السُنّة. لم يصلوا بعد الى المستوى السياسي السويسري الفيدرالي، أو المستوى السياسي الألماني الفيدرالي، أو المستوى السياسي الأمريكي الفيدرالي. ما زالوا يريدون تحقيق دولة معاوية بن أبي سفيان، أو جعفر المنصور الامبراطورية، ودولة عبد الناصر القومية ودولة حافظ أسد البعثية.

الطريق الوحيد لاقناع العرب بالفيدرالية هو المثال الكوردي الفيدرالي الناصع الآن في شمال العراق.

دعوا العرب السنة يزورون شمال العراق، ليروا كيف تمت اقامة المثال الفيدرالي الكوردي الحضاري التقدمي الآن. ولكن العرب السُنّة يظلوا بحاجة الى وقت طويل لكي يتخلصوا من كابوس الخلافة والإمبراطورية العربية الاسلامية، في وقت لم يعد مكان لمثل هذه الامبراطوريات في التاريخ الحديث.

الأنفال و حلبجة

س: ما عدا المفكر العراقي هادي العلوي و السوسيولوجي العراقي المعروف د. فالح عبدالجبار و الباحث الكبير كنعان مكية و عدد آخر من المثقفين العرب الحقيقيين، لم أقرأ أي موضوع أو مقال أو دراسة أو كتاب يكرسه المثقف العربي للحديث عن الكوارث الإنسانية و المجازر التي تعرض لها الشعب الكوردي كالذي قرأته في مقالك الذي كان يحمل عنوان (الذاكرة العربية المثقوبة) .. فالمثقف العربي لم يهتم بمآسي الكورد و إضطهادهم و ويلاتهم التي عانوا منها في العراق و ظلوا غير مبالين لما يصيب الشعب الكوردي الذي يربطه بالشعب العربي روابط تاريخية عربية و إسلامية، أي ثقافيو حضارية.. مالذي جعلك أن تكتب عن حلبجة و الأنفال ، كيف سمعت بهذه الكوارث لأول

مــرة و ماذا قرأت عنها و كيــف تلقيت ذلك وما كان شــعورك عندما أطلعت على عمليات بربرية همجية أُرتكبت بحق الكورد الذي هو شــعب مســلم في أغلبه دون يأخــذ العالم الإســلامي أي موقف تجاهه و تجاه مآسيه و كوارثه.. ؟

ج: كتبت عن حلبجة والأنفال من موقعي كمثقف عربــي عضوي يجــب أن يعــرف الحقيقــة، ويقول الحقيقة كاملة، بغض النظر عن صاحب هذه الحقيقة والمستفيد منها، سواء كان مسلماً أو غير مسلم، عربياً أو غــيرِ عربي. فأنا أكتب انطلاقاً من الحقيقة وليس انطلاقاً من ديني وعروبتي ووطنيتي وشــرف قومي وعــزة أمتي وكرامتهــا. وهذا هو الفــرق بيني ومن معي من الكتاب الليبراليين والفرقاء الآخرين. الكاتب الليبرالي هو الكاتب الذي لا ينتمي الى أية ايدولوجية أو قوميــة أو دين، غير الحقيقــة. فالكاتب الليبرالي ، هو كاتب الحقيقة، أياً كانت هذه الحقيقة، سواء كانت عنــد العرب أو العجــم، عند الشــرق أو عند الغرب، عند الكورد أو عند الآشــوريين، عنــد اليهود أو عند البوذيين، عند المســلمين أو عند المسيحيين، عند أبيه أو عند أمه. الكاتب الليبرالي، ليس سياســياً في كلامه وفي أقواله، يداري ويجاري ويواري. يزوغ من الحقيقة كما يزوغ السياســيون، ويراوغ كما يراوغ السياسيون، ويعممون الكلام، ويطلونه بطبقة من العســل السام. الكاتب الليبرالي في العالم العربي، ضد التيار العام، ضد الأغلبية، طويل اللســان في الحق على أي كان، ومحامي الشيطان، ومُنغّص الأبدان، ولا يكتب بأجر أو إحسان، وهــو في نهاية المطــاف ملعون، ومنبــوذ، ومرفوض، ومغضــوب عليه من الناس والســلطان، ومن الضالين آمين.

وأما موقف المسلمين من كوارث الكورد، فالمسلمون لا موقــف لهــم إلا من رســم كاريكاتــوري أو مخرج هولنــدي أو كلام بابا عابر. أمــا موقفهم من كوارث من هم اخــوة لهم في الدين فهــو موقف خانع. وهي مواقف سياســية أكثر منها مواقــف دينية. حيث لا موقف دينياً للمســلمين. ومواقفهم جميعاً سياســية. والعرب لا يعرفون الرحمة والعدالة والقيم الأخلاقية الإســلامية الرفيعة. العــرب لا يعرفون من الإســلام غير الســجود والركوع والصيام والحج وخطف الدين وتفخيخ الســيارات وقتل الأبرياء والسعي لوطء حور العين في الجنة الموعودة.

رفيق حلمي والقضية الكردية

خالد محمد خالّ
استاذ مساعد في جامعة السليمانية

كلمة لابد منها

عثرت في مكتبة والدي المرحوم الشـيخ محمد الخال على مذكرة بالغة الاهمية وذات قيمة تأريخية تقع في صفحتين كتبت في شـباط ١٩٤٤، تلقي ضوءا على احداث هامة تخص قضية شـعبنا الكـردي وتطلعاته القومية والثقافية المشـروعة منذ عشـرينيات القرن الماضي وحتى اواسط الاربعينيات. وفي سياق المذكرة التي كتبت من قبل المع شـخصية كردية في الوسط الثقافي والسياسـي المرحوم الاستاذ (رفيق حلمي)، والموجه الى معالي (ماجد مصطفى) بناء على طلبه، وهو احد وزراء الكرد الذي بقي حقبة من الزمن وزيرا في معظم التشكيلات الوزارية العراقيـة. ورغبة مني في اطلاع المثقفين الكرد على محتوى هذه المذكرة القيمة، ولتقوية التواصل بين الاجيال الذين سـبقونا وقدموا الكثير من الجهود المضنية لانجاز ما امكن انجازه في مجالات كثيرة تخص التأليف والنشـر ورفع مستوى الثقافة والتعليم، وشحذ الهم للمشاركة في تقدم المجتمع الكردي، وابراز الوجه المشرق لامتنا الكردية في الاوسـاط العالمية وغيرها، وبين الجيل المعاصر ليطلع على جهود من سـبقوه في هذه المضمار -رغم امكانيتهم المتواضعـة- على امل ان يقـدم الجيل الجديد افضل مالديه لخدمة اهداف وتطلعات امتنا الكردية، لمواصلة هذه المسـيرة الباركة، للنهوض بالمجتمع الكردستاني الى مستويات مرموقة يعترف بها الاعداء قبل الاصدقاء، لاختصار الطريق للوصول الى اليوم الذي يتمناه كل كردي مخلص لشعبه وتراب وطنه، ووفاء لآلاف الشهداء من ابناء هذه الامة العريقة المكافحة الذين استشهدوا في سبيل غد اكثر اشراقا لامتنا الكردية.

نص مذكرة الكاتب والمفكر الكردي الكبير الاستاذ رفيق حلمي الى معالي ماجد مصطفى الوزير السابق ابان الحكم الملكي في العراق

السليمانية

١٩٤٤/٢

معالي ماجد بيگ المحترم

عزيزي: لقد طلبتم الي ابداء رأيي حول الاصلاحات المقتضية في المناطق الكردية لتنظيم ماكنة الادارة والسياسة تأمينا لتوجيه الشعب الكردي نحو الهدف المنشود الا وهو تقوية الروابط بينه وبين اخوانه العرب من جهة واطمئنانه الى نيات الحكومة الحسنة وركونه الى الهدوء والسكينة في كل الادوار من جه اخرى. ولكنني قد تأخرت مدة من الزمن وتماطلت كثيرا في تقديم آرائي لمعاليكم، وذلك لا لعدم اعتمادي على نواياكم او لاعتقادي بان في الامر مالم يشبه ظاهرة باطنة، حيث قد مرت على هذا الشعب خلال العشرين سنة الماضية تجارب قاسية دربته على تقدير الموقف ومرنته على كيفية الاتقاء من شرور الحركات المضللة، فلا يوجد هناك كردي قد اعماه الجهل الى درجة يصعب معها عليه التمييز بين الحق والباطل وبين الواقع الملموس والغش والخداع. الا ان اهمية الموضوع قد جعلتني اتردد كثيرا في التسرع في ابداء ملاحظات شخصية قد تكون تافهة وبعيدة عما تصبو اليها نفسكم خاصة وان بضاعتي العلمية والسياسية قد لاتساعدني على الاحكام في المرمى. غير ان الحاح معاليكم وايعاز البعض من محبي الاصلاح خاصة الغيورين منهم على مصلحة العراق، مما اضطرني الى التفكير في الموضوع تفكيرا مبينا على لزوم وضع مصلحة البلاد فوق كل اعتبار، ومما جعلني انزل الى ميدان الخدمة بجرأة وشجاعة تامتين. ان اول شيء قمت به هو التطلع الى آراء المفكرين من الاكراد بعد ان تأكدت من ان الرجال المسؤولين عن ادارة سياسة الدولة هم على استعداد للقيام بالاصلاحات التي ترغبون عرضها عليهم. فوجدت ان الأراء منقسمة الى اقسام يختلف بعضها عن بعض اختلافا عظيما، الا انه من الممكن حصرها في قمسين مهمين كما يأتي:

١-الرأي القائل بلزوم تنفيذ كل ماتعهدته الحكومة العراقية تجاه الكرد عند دخولها كعضو في عصبة الامم وادرجته في صلب الدستور دون قيد او شرط ودون خلق المشاكل او استعمال سياسة التضليل والمماطلة في تطبيقها، على ان يكون الموظفون المترهون من الاكراد هم المشرفين على تنفيذها مع القيام باصلاحات جدية في معارف المنطقة الكردية، وذلك بفصلهم فصلا تاما عن وزارة المعارف لتتمكن وضع مناهج خاصة لمدارس الشمال، ومن تغيير انظمة الامتحانات واحضار الكتب الكردية الموافقة لحاجة المنطقة الروحية والاجتماعية والاشراف على حصة ابناء الكرد من البعثات، ولرفع الضغط عن الشعور القومي المكبوت وامكان توجيهه حسب سياسة الدولة العليا مع القيام باصلاحات اخرى مماثلة لها في بقية النواحي الادارية والاقتصادية والزراعية كتشكيل لوائين اخرين من المناطق الكردية المشمولة لقانون اللغات المحلية وتعديل النظام، وانتقاء الموظفين الاداريين لهذه المنطقة وفسح المجال امام الكرد لانتخاب مندوبيهم من الذين يطمئنون اليهم ويوثقون بهم كرسل امناء قد يتمكنون من ايصال شكاويهم ومطاليبهم المشروعة الى آذان الحكومة عن طريق المجلس وغيرها، التي اعتقد انها قد عرض كلها او بضعها على مختلف الحكومات العراقية المتتابعة بتقارير خاصة مفصلة من رجالات الكرد البارزين كمعالي امين زكي بگ وعلي كمال بگ جمال بگ بابان وغيرهم. واجتنابا من التطويل اصر على معاليكم التفضل بمراجعة تلك التقارير التي لابد وانها محفوظة في اضبارات الدولة او موجودة لدى اصحابها، وذلك للاطلاع على تفاصيلها مرة اخرى.

٢-اما الرأي الثاني فهو التجنب عن كل مايحدث سوء التفاهم بين الكرد والعرب في العراق مع السعي لاقناع

الرجالات المسؤولين تدريجا بضورة احداث تغيير كاف في سياسة الدولة وفي شكل الحكم في المنطقة الكردية، وذلك عــن طريق التفاهــم الودي المبنى على الاخلاص التام تجاه العرش وتجاه وحــدة البلاد. وقد لايتم هذا في نظر القائلين بالرأي الثاني الابعد ان تحصل القناعة الكافية لدى المشتغلين بسياسة البلاد حول لزوم القيام بالاصلاحات الاساســية المنشودة. فعند ذلك قد لايصعب على الحكومة اصدار بيان او تصريح رسمي مع دعوة ممثلي مختلف الطبقات من الشعب الكردي فورا للاشتراك في مؤتمر ينعقد تحت رئاسة احد كبار موظفي الدولة (انگليزيا كان او عراقيا) على ان يمثل فيه جانب العرب رجالات بارزين من المشــتغلين بالسياســة العراقية وبسياســة الدولة. وبهذه الصورة قد تكون مقررات المؤتمر الصادرة حول الاصلاح المتفق عليه مفرغة في الشكل الذي يلائم السياسة العليا ومطابقة لمرضاة الجانبين الكردي والعربي بدلا من ان تكون سببا لاثارة الشغب والفتن او داعيا للانحراف عن السياســة المرسومة للدولة، كما انه لايوسع شــقة الخلاف بين الشعبين او بين الكرد والحكومة بل انما يمنع الاضطرابات التي قد تتولد من المطاليب والمقترحات الصادرة حول الاصلاح من الجانب الكرد وحده دون ان يكون اي استعداد لقبول مثل هذه المطاليب من الجانب الآخر (الجانب العربي او الجانب الحكومي) خاصة وان المطاليب التي تصدر من الاكراد قد تكون خارجة عن نطاق سياسة الدولة ومضرة بمصالحها او قد يكون اقل من الحاجة الماســة لتأمين رضاء الشــعب الكردي واخلادهم الى السكينة اخلادا تاما وذلك فيما اذا كانت تلك المطاليب صادرة من جانب واحد او من قبل اشخاص معدودين قد لايحق لهم تمثيل الشعب الكردي العراقي بأجمعه. هذا بصرف النظر عما ســتولد تلك المطاليب (مشــروعة كانت ام غير مشــروعة) من الضغائن والاحقاد والفتن بين هذين الشعبين اللذين مافتئت رجالاتهما البارزين يحاولون بروح التآخي والتصافي بينهما بكل ما اوتوا من قوة. واخيرا اصارح معاليكم بانني اشارك شخصيا اصحاب هذا الرأي، وارى انه من انسب الآراء وانضجها التي قد يؤدي الاخذ به الى الاصلاح المنشود والى حصول التفاهم التام بين الشعبين اللذين من الضروري تأخيها وتعاونهما على الدوام. بالنهاية اتمنى لمعاليكم التوفيق في مهمتكم الشاقة، وارجو للأمة وللبلاد التقدم والنجاح المستمرين.

ملاحظة: انني قد اهملت الآراء المتطرفة لعدم موافقتها لآرائي الشــخصية ولعدم ملائمتها طبيعة الظروف الحاضرة.

المخلص: رفيق حلمي

ملاحظة/ هناك اخطاء لغوية واملائية في النص، آثرنا ان نبقيها كما هي، وذلك اصرارا على صون الامانة في النقل. (سردم العربي)

فائق بيكه س شاعر ثوري من كوردستان

جمع واعداد: محمد عبدالرحمن زەنكەنه

هو فائق ابن عبدالله بيگ ابن الياس قوجه اسـرة انحدرت من (قەلاّچوالان) السـليمانية، والدة عبدالله بيگ من امراء الحامية العثمانية هناك، ويسمى من جهة امه الى اسرة (ئاغالەر) وهي من امراء السليمانية المعروفة.

ولد شـاعرنا في سـنة ١٩٠٥ في قرية (سيتەك) وقضى السنة الاولى والثانية فيها وبعد ذلك انتقل مع اسرته الى السليمانية. وفي السنة الثالثة من عمره اصيب بالجدري ودخل المدرسة الدينية وفي سنة ١٩١١ نقل والده الى خانقين وبعد ذلك الى بغداد وبعث والده يطلب من اسـرته المجيء الى بغداد ليكونوا في كنفه، وبعد مرور عام واحد سافر والده الى تركيا مخلفا اياهم في بغداد ولم ير والده الى الابد.

وبعد مدة قصيرة غرق اخوه الاكبر (حمه سعيد) في نهر دجله وماتت امه.

وظل فائق عند خاله عدة شهر، توفي خاله وبقي فائق مع اخيه الصغير (طاهر) وحيدين لامعين لهما سوى الله.

واشتعل لهيب الحرب العالمية وانقطع الطريق بين بغداد والسليمانية الا ان عمهم (كاكه حمه) ارسل الخبر الى (الحاج علي آغا) لكي يأخذهما اليه واخذ يصرف عليهما مما ترك لهما والدهما.

وقد سـلمهما (الحاج علـي آغا) الى امرأة تدعى (حبه خان) زوجة احد ضبـاط الكورد القاطنين في بغداد واخـذ في بعـض الاحيان يعلمهما القراءة والكتابة وبقيا على هذه الحالة ثلاث سـنوات وبعد ذلك اعادتها هذه المرأة الكوردية الى السليمانية وسلمتها الى عمهما (الحاج امين).

وفي السـليمانية ادخل فائق المدرسـة وقبل في الصف الثالث في عام ١٩٢٣ وكانـت ملامح الذكاء بادية عليه وكان يحرز المقام الاول في امتحان كل عام وفي السنة نفسها اي سنة ١٩٢٣ وبناء على رغبة عمه سافر الى كركوك ليدرس في المدرسـة العلمية هناك ولكنه لم يتمكن من مواصلة دراسـته وسـافر الى بغداد ودرس خلال عامي ١٩٢٤-١٩٢٥ في دار العلوم وفي عام ١٩٢٦-١٩٢٧ عاد الى السـليمانية وبسـبب نضاله السياسي اضطر لدخول المدرسة المتوسـطة الوحيدة انذاك دخل الصف الاول المتوسط واضطر لفتح دكان صغير لبيع السيكاير لضيق يده، وفي بعض المرات كان يبيع السـيكاير وعلب الكبريت في المقاهي والشـوارع واشتغل كعامل يومي باجرة زهيدة لعدة اشهر لكسب لقمة العيش.

وفي عام ١٩٢٨ مكث عدة اشهر في اربيل وفي تلك الفترة كان المرحوم (عبدالقادر عائشة هان) مهندسا مشرفا على طريق اربيل وروانددوز ورايات وكان شاعرنا يشتغل هناك.

وفي عام ١٩٢٩ طرق سمعه نبأ وفاة والده في (مرعش) بتركيا سافر الى هناك، وفي عام ١٩٣٠ ولما لم يعثر على اثر يذكر لوالده عاد بخفي حنين.

وفي العام نفسه اندلعت انتفاضة السادس من ايلول ردا على الانتخابات المزورة التي كانت السلطات في العهد الملكي تنوى اجراءها تقدم الشاعر فائق بيكس كمناضل ثوري وبحس الشباب المرهف ونتيجة الظلم الاجتماعي الـذي تجرعه واقتحم الميـدان على رأس المجموعة الهـادرة وكان له دور كبير في تلك الانتفاضة وجرح خلالها وادخل السجن وفصل عن العمل. وفي غياهب السـجون انطلق صوته وكتب قصيدته الشهيرة (يا وطني انا مفتون بك).



وطني الحبيب! انا مفتون بك
على ان ذكراك دغدغت خيالي.
وانا رهين السجن والاسر. تقيدني الاغلال والقيود
حذار ان يدور بخلدك ان السجن والذل والعذاب انستني اياك
فلم اغفل عن ذكرك والتفكير فيك لحظة واحدة
قسما بالله الواحد الاحد لاشريك له
لقد اضرم حبك في قلبي نارا لن يستطيع اخمادها
حتى الطوفان الهادر
قسما بالذي يده فوق ايدي الجميع
والذي لا اله الاه!
فجرحي انا يتفتح بذلك الحديث
الى متى الحزن. هيا ابتسم وارفع هامتك
وكن فخورا فقد اطبقت شهرتك العالمين
لقد ازال البؤس واصبحت السعادة سندك
فكوكب حظك السعيد يلمع في الاعالي
لقد مضت عليك ايام الفرح فليتمزق العدو لم يعد يجدي نفعا ان يدعي المرء الوطنية في هذا العصر بمجرد الكلام
فاليوم يوم البذل وبه ينال المعرفة
اولادك الشجعان والحمدالله لايقصرون في السعي من اجلك
انظر اليهم كيف تتدحرج رؤوسهم في الدماء في سبيلك
لاتلمني ياوطني فمازلت ابنك الذي عرفته
واصبر الى ان تنفك القيود عن يدي وقدمي
عهد علي عهد الرجال اذا ساعدني الله

ان اكبل اعداءك كالكلاب وارميهم تحت اقدامك

***

وعندما يخرج من السجن يقوم بفتح مدرسة اهلية لتكون مصدر عيشه وفي سنة ١٩٣٣ يتعين معلما في قرية (مورتكه) في منطقة بازيان وبعد ذلك ينقل الى ناحية (طويلة).

وفي سنة ١٩٣٧ ابعدته السلطات الى (حلة) وبعد سنة الى (عمارة) ولم يرض فائق بذلك انما استقال وقفل راجعا الى السليمانية، حيث فتح مدرسة اهلية وظل يعلم فيها حتى عام ١٩٤١ حيث اعيد الى الوظيفة واشتغل في منطقة (قرداغ) التابعة لمدينة السليمانية وسورداش وحلبجة. وافاه الاجل في ١٩٤٨/١٢/١٨ ودفن في مقبرة (سيوان) في محافظة السليمانية.

وقد كان الشاعر بێکەس حربا شعواء على المساومين والخونة الراكضين وراء مصالحهم الذاتية المتاجرين بدماء الالوف من الجنود المجهولين الذين يخرون صرعى في سوح النضال والذين يتخذون من تضحيات الاخرين وشقائهم مدارج يرتقون بها الى سدة الحكم والمناصب متناسين الشعارات البراقة التي كانوا يرفعونها بالامس والاهداف النبيلة التي كانوا يتزعمون انهم يتبنونها.

ان قصيدته التي خمس بها رائعة پیرەمێر (الحاج توفيق) المعنونة (وفد كردستان) والتي تصب كؤوس اللعنات على اولائك الذين انتبذوا شعبهم وراءهم وقدموا فروض الولاء للعرش العراقي الغاصب انما هي شواظ من نار تلهب وجوه كل اولائك الذين يخونون شعبهم ووطنهم والذين يتشبثون باذيال الاجنبي المحتل ناسين هموم والام امتهم ويرمون اهداف شعبهم تحت اقدام الطغاة.

لقد حططتم من منزلة الشعب دفعة واحدة
فلم يعد لكم حياء ولم تبق لديكم سمعة
وحلت بكم الطعون واللعنات
يا وفد كردستان يا من باعوا شعبهم
يا ايها الوكلاء الاوباش عن مدينة الصمت المطبق

ويحس الانسان الثوري المرهف بكشف بێکەس عن المصالح الطبقية الضيقة الكاملة وراء الادعاءات الوطنية التي تتمشدق بها الطبقات الاستغلالية والفئات المصلحية ويعلن ان هذه الادعاءات ليست الا مجرد سلم تنال بواسطتها تلك الطبقات والفئات اهدافها الخاصة وانها لاتبقى مع الثورة بعد تحقيق اهدافها هذه بل تنكر لها وتطعنها من الخلف وتنسى كل ماكانت تقوله بالامس وتضع ايديها في ايدي الذين داسوا حرية الشعب وحقوقه.

وانت ايها الحاج المرابي المتاجر بتبوغ الفقراء
فمادامت تبوغك قد بيعت واشترتها الدولة
فما عليك الا ان تنهض بسرعة لتحزم باقة ورد من حديقة السراي
التي سقتها دماء الشباب
وتهيئ انت واقرانك وفدا
باقصى مايمكن من المبادرة والسرعة
ليقدموها الى اعتاب العرش العراقي
ليدفعوا عنه الهموم والاحزان وليقول له
مازال الصحب باقين ومازالت الصداقة خالدة
لم يهطل عليكم مطر ولم تهب بوجهكم ريح

ايها الفقراء

ولا حسرت شبابكم طلقات المدافع

ولا كبلت اقدام اعزتكم السلاسل

انهضوا واحملوا الى الامير ثياب الاعراس الحمراء

وقولوا له أأنت المستاء بعد كل ماجرى؟

ولكنه رغم التأثير السيئ الذي تحدثه هذه المواقف الضعيفة من القادر المكشوفين في عصر لايزال الشعب مفتقرا الى الوعي السياسي العلمي. وادراك الابعاد الاجتماعية للنضال السياسي والمصالح الكامنة فيه والمتضاربة فيما بينهم ورغم ان اوساطا واسعة من الجماهير اعترتها حالة اليأس من جراء فشل الانتفاضة ومن جراء بعض القادة من ابناء الطبقات الاستغلالية واصحاب النفوس المريضة لهم بانه لايدع اليأس يتسرب الى نفسه ومعلنا صرخة مدوية تصم اذان الذين توهموا ان حركة الشعب قد مضى عليها وان المذابح فعلت فعلتها في اخماد نار الوطنية في نفوس عامة الشعب فيقول:

لاتتوهموا ان عزائمنا قد خارت

فالرجال هم الذين يقتلون ويقطعون

ان الحقوق لاتنال من خلال الافرشة الوثيرة

خابت اوهامكم فالكرد لن يفنوا

وصكوك الخلاص انما تسطر بقطرات من دم

والشعب اقوى ولن تنهر عزيمته

ولن يتنكب لاهدافه السامية ابدا

وسيظل يناضل من اجل حقوقه وان قطع اربا اربا

انني اعشق اللون الاحمر

لان تباشير الفجر تلوح من خلاله

لقد كلف النضال بيّكەس كثيرا وبعد انقضاء مدة على فشل حركة ١٩٣٠، عمدت السلطة الى امتصاص الحقد من نفوس الجماهير وما توهمته الهاء للمناضلين من مواصلة النضال.

وله قصائد اخرى يفند فيها الامال التي كان البعض يعلقونها على هذه المؤسسات ويدعو فيها الى سياسة الاعتماد على النفس ونبذ الاتكالية وله قصيدة نظمها عام ١٩٤٤ بعنوان تضليل نورد بعض من ابياتها.

ليقل الناس مايقولون

ولكني ارى ان مايقال كذب وتضليل

لقد جربنا السياسة الدولية مئة الف مرة

وما زال البعض منها لينخدع بهذه التهويشات

والى آخر القصيدة

فشاعرنا (بيّكەس) لايلبث ان يرمي عن نفسه ثياب الهموم والاسى ويثور بوجه الواقع المرير وينطلق ويقول بصوته المروي.

كفاك البكاء والعويل ياشعبي

لن يجدي التأوه والاستنجاد في هذا الزمن الظالم

لن تنفع الاستغاثة شروى نقير
ان ماتفتقر اليه في هذا العصر
هو العزيمة والثبات

لقد كان (بيّكەس) شاعرا لايهاب الصعاب والمحن وكان يتحدى ايا كان، مهما عظمت منزلته وعلت سطوته. والسر في ذلك انه لم يكن قد ربط نفسه بشيء في الدنيا الا بحريته الفكرية التي جندها في سبيل شعبه ووطنه. بينما كان الكثيرون لاينظرون الى الوطنية والنضال الا من خلال معالمهم الذاتية والطبقية.

فان (بيّكەس) كان ارفع مستوى من ان ينحدر الى هذا الدرك لذلك فقد عاش كريما ومات كريما.

وكثيرا ماحاول المحتلون الاجانب والحكام العملاء شراء ذمته وضميره او على الاقل اسكاته. ومنوه بالرتب العالية والمناصب الرفيعة ولكنه كان اشرف من ان يخدع بهذه الاحابيل.

انه لم يخش السجن والفصل والتشريد والحرمان وتحدى كل العواصف التي هبت بوجهه. وابرز مثال في هذا المجال هو قصيدته التي القاها في الاحتفال الذي اقيم عام ١٩٤٦ في السليمانية تكريما للمستر ادمونس مستشار وزارة الداخلية البريطاني بمناسبة انتهاء عمله في العراق.

فقد كانت قنبلة فجرها بوجهه وكان ذا صدى عظيمة في عموم الاوساط وصارت حديث الالسن والمحافل لفترة طويلة ولم يبال الشاعر مما يترتب على قصيدته هذه من نتائج ذروة القوة في الوضع السياسي في العراق. يقول الشاعر في هذه القصيدة التي عرفت باسم سبعة وعشرين عاما مشت نورد هنا بعضها لان القصيدة طويلة.

سبع وعشرون عاما مضت وانا اكدح لك
بحزي ومائي وثيابي
خدمتك في بلاد الروم والعجم
وفي سبيلك تحطمت رقبتي
ومازلت مع ذلك اسير خائب المسعى
فماذا كان ذنبي، وماذا فعلت بي مافعلت
وعلام اهنتني هكذا دون وجه حق
وخدعتني بالتمويهات والاضاليل
وفي كل يوم ترقصني على نغم
وتحطم عنقي لاعراضك الذاتية
وعندما لايبقى مااعمله لك
تنبذ في ظهريا
فماذا كان ذنبي. ولماذا فعلت بي مافعلت؟!
وعلام اهنتني هكذا دون وجه حق؟!

ان الشاعر (بيّكەس) له اشعار اخرى سياسية لانتمكن بهذه العجالة ان نجمع او نعد كلها. ونكتفي بالقصيدة الرائعة (نسرين) رمزا للفتاة الكردية المحجبة. يريد منها كشف حجابها المتهري عن وجهها ودخولها الى ميادين الحياة الجديدة سافرة كفتاة مهذبة مثالية تؤدي دورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في المجتمع الكردي الجديد ويقول فيها.

نسرين لقد انقضت مدة طويلة وحسراتك في قلبي
لانك سجينة الدار وحياتك كلها مظالم

هنا انا اقول لك فهذا واجب علي
انهضي وناضلي مادمت في عنفوان شبابك
اسفري ولا تخجلي. فليس هذا العصر عصر الخجل!!
ان يومنا هذا يوم العلوم والمعارف
فالعالم المتحضر في عمل دؤوب ليل نهار
اعلمي ان لافرق بين الذكر والانثى في ميادين العلم والعمل
انهضي للنضال: مادمت في عنفوان شبابك
اسفري ولاتخجلي. فليس هذا العصر عصر الخجل!!
لاتقولي: اني فتاة لاتهمني امور الحياة فأنت مثلي
تحتاجين الى تلقي العلوم والفنون
فعليك ان تعملي وتخدمي المجتمع
انهضي للنشال. مادمت في عنفوان شبابك
اسفري ولاتخجلي. فليس هذا العصر عصر الخجل!!
لقد انحنى ظهرك من كثرة قعودك في البيت
اصبحت صفراء الوجه. نحيلة الجسم خائرة القوى
افلا نظرت الى فتيات الاجانب المتحررات من قيود الجهل؟!
انهضي للنضال مادمت في عنفوان شبابك
اسفري ولاتخجلي. فليس هذا العصر عصر الخجل!!
ان حليك وجمالك هي ان تتصفي بالحياء والثقافة
ومستقبلك المشرق مرهون بهما
لان الفتاة الجاهلة اسيرة ذليلة
انهضي للنضال. مادمت في عنفوان شبابك
اسفري ولا تخجلي. فليس هذا العصر عصر الخجل!!
هلمي يا نسرين لنشمر عن سواعدنا
لندخل ساحة النضال سوية ونقف وقفة الاخ مع اخته
ناضلي كي ترتقي بالكرد الى مصاف الامم المتقدمة
انهضي للنضال. مادمت في عنفوان شبابك
اسفري ولاتخجلي فليس هذا العصر عصر الخجل!!

***

وبالاضافة الى ذلك كله فقد نظم قصائد ذات طابع رومانتيكي في التغني بجمال الوطن ولكنها ممزوجة بالوطنية الدفاقة فجاءت القصيدة بصور بارعة لحب الوطن واخيرا فاننا ومهما كتبنا عن الشاعر فائق بێكەكس فاننا لم نتمكن من ان نعطيه حقه، حيث انه فوق الوصف والمدح. نم قرير العين بذكرك الاجيال جيلا بعد جيل.

ملاحظة: نشر المقال في مجلة (الكاتب الكردي بعدد خاص سنة ١٩٨٦).

المصادر:

١-ديوان بيكەس –جمع وترتيب الاستاذ محمد ملا كريم.
٢-الاشعار وقسم من حياة الشاعر- ترجمة كاتب مجهول.
٣-مقال الاستاذ نصرالدين مجيد زەنگەنە- بعنوان (فايق بيكەس شاعر ومناضل).
٥-بيكەس والشعر السياسي- الاستاذ عبدالرزاق بيمار- جريدة التآخي/ العدد ٢٠٨٨.
٦-كريم مصطفى شارةزا (مجلة المسيرة) باللغة الكردية والعربية العدد (٣٩).
٧-مصادر متفرقة اخرى.

فائق بيكەس[1] للشـاعر الكردي المناضل فائق بێكەس مكانة مرموقة في الشـعر الكردي المعاصر فقد كان صوتا عنيدا وقف ضد الطغيان والاحتلال الاجنبي دون ان يرف له جفن.. فعانى ماعانى ككل الشعراء الاحرار في العالم.. ولكن صوته الاصيل الداوي.. غير المسـاوم ظل خالدا في ضمير الشـعب الكردي.. في حين خفقت او اضمحلت كافة الاصوات المنافقة والجبانة.. فالتاريخ لايرحم كما يقولون.. ان هذا العرض الشامل لحياة ونضال ونهاية هذا الشاعر الكبير والذي كتبه الاديب الكردي محمد عبدالرحمن زەنگەنە انما يشكل في الحقيقة صورة مشرقة للوفاء لهذا الشاعر.. وقد قال فيه الكاتب زەنگەنە.. مالم يستطع او يرغب البعض قوله فيه..

لقد حططتم من منزله الشعب دفعة واحدة
فلم يعد لكم حياء.. ولم تبق لكم سمعة
وخلت بكم الطعون واللعنات
يا وفد كردستان.. يا من باعوا شعبهم
يا ايها الوكلاء الاوباش عن مدينة الصمت المطبق،

بهذه الصرخة المدوية الغيورة على مصير الارض والشـعب يواجه الشـاعر بێكەس كل المسـاومين والخونة الراكضـين وراء مصالحهـم الذاتيـة والمتاجرين بدماء الالوف من ابناء شـعبهم الذين يتخـذون من تضميات الاخرين مدارج يرتقون بها الى سـدة الحكم والمناصب الزائلة متناسـين الشـعارات البراقة التي كانوا يرفعونها بالامس... بهذه الصرخة وبغيرها واجه الشـاعر الخالد اعداء الشـعب والوطن.. وشـاعرنا في خضم اهتماماته ومعاركه السياسية لم ينس الفتاة الكردية.. حيث واجهها بصرخة اخرى يطالبها فيها بكشف حجابها ويدعوها الى المساهمة الفعالة مع الرجل لبناء الحياة الجديدة:

«نسرين.. لقد انقضت مدة طويلة
وحسراتك في قلبي
لانك سجينة الدار.. وحياتك كلها مظالم
هنا انا اقول لك.. فهذا واجب علي
انهضي وناضلي.. مادمت في عنفوان شبابك
اسفري.. ولا تخجلي.. فليس هذا العصر.. عصر الخجل»

وقد نظم الشـاعر كما يقـول الكاتب زەنگەنە «قصائد ذات طابع رومانتيكـي في التغني. بجمال الوطن.. فجاءت القصيدة بصور بارعة لحب الوطن».

١-هذا ماكتبه الاديب الراحل الاستاذ يوسف الحيدري في كتابه:
(صفحات ملونة من الادب الكردي) سنة ١٩٩١ طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد.

زيارة الملك فيصل الاول للعمادية



مثري العاني

لقد حققت بريطانيا ماتطمح اليه عند انتصارها وحلفائها على الدولة العثمانية ودحرها لها، حيث وقفت جيوشها جنوبي مدينة الموصل. بعد ذلك نودي على فيصل بن الشريف حسين- (شريف مكة) ملكا على العراق وسمي فيصل الاول حيث ارتقى العرش في حزيران ١٩٢١.

وبذلك بدأت الدولة العراقية (او المملكة العراقية كما سميت رسميا) تكتسب شكلها الدستوري وبدأت بتشكيل مؤسساتها التشريعية والتنفيذية بانتخاب المجلس التأسيسي العراقي الذي اعقبه تشكيل اول وزارة عراقية هي وزارة عبدالرحمن النقيب.

لقد عمل الملك فيصل الاول جاهدا وبما عرف عنه من ذكاء ونشاط وهمه لاستكمال هذه المؤسسات لانشاء دولة عصرية متطورة قدر المستطاع رغم وجود الانتداب البريطاني الذي حاول فرض سيطرته على شؤون الحكم عن طريق مستشاري الوزارات الانكليز.

لقد حظي الملك فيصل الاول باحترام العراقيين ومحبتهم ووقفوا الى جانبه يعضدونه ويشدون من ازره ضد الوجود البريطاني ويعملون معه للتخلص من الانتداب البريطاني باي شكل ليكون استقلالهم استقلالا ناجزا.

لقد حاولت مؤسسات الدولة وخاصة وزاراتها المختلفة ودوائرها التنفيذية ايصال خدماتها الى مجمل الالوية والاقضية ومدن المملكة لغرض رفع مستوى معيشة العراقيين وتحسين وضعهم المعيشي والاقتصادي وتغيير طبيعة حياتهم ونمطها نتيجة الحكم العثماني المتخلف للعراق طيلة قرون طويلة.

لقد ارتأى الملك فيصل الاول ان يقوم بزيارات ميدانية الى مختلف الالوية والمدن العراقية ليطلع بنفسه عن كثب على مجمل عمل هذه الدوائر ومايعترضها من معوقات ويضع الحلول للافاتها وليرى على ارض الواقع بام عينيه ثمار جهوده لبناء دولة متطورة ومجتمع متحضر وليكون على بينة مما يحظى به الحكم الملكي وليوطد مؤسسات حكمه على الوجه الاكمل وليعطي انطباعا تاما على اهتمامه برعاية مواطنيه وتوفير افضل الخدمات لهم.

من كل هذه المنطلقات قام الملك فيصل الاول بزيارة قضاء العمادية وذلك بمناسبة افتتاح طريق دهوك-عمادية.

تعتبر مدينة العمادية آخر وابعد قضاء عراقي في المنطقة الشمالية وهو قضاء كان تابعا للواء الموصل، حيث تبعد مدينة العمادية عن مركز اللواء مسافة

تزيد عن ٢٠٠ كم شمالا وكان تبليط الطريق الذي يربط العمادية بمركز اللواء مارا بمدينة سرسنك.. المصيف المشهور ثم بمدينة دهوك احد الاهداف لايصال خدمات الدولة الى ابعد منطقة عراقية في الشمال وليشعر اهالي المنطقة باهتمام الحكومة المركزية بهم، ولذلك تم الايعاز الى وزارة الاشغال العمومية لتبليط الطريق، حيث تم انجازه فعلا.

ولاهمية الطريقة ومكانته في المنطقة الشمالية وتعزيز هيبة الدولة فقد اعتزم الملك فيصل الاول افتتاحه بنفسه في الموعد المحدد لذلك وضمن برنامج تم اعداده بصورة اولية، حيث شكل متصرف لواء الموصل لجنة برئاسته وعضوية كل من مدير الشرطة ومدير المنطقة الشمالية للاشغال العامة ومدير مكافحة الجراد بموجب كتابه المرقم ٧٤٧٩ والمؤرخ في ١٤ حزيران ١٩٣٢ وقد اجتمعت اللجنة فعلا ووضعت منهاج الافتتاح لطريق العمادية.

وكان المنهاج يتضمن تفاصيل زيارة جلالته وتحركاته واوقاتها وفترات الاستراحة والمبلغ المطلوب صرفه، وقد طلبت مديرية الاشغال الشمالية من المدير العام للاشغال العامة في بغداد مصادقة معالي الوزير على المنهاج واعطت نسخة منه الى متصرف لواء الموصل. ومن اجل تهيئة اجراءات الاستقبال فقد طلب مدير الاشغال الشمالية من متصرف لواء الموصل اتخاذ التدابير اللازمة لاحضار الكراسي والمناضد في مواقع سوارتوكا وبيباد وسولاف (وهي القصبات التي سيمر بها الموكب الملكي في طريقه الى العمادية (لاستراحة المدعويين يوم الافتتاح وقد اقترح مدير المنطقة الشمالية للاشغال العامة باخذ الكراسي من اصحاب المحلات والفنادق والمقاهي الموجودة على الطريق ولعدم توفق المديرية المذكورة من تحقيق هذا الغرض لقلة الكراسي والمناضد فقد تم اخذ مئة كرسي (رحلة مدرسية) من المدرسة الثانية.

بعد ان تم تبادل المخاطبات الرسمية بين دوائر الدولة فقد وضع منهاج الاحتفال بصورة نهائية حيث تم تحديد يوم ٢٤ آب ١٩٣٢ موعدا نهائيا لافتتاح الطريق من قبل جلالة الملك فيصل الاول وكما اوضح مدير المنطقة الشمالية للاشغال بموجب كتابه المرقم ٢٢١٨ المؤرخ في ١٩٣٢/٨/١٣ حيث طلب استحصال الموافقة على صرف مبلغ ٧٥ خمسة وسبعين دينارا لملافاة مصاريف الافتتاح.

لقد تضمن المنهاج تفاصيل الزيارة الملكية بداءا بموعد وصول صاحب الجلالة الملك فيصل الاول والشخصيات المصاحبة لجلالته مع تحديد اوقات مقابلة جلالته لاعيان المدينة ووجهائها وقادة الجيش وكذلك رؤساء الدوائر والطوائف الدينية وفترات تقديم الطعام والاستراحة وقد طلب المدير العام للاشغال العامة من مديري المنطقة الشمالية في كركوك والموصل مرافقة الموكب الملكي منذ وصوله الى كركوك بواسطة القطار وحتى لواء الموصل، حيث يجرى لجلالته استقبال رسمي وشعبي ويتناول طعام العشاء والشاي والمرطبات.

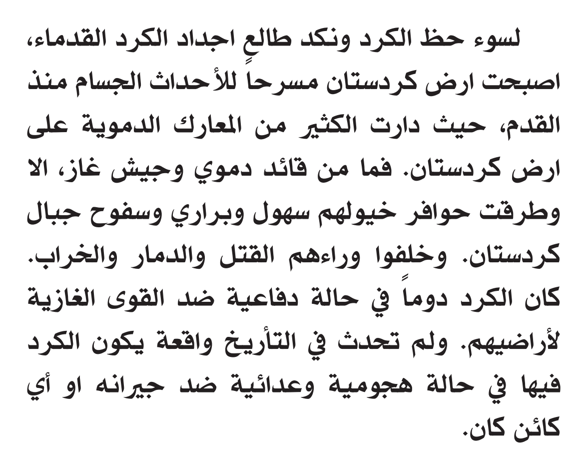
لقد وصل الملك فيصل الاول الى مدينة الموصل قادما من اربيل صباح يوم ٢٣ آب ١٩٣٢ واستقبل استقبالا حافلا شعبيا ورسميا واستعرض الجيش وتقبل التهاني بسلامة الوصول من متصرف لواء الموصل ووجوه المدينة وقادة الجيش الاقضية والقضاة.

وفي صباح يوم ٢٤ آب ١٩٣٢ تحرك الموكب من مدينة الموصل باتجاه دهوك ثم سوارتوكا وسرسنك وبيباد والسولاف، حيث توقف الموكب الملكي في منطقة بيباد للاستراحة وشرب الشاي والمرطبات بعدها تناول جلالته الغداء في مصيف السولاف وذلك في الساعة الواحدة ظهرا وبعد استراحة توجه جلالة الملك فيصل الاول في تمام الساعة الرابعة عصرا ايذانا بافتتاح طريق دهوك- عمادية، حيث مثل بين يدى جلالته رؤساء العشائر ووجهاء المنطقة.

عن الحروب والمعارك التي دارت على ارض كردستان



معتصم سالەیی



لسوء حظ الكرد ونكد طالعِ اجداد الكرد القدماء، اصبحت ارض كردستان مسرحاً للأحداث الجسام منذ القدم، حيث دارت الكثير من المعارك الدموية على ارض كردستان. فما من قائد دموي وجيش غاز، الا وطرقت حوافر خيولهم سهول وبراري وسفوح جبال كردستان. وخلفوا وراءهم القتل والدمار والخراب. كان الكرد دوماً في حالة دفاعية ضد القوى الغازية لأراضيهم. ولم تحدث في التأريخ واقعة يكون الكرد فيها في حالة هجومية وعدائية ضد جيرانه او أي كائن كان.

الملك الاكدي (نرام سين) وحفيد (سرجون الاكدي) كانت سني عهد حكمه الطويل (٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق.م) مليئة كل الوقت تقريباً بالعمليات العسكرية التي جرت كلها قرب حدود وادي الرافدين. وكانت حملته الرئيسة كانت ضد اللولوبيين الاقوياء. ويخلد انتصار الاكديين عليهم نحت صخري وجد في (دربند كاور) في منطقة (قرداغ) بالقرب من مدينة السليمانية. وقطعة فنية رائعة من النحت العراقي الناتئ وهي المسلة المشهورة التي وجدت في (سوسة) والتي يفخر الآن متحف (لوفر) بامتلاكها. ترينا مسلة نرام سين مسلحاً بالقوس ومعتمراً التأج المقرّن للآلهة وهو يتسلق جبلاً شديد الانحدار، ويطأ بأقدامه على جثث أعدائه يتبعه جنده المصورون بحجم اصغر.[1]

في المخلفات الاثرية التي يرجع تأريخها الى عهد الملك الاشوري (تكلات بلاسر ١١١٥ – ١٠٧٧ ق.م) دونت الكثير من الوقائع الحربية لذلك الملك. هناك مدون محفور على احد الاعمدة يصف فيه الملك حملاته العسكرية على المناطق الشمالية لكردستان الحالية ويقول:

(استطعت من القاء القبض على عشرين الفا من رجال موشكايا. خمسة من ملوكهم كانوا يفرضون الضرائب والاتاوات في بلاد الزي وبورو كوزي على امتداد خمسة قرون. اقسم بألهي اسور بأن احداً من الملوك لم يستطع ان يواجههم في الحروب ويحرز النصر عليهم لشدة بأسهم. لكنهم اتوا واستسلموا لي. كانت بلاد كوموخ تحت سيطرتهم، لكن بمعونة الهي

اشور استطعت من تهيئة العربات الحربية لجيشي وتمكنت من التسلق على جبال كاشيارا المنيعة. حاربت عشرين الفاً وخمسة من ملوك بلاد كوموخو وتغلبت عليهم. قمت بنثر جثثهم في الوديان وعلى قمم الجبال. قطعت رؤوسهم ومن ثم جمعت تلك الرؤوس بالقرب من مدنهم. وقع الكثير من الاسرى والنساء بين ايدينا..)[٢]

لعل من اشهر الحروب الفاصلة في التأريخ، وقعت بين اليونانيين بقيادة (اسكندر المقدوني) وجيش الفرس بقيادة الملك الهاخامنشي (داريوش الثالث) وقعت تلك المعركة على ارض كردستان سنة (٣٣١ ق.م). قطعت القوات المقدونية البادية السورية وعبرت نهر دجلة قرب (فيشخابور) في ٣٣١ ق.م. اتجه اسكندر المقدوني الى (gaugamela – تل جومل) بالقرب من مدينة اربيل، لكي يلتقي غريمه داريوش الثالث الذي ترك المعركة والتجأ عبر جبال كردستان الى شمال ايران..[3]

حدثت معركة القادسية بين العرب المسلمين والساسانيين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة (637) ميلادية على ارض كردستان. والآن في الوقت الراهن يدرس كتاب (التأريخ العربي الاسلامي) ضمن المنهاج الدراسي لطلاب الصف الثاني المتوسط. في صفحة (56) من هذا الكتاب المنهجي نقرأ على سبيل المثال هذه الفقرات (في معركة نهاوند – فتح الفتوح – حيث قتل من الفرس (180) الف جندي ثم طرد الفرس نهائياً من ارض العراق العربية..)[4]

نحن هنا نناشد وزارة التربية واصحاب الشأن المحترمين، ان يبعدوا عن المناهج الدراسية كل ما تنمي الروح العدائية لدى الطالب وكل ما يسيء الى العلاقات الاخوية بين شعوب المنطقة. نحن العراقيين عانينا ما عانيناه جراء السياسات السابقة الخاطئة، وأصابنا الكثير من الويلات والحروب والدمار. وكلنا امل ان نفتح صفحة جديدة ونعيش بسلام ووئام مع العالم.

لما دخل الدين الاسلامي بلاد كردستان، رحب الشعب الكردي بالدين الجديد وبكثير من الصدق والامانة تمسكوا به وخدموه. على سبيل برز الكثير من اهل الفكر والعلم بين الكرد من الذين خدموا الدين الاسلامي والثقافة العربية امثال (الدينوري.. ابن الاثير. ابن خلكان.. ابن المستوفي. ابن الجوزي.. البيتوشي.. عبد القادر الكيلاني.. النورسي.. الكواكبي.... الشهرزوري.. البتليسي.. جميل صدقي الزهاوي.. بلند الحيدري.. قاسم امين.. العائلة التيمورية.. الدكتورة سهيل القلماوي.. احمد شوقي..) والقائمة تطول..

بالرغم من كل الخدمات التي اسداها علماء الكرد للثقافة العربية، لكننا نجد من التعابير المستخدمة ما تكدر صفونا. نحن نتمنى ان نتجاوز كل ما يعيق عملية التواصل والتلاحم كي نعيش جميعاً بأخوة وسلام. عانى الشعب الكردي الكثير من المظالم على يد بعض الخلفاء والسلاطين القساة. على سبيل المثال كانت تطلق كلمة (اعجمي) في العصر الاموي والعباسي على كل من لم يكن ينتمي الى القومية العربية. وللأسف نجد شاعراً كبيراً مثل (المتنبي) ينتهج نفس المنهج ويحط من قدر الاجناس غير العربية ويقول في قصيدة له:

وأنما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها عجم
لا ادب عندهم ولا حسب
ولا عهود لهم ولا ذمم
بكل ارض وطئتها امم
وترعى بعبد كأنهم غنم
يستخشن الخز حين يلمسه
وكان ينبرئ بظفره القلم

كان الرومان ينظرون الى من عداهم من الشعوب على انهم برابرة وكذلك كان العرب قبل الاسلام متعالين جداً ويسمون ما عداهم بالعجم (والعجم يناقض العرب، والواحد عجمي وفي لسانه عجمة

والعجماء البهيمة والاعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وان كان من العرب. وكل من لا يقدر على الكلام اصلاً فهو اعجم ومستعجم..)[٥]

وفي العصر الاموي والعباسي شاعت عبارة (الموالي) سمي الموالي بهذا الاسم لأنهم عند اعتناقهم الاسلام حاولوا محالفة القبائل البدوية. أي حاولوا الدخول في ولائها وحمايتها. فكان الرجل من الامم المفتوحة لا يكاد يعلن اسلامه حتى يذهب الى قبيلة عربية لينتمي اليها عن طريق الولاء.[٦]

نحن العراقيين نعيش الآن في العراق الجديد الديمقراطي، لدينا رسالة مقدسة وهدفنا الاسمى هو ان نكون قدوة لبقية الشعوب التي ترزخ تحت وطأة الظلم والطغيان، لتحذو تلك الشعوب حذونا وتتخلص ايضاً بدورها من نير الظلم والاستبداد. لذا يجب ان نكون بمستوى المسؤولية ونتجاوز جيمع النعوت والصفات والمسميات التي لا تخدم قضيتنا العادلة. وعلى سبيل المثال كلمة (الاعجم) واحدة من تلك الكلمات التي لها وقع سيئ على مسمع كل من لا ينتمي الى القومية العربية. كما اسلفنا سابقاً ان الكثير من علماء الكرد خدموا اللغة العربية والثقافة الاسلامية. وهناك ايضاً الكثير من المفكرين والاعلام غير العربية من الذين خدموا لغة الضاد امثال (الطبري.. البخاري.. الفراهيدي.. الخوارزمي.. الجرجاني.. الشهرستاني.. الاصفهاني.. الترمذي.. الفارابي.. الاستزابادي.... سيبويه.. الافغاني.. ابي نؤاس.. بشار بن برد.. أبن سينا.. الرازي.. ابن خلدون.. مصطفى جواد.. وغيرهم).

لقد مرّ الكثير من الغزاة وجيوش المحتلين على ارض كردستان واستباحوا ارضها واهلها. لا يسعنا الا ان نستشهد ببعض منهم وعلى نحو سريع امثال (السلاجقة والخروف الابيض والخروف الاسود وهولاكو وجنكيزخان وتيمورلنك والعثمانيين والفرس والانكليز...).

سنة (١٥١٤) ميلادية وقعت معركة (جالديران) بين العثمانيين والصفويين. في تلك المعركة انتصرت القوات العثمانية على القوات الصفوية. ومنذ عام (١٥٣٣) اصبح اقليم شهرزور وبعض المناطق المجاورة التي هيمنت عليها امارة بابان فيما بعد، تندرج ضمن مجال النفوذ العثماني..[٧] بامتداد خمسة قرون اصبح العراق وبضمنه كردستان تحت الاحتلال العثماني. وللأسف خلال تلك الحقبة الطويلة الامد تأخرت المنطقة بشكل منقطع النظير. واهمل العثمانيون البلاد المحتلة من جميع النواحي الحضارية والثقافية والاجتماعية والعمرانية.. وانعدمت بنايات المدارس والمستشفيات وجميع المرافق الحضارية تحت ظل الهيمنة العثمانية. استطاع الكرد بشق الانفس من تكوين الامارة البابانية والتي كانت تتمتع بقسط من الاستقلال والذاتية. لكن تلك الامارة قد اسقطت من قبل العثمانيين سنة (١٨٥٠) ميلادية.

بعد الحرب العالمية الاولى انهارت الدولة العثمانية. وتمكن (مصطفى كمال) من تأسيس الجمهورية التركية سنة (١٩٢٣). نتيجة الظلم الذي لحق بالشعب الكردي في ظل الجمهورية الجديدة، قام الاكراد بسلسلة من الثورات والحركات القومية. وقمعت جميعها بالحديد والنار. عندما اخمدت احدى الثورات الكردية، كتب مصطفى كمال في الكتاب الاحمر سنة (١٩٢٥) ما يأتي:

(.. أي والله لقد اندحر الكرد، وكان القضاء عليهم مبرماً ورهيباً، الطائرات تصب عليهم من السماء دماراً، والبنادق ترسل من فوهاتها ناراً، والمدافع ترسل حمماً، والسيف يحز الرؤوس، والخنادق تبقر البطون، واربعون الفاً من الجنود الهمهم (اتاتورك) بخطبة نارية، يقفزون في بلاد الاكراد من رابية الى قمة، ثم الى الوهاد ينحدرون، والناس يقتلون والقرى تحرق)[٨] ويعلق الزعيم الهندي (نهرو) على الاعمال التي قام بها الاتراك ضد الكرد في كتابه (لمحات من تأريخ العالم) ما يأتي: (وهكذا فان الاتراك الذين كانوا يحاربون حديثاً من اجل حريتهم الخاصة، سحقوا الاكراد الذين يسعون الى حريتهم. كم هو غريب ان

تتحول قومية مدافعة الى قومية مهاجمة. وان يصبح الكفاح من اجل الحرية، كفاحاً لقهر الاخرين..).

في سنة (١٩٣٢) اندلعت ثورة كردية اخرى في ارارات بقيادة (احسان نوري باشا). هذه الثورة انتهت الى الفشل، بعد ان التجأ قائدها الجنرال (احسان نوري باشا) الى ايران. واستمرت الطائرات التركية تحرق القرى الكردية، لعدة اشهر اخرى بعد سحق الثورة. وقد نشرت جريدة (مللت) التركية صورة لضريح كتب على شاهدته (هذا ضريح كردستان الخيالي)[٩].

اثناء الاحتلال الانكليزي لدولة العراق، حدثت الكثير من الثورات والحركات في هذا البلد. كثورة العشرين والحركات التحررية الكردية بقيادة الشيخ محمود الحفيد. وكما هو معلوم فان القوات البريطانية قامت بكثير من الفظاظة بضرب القرى والمدن الكردية بالطائرات والمدافع. وقام الانكليز بتقطيع اوصال بلاد كردستان الواسعة..

لدى تسلم حزب البعث الصدامي السلطة في العراق، كثفوا جهودهم من اجل القضاء على الشعب الكردي الامن والمحب للسلام. لا نريد هنا ان نستفيض في الكلام ونقوم بعرض جميع الوقائع والعمليات الاجرامية التي مورست بحق الشعب الكردي. بل نورد لاحقاً بعضاً من اقوال المجرم علي الكيمياوي المسجل على آلة التسجيل، والذي قام السيد المدعي العام ببثها في قاعة المحكمة ويقول فيها هذا المجرم ما يأتي:

(سندرب اشخاصاً على الاسلحة الكيمياوية وسنكرر عملية الضرب اثنين وثلاثة واربعة وخمسة. حتى نقضي على الجميع ونقضي على اللغات الكردية والسريانية)..

نحن قمنا في هذا المقال المتواضع بعرض بعض الشواهد من سجل الوقائع التأريخية التي حدثت على ارض كردستان بايجاز. هدفنا الرئيس هو الاطلاع على بعض الجوانب التأريخية واخذ الدروس والعبر من الماضي. ولا نبغي من وراء هذه الكتابة اثارة النعرات الطائفية واذكاء نار الاحقاد العرقية. فمن مصلحة جميع القوميات والمذاهب والاعراق داخل العراق وفي المنطقة قاطبة، التكاتف والتلاحم وتجاوز جميع الخلافات والاحقاد وفتح صفحة جديدة من العلاقات الودية، بما تخدم البلد وكل المكونات العرقية من اجل بناء مستقبل مشرق ومزدهر..

الهوامش:

١. جورج رو. العراق القديم. ترجمة: حسين علوان حسين. وزارة الثقافة والاعلام. بغداد ١٩٨٤ ص (٢١٥).

٢. الدكتور جمال رشيد. ليكۆلينەوەيەكى زمانەوانى دەربارەى ميژووى ولاتى كوردەوارى. دار الثقافة والنشر الكردية بغداد ١٩٨٨ ص (٢٧٧).

٣. الدكتور جمال رشيد. كركوك في العصور القديمة. دار اراس للطباعة والنشر اربيل ٢٠٠٢ ص (٤١ — ٤٢).

٤. التأريخ العربي الاسلامي. للصف الثاني المتوسط. الطبعة التاسعة عشرة. جمهورية العراق. وزارة التربية ٢٠٠٦ ص (٥٦).

٥. خليل عبد الكريم. الجذور التأريخية للشريعة الاسلامية. سينا للنشر. القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٧٧. ص (٥١) العبارة مأخوذة من (مختار الصحاح) للرازي.

٦. الدكتور علي الوردي. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. منشورات سعيد بن جبير قم المقدسة (٢٠٠٠) ص (٩٦).

٧. سعدي عثمان حسين. امارة بابان. كلية الاداب. جامعة صلاح الدين. اربيل (٢٠٠٠) ص (٢٠).

٨. محمد ملا احمد. جمعية خويبون والعلاقات الكردية — الارمنية. كاوا للنشر والتوزيع. اربيل (٢٠٠٠) ص (٢٩).

٩. المصدر السابق.. ص (٦١).

مابعد احداث القامشلي.. رؤية نقدية

فاروق حجي مصطفى

كيف نقيّم أحداث القامشلي بعد مرور هذا الزمن؟، وكيف نقيّم وضع الكرد بعد تلك الأحداث المؤلمة، المؤلمة بالنسبة للكرد، والمؤلمة بالنسبة للسلطة أيضاً، تلك الأحداث أتت فجأة، وأصبحت عبئاً على الكرد، ومثلما أتت فجأة على الكرد فهي كانت مفاجأة بالنسبة للسلطة أيضاً، نخاف من كردنا عندما نقول إن تلك الأحداث لم تكن السلطة ضالعة فيها، وإذا كانت هناك جهات من السلطة أرادت ذلك، وذلك لقصم ظهر الكرد فقد تمّ ورسم لها في دائرة ضيقة، وأنا شخصياً لا أعتقد ان للسلطة العليا يدا فيها، فأمر كهذا لا تتم الموافقة عليه بسهولة. إبادة أناس أبرياء عزل لمجرد أنهم كردا ولغاية تخويفهم ،والحق إذا كانت السلطة وراءها فهي كارثة، وكارثة كبيرة أيضا .لكن لا أرى من المنطقي أيضا ان تكون السلطة على علم بذلك، ومن زاوية أخرى إذا كانت(السلطة) لا علم لها، فهي كارثة مزدوجة لأن وظيفة السلطة المراقبة والسهر على أمن الناس، أما إذا كانت السلطة على علم بما كان سيجري، فهي غضت النظر عن فاعليها ..هنا تكمن الجريمة .جريمة بحق الوطنية وجريمة بحق الإنسانية. الذين حضروا المباراة قالوا إن جمهور فريق «الفتوة» كانوا مجهزين لكل طارئ، و كانت في حوزتهم أدوات القتل والشغب من السكاكين والعصي واستغربوا من تصرف بعض الضباط حيالهم، فهؤلاء الضباط تجنبوا تفتيش جمهور «الفتوة» في حين دققوا كثيرا في جمهور «الجهاد». وللوهلة الأولى وعند بدء الأحداث صار لجمهور «الجهاد» إحساس بان السلطة غير حيادية . ثمة من يرى بان السلطة أخطئت كثيرا في تعاطيها مع الأحداث، والسلطة المحلية تتحمل كل المسؤولية،فمن هنا تغريم أناس وإجبارهم على دفع الغرامة فهو أمر غير محق ،هنا القاصر-غير راشد- لا يحاسب، والقاصر هو الشارع .في المنطق القانوني إن السلطة ومهما كان مستواها هي عاقلة-راشدة- لذا فهي تتحمل المسؤولية، وما ذنب هؤلاء إذا كانت السلطة غير ناضجة وأخفقت في التحكم بزمام الأمور. أي منطق هذا.. القاصر يدفع ثمن أخطاء العاقل..

بيد إن الكتاب»أحداث القامشلي:من المؤامرة إلى حركة الشعبية السلمية «وهو صادر عن الإعلام المركزي للحزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا –يكيتي- يحمّل المسؤولية إلى السلطات المحلية

، فالكتاب يحتوي على وثيقة هامة جداً، وهذه الوثيقة تدين السلطات المحلية وتعتبر بمثابة إدانة كبرى .الكتاب يقول إن جهات من السلطة متورطة في افتعال الأحداث وضرب الكرد، ربما يسأل القارئ ما هي هذه الوثيقة؟ الوثيقة أعزائي القراء تعميم من اللجنة الأمنية برئاسة محافظ الحسكة تطلب من القوات الأمنية عدم التساهل مع المتظاهرين والمحتجين الكرد وتخوّل القوات الأمنية قتل كل من يشارك في الاحتجاجات.

دون شك إن «أحداث القامشلي» والتي جلبت الويلات على الكرد وخسروا الأبناء والأموال حيث أكثر من سيارة و شاحنة خدمية أحرقت بايادي مجهولة، وكذلك المستودعات والمحلات وعدد من الأبناء الكرد سقطوا شهداء كانت قد انعكست ايجابيا على الكرد خصوصا من الناحية السياسية والإعلامية، والاهم ان الحركة الكردية استطاعت استثمار هذه الأحداث ووظفتها وطنيا كون الكرد هم بأمس حاجة إلى المركز وان بقاءهم في الأطراف أو في إطار المناطقية المحلية لن تجني الحركة أي ثمار منها وان استثمار الأحداث إعلاميا وسياسيا يكون في المركز (مركز الوطنية السورية) واقصد هنا الوطنية السورية هي تقاسم الشؤون والشجون مع الأطراف السورية الأخرى مثل العرب (القوميين، الليبراليين، واليسار العربي) والسريان والآشوريين معني الاقتراب إلى المكونات المجتمعية والسياسية والثقافية السورية وتضعها في موقع المسؤولية لتشاطر الكرد ما يعاني من المآسي والاضطهاد. والحق ان جزءا كبيرا من جسم الحركة الكردية تفاعل وفي اليوم الأول مع الوطنية السورية و أرادت أن يترجم للأطراف الأخرى السورية عمليا من خلال الاتصال بهم (من أنصار المجتمع المدني وأنصار حقوق الإنسان) ، وفضحوا خطاب الفتنة الذي كان سيد الموقف بالنسبة لوسائل الإعلام العربية والإقليمية على ان هذا الخطاب سيكون له عواقب وخيمة على العرب والكرد والآشوريين والسريان وسيؤثر على النسيج المجتمعي في سورية بشكل عام وفي المناطق الكردية بشكل خاص. بيد ان بعض الأطراف في الحركة الكردية بقيت على حالها، وبقيت في الخندق المناطقي العصبوي. النقطة الأضعف لدى البعض هي أنه لا يملك أي مشروع واضح وكما انه يخطأ في توجيه الخطاب السياسي والإعلامي وسبب يعود الى ان الكثير من مفرداته السياسية والمنهجية تستورد، مثلا عندما سمعنا من احد الأشخاص بان» من حق الكرد إعلان الاستقلال لكننا نكتفي بالفيدرالية» نأسف مثل هذه المقولات ،حبذا لو عرف صاحب هذه المقولات ماذا يعني من إطلاق مثل هذه القنبلة؟ ومن سيدفع فاتورة هذا الخطأ الفظيع؟ .العاقل والمنطقي يعرف إن استقلال الكرد لا يتم في ضوء التوزيع الديمغرافي والجغرافي الكردي الحالي . كان من المنطقي أن يقارن «البهورجي» الكردي الشعار مع الظروف الموضوعية والذاتية ومن المهم أن يقرأ احتمال نجاح الشعار وفرصة تحقيقه، العاقل هو من يرفع الشعار القابل للتحقيق أما غير العاقل هو من يرفع الشعارات الغرض منها خلق الزوبعة، وبالتالي إلى هلاك الجادين وإيصالهم إلى حالة الهذيان السياسي . النقطة الأخرى التي تستوجب الوقوف عندها هي أن لا تجد نفسك لا مع «إعلان دمشق» ولا مع «الجبهة الوطنية التقدمية» هنا إشكالية كبرى. المنطق السياسي يقول إن في سورية قوة «اعتراضية مضادة «يعني هناك سلطة وهناك معارضة ،فإذا كنت لا تتفق مع المعارضة إذاً أنت متفق مع السلطة، أما إذا كنت تختلف مع السلطة ايضا ،فهذا يعني (حسب المنطق السياسي) انك طبيعيا تنضم الى الخط الثالث، ودلالة هذا الخط سياسيا تعني انك وسطي أي من بين اثنين بمعنى آخر انك تحمل مشروعا معتدلا لا معارضا مئة بالمئة ولا مواليا مئة بالمئة إنما «اعتراضيا» وهذا ما لا نراه في وسط الحركة الكردية. شخصياً انظر للحركة الكردية بأنها قسمان قسم مستقر في النهج والرؤى، وقسم غير مستقر في النهج والرؤى. ومن هنا أرى ان التنظيم السياسي الكردي الذي يعاني من عدم استقرار و ما زال يبحث عن مكان، وربما لا يعرف اين يكون مكانه بالأصل هو

تنظيم مأزوم ،وهنا مأساة كبرى،كان من المفترض أن يعرف احدنا ان مصدر المواقف المتوازنة والناضجة هو الاستقرار و هو المناخ الذي يساعد على نضج المواقف والرؤى.والعكس هو الصحيح. كان من الأفضل للحركة الكردية أن تتحد في الرؤى وفي الخطاب وان تكون موحدة في القرارات السياسية المصيرية مثل العلاقة مع الأحزاب العربية وغير العربية، أي مع «إعلان دمشق».في الحقيقة إن الملاحظات على أداء الكرد كثيرة، ولعلنا نبحث عن الاولويات منها ومن هنا يجب القول : إن الأحداث دفعت بالكرد إلى مواكبة التطورات سواء أكانت على المستوى الدولي أو على المستوى الإقليمي أو المحلي.فمن ضمن هذه المواكبة تم تأسيس منظمات حقوقية منها تهتم بحقوق الإنسان الكردي ومنها تهتم بحقوق المرأة ومنها ما يتعلق بالشؤون الشبابية والشرائح المحيرة الأخرى .طبعا هذا جميل وجميل جدا.لكن ما لا يعرفه الفاعلون هو ان هذه المنظمات والدوام فيها يحتاج القائمون عليها إلى ثقافة مؤسساتية ، مثلا منظمة حقوق الإنسان الكردية يجب أن يعرف منضويها شيئا عن ثقافة حقوق الإنسان ولا يكفي أن تحفظ بنودا من مواثيق دولية .ثقافة حقوق الإنسان ثقافة عميقة ومتشعبة ومتجذرة علماء الاجتماع السياسي حتى الآن لم يصلوا إلى الفهم الصحيح لهذه الثقافة.هنا اسأل القارئ أين نحن من ثقافة حقوق الإنسان؟طبعا والحق يقال ما فعلته منظمات حقوق الإنسان الكردية شيء عظيم ولا يمكن الاستهانة بها أو الاستهتار بما تقدمها ..لكنها ما زالت تحتاج إلى الكثير، وما زالت هي في بداية الطريق.وهذا ينطبق على مثقفينا أيضا، ولعل الكلام وعندما يكون مقاربة مع الأحداث المؤلمة كأحداث القامشلي لا ينتهي بمقال أو بمقالين!

في ذكرى حلبجة:
لكي لا يسجل التاريخ
بأننا علمنا وشهدنا وسكتنا



هيفاء زەنگەنە

يوم السابع عشر من آذار (مارس) عام ١٩٨٨، تم القاء القنابل الكيمياوية على مدينة حلبجة الواقعة على مبعدة ٢٦٠ كيلومترا شمال شرقي بغداد. بعد فترة وجيزة، لاح مشهد المدينة منقطاً بالجثث. ممددون على الأرض، احتضن أفراد كل عائلة بعضهم بعضاً. حملت النساء أطفالهن الجامدين، وقد أخذن على حين غرة بالموت الرهيب. وجوه الاطفال الخالية من الريبة والشك، كانت داكنة بتأثير الغازات السامة.

واذ هزت الصور الملتقطة للمدينة المنكوبة العالم، أصبنا بالذهول لما حل بأهلنا. لما حل بسكان حلبجة المدنيين. وتلت الأحاسيس الأولى الرغبة بالتعبير عن المشاعر المختلطة في أعماقنا من غضب ومرارة وعجز واستنكار وادانة وحتى اعلان البراءة من كل من ساهم في ارتكاب الجريمة المروعة.

كنا مجموعة من الكتاب والفنانين العراقيين والعرب المنتشرين نفياً في بلدان عديدة، المنفيين، أحياناً، في بلداننا نفسها. أردنا في الذكرى السنوية الاولى للمأساة أن نوثق ولو بشكل رمزي ادانتنا للجريمة، أن نحافظ على ذكرى حلبجة حية في كتاباتنا ورسومنا، وأن نكسر أسوار الصمت الرسمي المحيطة بالمجزرة. فأصدرنا كتاب حلبجة في آذار (مارس) ١٩٨٩. تضمن الكتاب قصائد ونصوصا أدبية وصوراً وتخطيطات فنية وشهادات وقائمة بأسماء عشرات الكتاب والفنانين والشعراء الذين دانوا الجريمة النكراء. ولو كان بامكاننا أن نتصل بآخرين، في حينه، لضمت القائمة الآلاف.

في المقدمة كتبتُ: كان الصباح بارداً وصاحياً مثل كل صباحات بداية الربيع في حلبجة. قطرات الندى تغسل الاعشاب، العرائش، الاشجار والملابس المعلقة على حبال تمتد بعيداً خارج البيوت. ندف الثلج تتناثر بخفة كأنما أحست بانتهاء موسمها، تنظر إلى الجبال تتجرد شيئاً فشيئاً من ثيابها الشتوية، من ثلوجها كأنها تفتح ذراعيها لاحتضان الزنابق والبنفسج والنرجس كأنها ستتحول إلى سجاجيد زاهية الالوان

يفوح شذاها في الهواء علي مبعدة أميال وأميال.

كان الصباح صاحياً بارداً في حلبجة، حين مرت سحابة داكنة من السموم رصدت الناس في البيوت والمدارس والطرق فتساقطت أوراق الاشجار، شاخت أبصال البنفسج والنرجس.

خلال ساعات صارت الجبال جرداء كأنما هاجمتها قطعان ماعز جائعة منذ عشرات السنين فاجتثت حياتها من الجذور.

انه الموسم نفسه. موسم الربيع كما يعرفه أهل حلبجة كل عام. إنه الموسم نفسه كما لن يعرفه السكان مرة أخرى. جف النسغ في عروق النباتات وسمعت صخور الجبال أنين الاشجار، غير أنها لم تسمع أنين الانسان، فتهامست فيما بينها: هذا موت جديد. خبتت أصوات الناس. خبا ضجيج المدينة. ساد الهدوء. صمت. سكون. حامت رائحة الغاز فوق الوديان والجبال. يقولون مات في حلبجة عشرة آلاف شخص يقولون مات خمسة آلاف شخص. نقول خلال دقائق قتل في حلبجة رسول وبيروز وأحمد وخديجة وكاكه حمه وآزاد وآمنة ونوزاد وسردار ... و... .

كان ما أردت ان أقوله في المقدمة بديهياً وبسيطاً، ازددت قناعة به بمرور الوقت، وهو أن لكل فرد مهما كانت قوميته أو دينه، مهما كان لونه أو جنسه، حياته الثمينة التي لا تعوض وانسانيته التي يجب احترامها وذكراه التي تتوجب علينا صيانتها. ومن واجبنا الاخلاقي كمثقفين، ألا نقع في مطب تحويل الضحايا إلى أرقام تستخدم في مزايدات سياسية قد تجرنا، يوما ما، إلى تكرار الإثم نفسه. كانت مساهمات الكتاب والشعراء والفنانين، غنية بتثمين الحياة الانسانية وادانة قتل الضحايا المدنيين وتشبيه جريمة قتلهم بالجرائم الامريكية في فيتنام وهيروشيما.

في مساهمته المعنونة الأقليات كتب الطاهر بن جلون: اذا امكن وضع رسالة في فن العيش المشترك، فهي ستبدأ بتعليمنا كيفية الكشف عن الثراء في الاختلاف وقبوله باعتباره مكونا لهويتنا نفسها بالذات. لا يتعلق الأمر بإلغاء الآخر، وانما بأن أجعل منه شريكا يثريني وأثريه . وفي براءة إلى أطفال كردستان كتب الراحل هادي العلوي: ايها الطفل الكردي المحترق بالغاز في قريته الصغيرة، على فراشه أو في ساحة لعبه، هذه براءتي من دمك أقدمها لك. معاهداً اياك ألا أشرب نخب الامجاد الوهمية لجيوش العصر الحجري... اقبلها مني ايها المغدور فهي براءتي اليك من هويتي .

وإلى اولمبياد الله أهدى سليم بركات قصيدته مهاباد، بينما اختتم لؤي عبد الاله عيد الاحياء بقوله: ما يجعل الجريمة بشعة حتي النخاع هو تعنت القاتل بأن آخر غيره قد ارتكب جريمته، رغم شهادة السكين (أداة القتل) ويديه، وساقيه، وعينيه ضده. وما يجعلنا في موقع ذلك القاتل سكوتنا المتواصل علي جرائمه.

وفي ورقة الى شيرين الكردية يأخذنا كاظم جهاد من دير ياسين الي حلبجة مرورا بصبرا وشاتيلا. أما في الاغنية السابعة من سبع أغان الى حلبجة لصلاح عبد اللطيف فاننا نصغي: أرجو ان تسمعيني رغم كل أوجاعك، نشطي حاسة السمع رجاء: انني اتبرأ من الطيار الذي زارك تلك الظهيرة الآذارية، اتبرأ منه وممن كان معه ومن أولي امره وممن والاه. بذلك وحده، ربما، نستطيع التخلص، نحن، ابناء الأمة الظالمة، من مذاق المرارة الذي ينهش ضميرنا .

ويقارن جمعة الحلفي ما بين فيتنام وحلبجة في هل أفاق العالم على هول المجزرة؟ كاتبا: انه ذات المشهد: فجأة تبدأ الاصوات بالاقتراب، أصوات تشبه الرعد، ثم تنقض طائرات الهليكوبتر الامريكية، مثل حيوانات خرافية، على القرية الفيتنامية، أزيز الرصاص يلعلع في السماء.. هدير الطائرات يصم الآذان، القنابل الفسفورية تحرق الارض فتحيلها الى جحيم .

وبألم مرير يتحسر الراحل غائب طعمة فرمان آه، ما أقسى أن يلقي افراد شعب مصرعهم الغادر في

أراضيهم، ومواطنهم ويهب الضمير الانساني لحظة ثم يعود إلى سباته . شعراً، شارك الراحل شريف الربيعي بأبيات مختارة: غامر حبك يا فجر المناحات أغثنا ـ إننا نحفظ في العمرين تاريخ البكاء ـ علمتنا كربلاء، الذنب، والدمع، وآثام الولادة ـ والعراق ـ علم الاحلام ان تصبح للحزن وسادة .

وكان الشاعر سعدي يوسف من أوائل من أدانوا جريمة حلبجة فنشر قصيدة سلاح كيمياوي، بعد اسبوع من الحدث، وهي: كان كرد آذار في هدأة المستحيل ـ الثياب ربيعية ـ والوجوه ربيعية ـ والمغني قتيل. الغيوم التي هبطت خردلا اسود ـ في الرئات ـ الغيوم التي ربطت عقدة الموت حول الصباح الجميل ـ الغيوم التي خثرت دم أطفالنا ـ والغيوم التي خمرت خبز ابليس في حدقات الاصيل.

هل تراها ستعبر من غيضة السرو ـ حتى تمس النخيل؟

كان كرد آذار في هدأة المستحيل.

وفي باب شهادات أعدنا نشر نداء وزع على جميع المنظمات العالمية والسفارات ونشر في العديد من المجلات والصحف، دعا فيه أحمد بن بله، الرئيس الجزائري السابق، إلى وقف حرب الابادة ضد الشعب الكردي، داعيا الحكومات والقوى السياسية في الوطن العربي والعالم الاسلامي للخروج عن صمتها وممارسة الضغط من أجل ايقاف المجازر، محذرا بان هذا العمل هو أضعف الايمان لكي لا يسجل التاريخ باننا علمنا وشهدنا وسكتنا.

نزار حيدر:



الانفال
واحدة من ابشع جرائم التاريخ

قال نزار حيدر، مدير مركز الاعلام العراقي في واشنطن، ان الانفال واحدة من ابشع جرائم التاريخ ضد الانسانية، وستظل كذلك مهما تقادم عليها الزمن.

واضاف نـزار حيدر، في معرض حواره مع صحيفة (راية الحرية) التي تصدر في محافظة السليمانية بالعراق: يجب تقديم كل من ساهم في ارتكاب الجرائم بحق العراقيين، الى القضاء لينالوا جزاءهم العادل، لنضمن بذلك تحقيق العدالة بابهى صورها، من دون محاباة او مجاملة، كل حسب حجم مشاركته ونوعيتها، ليكون الجبابرة والطغاة عبرة للآخرين، فلا يفكر احد بارتكاب جرائم مماثلة، ومن اجل ان يأمن الناس على دمائهم واعراضهم واموالهم، فلا يعتدي عليها احد، ولا يتجاوز على حقوقهم احد.

ادناه، نص الحوار:

السؤال الاول:

قراءتكم لقضية الأنفال بعد كل هذه الجلسات المستمرة بشأنها، ولا سيما أن صور الجرائم الفظيعة باتت تتكشف على الملأ، من خلال الشهادت والأدلة التي قدمت للمحكمة؟.

الجواب:

بالنسبة لنا، نحن العراقيين، فان اثبات جرائم النظام الشمولي البائد لا يحتاج الى دليل، فلقد اكتوينا جميعا بجرائمه، وذقنا الآلام التي تسبب لنا بها.

الا اننا نامل ان تكون مثل هذه المحاكمات دليل اثبات لايتام النظام ولمن ما زال يرفض الاعتراف بجرائم الطاغوت على مدى (٣٥) عاما.

انها دليل اثبات للمغفلين والغافلين، والى المتيمين بالنظام البائد بسبب دراهم معدودة او عدة براميل من النفط، اعمت عيونهم واصابت قلوبهم بمرض حال دون اعترافهم بحقيقة الجرائم التي ارتكبها الطاغية ونظامه الاستبدادي.

اننا نامل ان يساعد الكشف عن تفاصيل الجرائم التي ارتكبها النظام الاستبدادي البائد في مثل هذه المحاكمات العادلة، الرأي العام لتغيير موقفه ورأيه لصالح الضحايا فلا يظل يبرر للقاتل جريمته، وللقتيل تضحياته، وان امر من يبقى يصر على موقفه من الطاغوت بعد اماطة اللثام عن الحقيقة،

احد اثنين، فاما انه من ايتام النظام، بغض النظر عن محل سكناه واقامته، او انه لا يريد ان يعترف بخطئه لانه يميل لصالح الطاغوت مهما عرف من حقيقته، وكلا الاثنين على خطأ، الا ان المهم في القضية، هو ان يكشف ضحايا النظام عن كل ما في حوزتهم من حقائق ووثائق ليلقوا الحجة على المغفلين او الغافلين.

السؤال الثاني:

إصدار حكم الإعدام بحق صدام حسين ومن ثم تنفيذه على خلفية قضية الدجيل دون غيرها، برأيكم هل أثر ذلك الحكم على التقليل من أهمية قضية الأنفال إقليمياً ودولياً؟.

الجواب:

لكل جريمة من جرائم النظام البائد، مكانها في سجله الاسود، وستبقى الانفال واحدة من افضع وابشع الجرائم التي ارتكبها النظام ضد الانسانية، وضد شعب هو واحد من اطيب شعوب العالم واكثرها سالما وحبا للخير والسلام والامن والاستقرار.

فاذا كان الطاغية قد اعدم واخلد في نار جهنم وبئس المصير، فان ذلك لن يقلل من حجم الجريمة البشعة التي ارتكبها بحق الشعب الكردي الاعزل، وان تقادم الزمن لن يمحو الجريمة من ذاكرة العراقيين وكل محبي السلام والحرية للانسان، لان حجم الجريمة ومدى فضاعة الوسائل التي استخدمها الطاغوت عند ارتكابه الجريمة، لا يمكن ان يمحو اثرها شيء.

لقد خلد الله تعالى بعض جرائم فرعون في آيات قرآنية وسور باكملها، وهي ربما لا تعدل معشار ما فعله الطاغية الذليل صدام حسين بحق الشعب العراقي، وما فعله في الانفال على وجه التحديد، فكيف يريدوننا ان ننسى مثل هذه الجرائم؟ او ان يعفو عليها الزمن؟.

علينا، كعراقيين، ان نظل نعلم الاجيال اللاحقة فضاعة الجريمة التي ارتكبت بحق آبائهم وامهاتهم واخوانهم واخواتهم وجيرانهم واصدقائهم وبلدهم ومدنهم وقراهم، حتى لا تتكرر الجريمة، ومن اجل ان تعي الاجيال كيف وبأي ثمن حصلوا على الحرية والكرامة التي نامل ان يرفلوا بها بعد كل هذه المعاناة التي مروا بها، ليعضوا عليها بالنواجذ فلا يفرطوا بها، ومن اجل ان ياخذوا على يد كل من يحاول العبث بحريتهم وكرامتهم ايا كان، وفي كل آن، ولقد صدق الله تعالى الذي قال في محكم كتابه الكريم {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب} و {ان في ذلك لعبرة لمن يخشى} .

كذلك، لتكون ذكرى الجريمة عبرة لكل طاغوت وجبار عنيد، فلا يرتكب جريمة بحق الانسان ولا يمارس سلطته خارج اطار القانون، فيقتل كيف يشاء ولمن يشاء ومتى ما شاء؟ والى هذا المعنى تشير الآية القرآنية الكريمة {ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون} فمحاكمة الطاغوت لينال جزاءه العادل، حياة لبقية السيف من الناس.

السؤال الثالث:

بعد صدور الحكم على المدانين، وتنفيذها وإرجاء بعض الأحكام الأخرى ومن ثم استمرار جلسات المحاكمة ، فهل سيكون القانون الدولي رادعاً لمضطهدي الكرد، وحماية للكرد في الأجزاء الأخرى من كردستان التي مازالت تعاني من سياسات الاضطهاد والقوانين الاستثنائية وتطمس حقوقهم امام مرآى القانون الدولي ؟

الجواب:

للأسف الشديد، فان القانون الدولي يعمل بشكل انتقائي، فيدافع عن حقوق الانسان متى ما تطابق ذلك مع مصالحه الاستراتيجية في بلد ما، ويتجاهلها في بلد آخر اذا كان ذلك يتعارض مع مصالحه الاستراتيجية.

ولذلك نرى كيف ان شعوبا عديدة، ومنها من تعيش في منطقتنا، تئن تحت سياط جلاديها من الانظمة الشمولية الاستبدادية، وامام مرآى ومسمع القانون الدولي والمجتمع الدولي، من دون ان يرتجف له جفن، بل ان الكثير من هذه الانظمة التي تمارس السحق المنظم لحقوق الانسان في بلدانهم، يتمتع بدعم وتأييد كبيرين من قبل (الكبار) ويسمونها بالانظمة المعتدلة، كما هو الحال بالنسبة الى

نظام آل سعود في الجزيرة العربية والنظام الملكي الوراثي في الاردن والنظام العسكري الاستبدادي في مصر، لماذا؟ لان الحديث عن حقوق الانسان من قبل المجتمع الدولي في مثل هذه البلدان يضر بمصالحه الاستراتيجية، التي تاتي في مثل هذه الحالات على حساب حقوق وحرية وكرامة الشعوب، ولذلك لم ينبس احد ببنت شفة، كما كان الحال بالنسبة للشعب العراقي ولشعبنا المسلم في كردستان العراق ابان النظام الشمولي البائد، وقبل ان يضطر المجتمع الدولي للانصياع الى استغاثات العراقيين، لان مصالحه الاستراتيجية آنئذ كانت مع وجود نظام الطاغية صدام حسين في السلطة، حتى اذا جاء ذلك على حساب حياة العراقيين ودمائهم وحقوقهم وامنهم.

لذلك فانا اعتقد بان افضل طريق لحماية الانسان لحقوقه وانتزاع حريته وحماية كرامته هو النضال بكل الطرق المشروعة.

وبهذه المناسبة، علينا ان نتذكر حقيقة في غاية الاهمية، وهي، ان نضال الشعب العراقي، وشعبنا الكردي الابي في العراق، والتضحيات السخية التي قدمها هذا الشعب سواء في الانفال او حلبجة او المقابر الجماعية او في السجون والمعتقلات او في الشوارع والازقة في عمليات المطاردة من قبل ازلام النظام او في عمليات التهجير القسري، ان كل ذلك هو السبب الاول والمباشر لما يرفل به اليوم العراقيون من نعمة الحرية، خاصة في كردستان التي تعيش وضعا امنيا افضل بكثير من عدد من مناطق العراق، وكلنا امل في ان يتطور هذا الوضع وتستقر الامور اكثر فاكثر جنبا الى جنب بقية مناطق العراق، في ظل نظام سياسي تعددي ديمقراطي دستوري فيدرالي، على قاعدة المساواة وعدم التمييز بين العراقيين على اساس الدين او المذهب او العرق او المنطقة الجغرافية او الانتماء الحزبي او الفكري والثقافي .

السؤال الرابع:

إذا انتهت جلسات المحكمة التي تنظر في قضية الانفال، بعد كل أولئك الضحايا الكورد الذين بلغ تعدادهم مئة وأثنين وثمانين الفاً بين شهيد ومشرد وموءود ، هل سيكون حكم الإعدام كافياً بحق أولئك المتهمين الستة فقط ، أم أن على العدالة أن تطال مسؤولين وأشخاصا آخرين كانوا من أصحاب القرار في تنفيذ جرائم الأنفال ؟.

الجواب:

برأيي، فان كل من ساهم في ارتكاب هذه الجرائم، يجب ان يقدم الى العدالة لينال جزاءه الذي يستحقه، ولنثبت ان القانون، في العراق الجديد، فوق الجميع من دون محاباة او مغازلة، ليكونوا عبرة لمن يعتبر.

لا يعقل ان يتعايش القاتل والضحية في العراق الجديد، ولا يمكن ان نتصور ان من تلطخت يداه الآثمتين بدماء الابرياء، يعود في العراق الجديد حاكما او مسؤولا يمشي متبخترا امام ضحاياه، فان ذلك يثير الضغينة في نفوس الناس، ويثير الاحقاد عند اسر الضحايا واصدقائهم، كما انه يثير الكثير من الشكوك التي ستظل تحوم حول الحكومة ومؤسساتها، التي تبدو وكأنها تريد مكافأة القاتل على حساب الضحايا، وهذا خطأ افضع، ربما، من الجريمة ذاتها، ولذلك يجب ان ينال كل مجرم جزاءه، كل حسب حجم المشاركة والمساهمة في الجريمة البشعة، لنحقق العدالة بأبهى صورها، فلا نظلم احدا، متهما كان ام ضحية، وفي الآية المباركة اوصى رب العزة عباده بالعدل بقوله {ان الله يامر بالعدل والاحسان} وفي اخرى {لا تظلمون ولا تظلمون}.

نسال الله سبحانه وتعالى المغفرة وجنان الخلد لكل ضحايا النظام الشمولي البائد، وان يفضح الطاغية وزبانيته العتاة المردة، على رؤوس الاشهاد يوم القيامة كما اخزاهم في الدنيا، ويمن على الجرحى والمصابين بالعافية وعلى ذوي الضحايا بالصبر والعزاء الجميل، وان يبصرنا عيوبنا، ويجعلنا ممن يتعظ بمصير غيره، فلا نظلم او نعتدي او نتجاوز على حقوق الاخرين، وان يمن على العراق بالعافية وعلى العراقيين بالامن واليمن والخير والبركة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٩ آذار ٢٠٠٧

ليست هذه جذور تاريخية للطقوس الشيعية

«ردا على مقال»



صلاح مندلاوي

يتدرج الاستاذ (د. فرست مرعي) في رصانة لغوية ومنهجية لدراسة الطقوس الشيعية ثم ينقطع فجأة يبدأ منذ ١٥٠٢ وهو تاريخ الدولة الصفوية. ثم ينطلق في اكتشافه ليوصمهم بالعبيديين هم من يصيرون انفسهم عبيدا لاناس غيرهم.

ولكي لاتكون فكرته هما علي صدره فقد اباح بها ليعبر عن فكره الديني المبني خطأً على انتقاد الاخرين. ولست مستغربا من الرجل اذ ان المفكر الاجتماعي الاول لعلم الاجتماع العربي ابن خلدون يقول: المسلمون كلهم على طريقة واحدة (الا اهل البيت فقد شذوا عن باقي الامة ليختلقوا لانفسهم طريقة خاصة في التعبد).

يا دكتور فرست لولا صفاء نيتك في العرض لماذكرت ان في الكرد الشبك والكاكائية والفيلية وهم طوائف شيعية. انهم سنة ملايين ستة ملايين من الشيعة ان لم يكن اكثر، فكرماشان وعيلام وحدهما فيها اربعة ملايين، فهل وجدت فيهم (جماعات اقلية منبوذة والمهشمة) اليست هذه مسبة لا مبرر لها ولو انكم جاهدتم على توحيد صفوف الشعب الكردي لما كتبت مثل هذا العرض المبتور لتختلق لهم مسبة اخرى بالاضافة الى الرافضة والقبوريين ثم اتيت لهم بالعبودية.

الطقوس التي تتحدث عنها هي تعبير صوفي للتعبير عن المحبة (لا المسبة) نحن اليوم نريد ان يشعر الايزدي بكرامته كما اليهود والمسيحيون فكيف بالدراويش انهم متصوفة وعشاق، فالعاشق لايرى بينه وبين من يحب اية حدود لذلك يصير عبده ويقبل قدمه.

الا ترى ماذا يفعل عشاق المطربين وهم لافلسفة لهم، هل رأيت كيف ان رجلا يقبل قدمي ام كلثوم وهي مطربة، و٣٢ فتاة القين بانفسهن من العمارات التي مرت بها جنازة عبدالحليم حافظ، ويقول مدير اذاعة القاهرة انه لاتزال تصل يوميا آلاف الرسائل الى عبدالحليم حافظ فهل الرجل كان فيلسوفا!!!

فهل ستبري لهم شتما لانهم احبوا هؤلاء الناس ام ان لدى من عرض الموضوع عليك غاية تشتيت الجهد الشخصي فلماذا لاتشغل بالك بتوحيد نظرة الشباب لتوحيد الصفوف الكردية.

استاذنا المحترم لاتنقل كلام غيرك كي لاتقع في اخطاء وقع فيها والا بوذا انسان والمسيح انسان والناس يقدسونهما بآلاف الملايين فهل كل هؤلاء الناس عبيديون. لانهم يقبلون ان يصبحوا عبيد غيرهم من البشر؟

لا والف لا، ماذكرتموه لاينبغي ان تحولوه موضوعا

للدرس، فالشيعة هم (الخاصة) الوارد ذكرهم في القرآن (فأسلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) فاهل الذكر هم كتبة الوحي.

وهؤلاء كانوا بمثابة فلاسفة الدين الجديد، ففكرة التمسك باهل البيت هو لوجود النصوص المكتوبة من الاحاديث النبوية لديهم اذ كان عند اهل البيت.

١)القرآن بخط يد علي بن ابي طالب بدون تنقيط توجد نسخة في خزينة الضريح في النجف.

٢-الاحاديث والسنة النبوية. مدونة بخطه ايضا.

٣-صحيفة فاطمة التي تورد فيها الاخبار والمرافعات اليومية يكتبها علي لزوجته السيدة الزهراء.

والناس اذا اختلفوا كانوا يتصلون باهل البيت لمعرفة الفقه النبوي في التفسير اذ ان الراشدين الثلاثة قالوا ان الرسول امر باتلاف كل ماكتب عنه كي لايختلط بالقرآن وهو اجتهاد اوجب صعوبة كبيرة في التفسير والسلوك الاجتماعي لكي لايختلط على الناس الامر، كان ينبغي ان تسميها الاسماعيلية وليس الشيعة، ففرق الشيعة ٢٨ فرقة واليك فسفة الشيعة الاثنى عشرية.

١-الامام الاول علي بن ابي طالب بايع ابا بكر الصديق وسنة الامام متبعة ومن لايتبعه فهو تحب وليس شيعيا.

٢-حي على خير العمل اصلي في اذان المسلمين وتعني حي على الجهاد والغي في زمن الخليفة الثاني.

٣-اشهد ان عليا ولي الله، جاءت كردة فعل لسب علي من معاوية الى عمر بن عبدالعزيز في الدولة الاموية فقد كان على كل مسلم كي يكتمل صلاته في (السنة والجماعة) ان يسب عليا باسم ابي تراب الى ان سب الناس من هو ابو تراب.

٤-سب الخلفاء الثلاثة خروج على الامام الاول اذ حتى الامام الثاني الحسن فقد عقد اتفاقا مع معاوية داس عليها معاوية باغتياله الحسن وتمزيق المعاهدة.

٥-الضرب الزنجيل على الظهر فعلها جابر الانصاري احد صحابة الرسول واحد كتاب الوحي.

٦-الرسول كان يسجد على التراب وطورها الناس الى اية تربة لابل ان البارزانيين ومعظم سكان كردستان يصلون على الحصو الكبير بعد غسلها وهي مقبولة حتى لو على اغصان الاشجار ولست زاهدا ولا متحجرا في فهمي للاشياء بل اذكر فقط كانت القيادة الدينية بعد دافعة كربلاء بيد ال محمد والقيادة السياسية بيد الامويين ثم العباسيين الذين رفضوا ان تكون القيادة للطالبيين (نسبة لابن ابي طالب) رغم انهم جاءوا الى الحكم برايات سود رمزا للعزاء على الحسين.

جميل منك انك شبهت الحسين بالمسيح لم لا فكلاهما شهيدان، اولا تقول الاية في نصف الصفحة الاولى من سورة البقرة (الذين يؤمنون بما انزل اليك واما انزل من قبلك) وما انزل من قبله هو التوراة والزبور والانجيل فهل لكم اعتراض على ذلك.

الخلاصة اتي تراها في ايران وجنوب لبنان، فهي الامامية الشيعية ويقود الكل المرجع الاعلى في النجف وهو بمثابة الفقيه الاعلم الواجب الطاعة.

اما مايتعلق بالطقوس فقد حصرتها المرجعية الان فقط في ثلاثة ارتداء السواء واللطم الحماسي واستعمال الزناجيل وقد الغيث الكثير من الطقوس، وحتى هذه الظواهر فانها ليست بالنسبة المطلقة اولم تر في التلفزيون ان المشتركين بالملايين في العزاء، لكن ممارس الطقوس اقل من نسبة ٥٪ او اقل فلا نستعمل هذه الحالة للحكم على الاشياء وقد ولدت في قلبي مرارة سقيمة كيف يكون الامر لو انني قرأت ما كتبته من امي عاش متزمتا والغى باب الاجتهاد منذ الف عام في الدين.

نحن امة كردية مضطهدة، ١|٤ حورب لانه سني ففي ايران، ١|٤ حورب في العراق لانه شيعي، و ١|٤ في تركيا لانه زرادشتي ايزدي، نحن اكبر امة لم تحقق حقوقها اربعين مليونا يريد البعض حتى الاعتراف بفدرالية فتية منحت لنا بعد ارتال من الشهداء وويلات يعجز اللسان عن وصفه وادون لك شكري انك قد جاهدت لان تكون محايدا كأستاذ يحمل الدكتوراه في التأريخ.

*نشر مقال الدكتور فرست مرعي في العدد الخامس عشر من مجلة سردم العربي.



قوة الشعر.. شجاعة الشاعر

محيي الدين زەنگەنه

الى صديقي الشاعر خليل المعاضيدي٠٠ في ذكرى اغتياله الثامنة والعشرين

انه لأمر قاس حقا حد الوحشية، ومؤلم جدا حد الطعن بسكين مسمومة، لحما بشريا طريا، ان تضطر الى نزع قشور لما تيبس، ولن تتيبس ابدا.. عن جروح لما تزل تنز وتنزف..

ولعل الاقسى والأمر.. والاشد وحشية و ألما .. أن يتكرر ذلك كل عام، منذ اكثر من ثمانية وعشرين عاما.. وتحديدا منذ عام ٩٧٨ حيث صعد صدام وحزبه الفاشي، حربه الشاملة المتواصلة منذ عام ١٩٦٣ ضد الشعب برمته.. التي ترافقت هذه المرة مع حملته المزعومة لمحو الامية التي اسماها بـ«الحملة الوطنية لمكافحة الامية» والتي غدت بحق مثلما اسماها الشعب كل الشعب ..» الحملة الأمية لمكافحة الوطنية .. ومحوها».

ويتجدد الألم المكين في القلب والروح، كلما حلت الذكرى الموجعة، ذكرى سرقة.. الشاعر الشاب المبدع، خليل المعاضيدي، المترع بالأمل والحياة والحب لا لشعره ورسالته الشعرية والاجتماعية حسب..دائما وبالقدر نفسه واضعافه لوطنه وشعبه وناسه، الذين انتزعوه من بينهم كما تنتزع النبتة المثمرة المعطاء، من تربتها.. حيث تتوغل فيها جذورها، تستقي ماء الحياة لتغدو الشجرة الباسقة المثقلة بالثمار.. والدوحة العالية الظليلة الخضراء، التي تبهج النفس وتفتح الروح. وتسر الناظرين ، الا الشباطيين.. الشياطين، الا الوحوش البعثيين.. اعداء الحياة والجمال..

ولست هنا في معرض تجديد ذكراه التي لا تزال طرية بندى المحبة.. مخضلة بدموع الام الثكلى والتي تتجدد تلقائيا كل يوم، اكاد أقول كل حين في ذاكرة كل من احبه.. وانما لكي انشط وانعش ذاكرتي التي اوغلت مخالب الزمن الوحشي وانيابه، في تقطيعها وتجريحها، وزرعها، بأوجاع وآلام فقد الأحبة، بلا رحمة.. بيد ان العزيز خليلا، لم يرحل عنها فهو لا يزال يسكن في ثنياها يتوجها، ويتربع على علاها بكل جدارة واستحقاق.

قلت في كلمة تأبينية سابقة. في حفل كبير اقيم في ذكراه، في مدينته «بعقوبة» التي عشقها حتى النخاع والتي غناها، وترنم بها في قصائده وانغامه والحانه.

في بعقوبة ايها الأحبة
كان ثمة قنديل
اسمه خليل
يضيء بالكلمة الودود يطش الورود.. في دروب

المحبة، يعطر الوجود» يحفر بالقلم الحاد، كالسكين. طريق الحرية . يرسم بريشته المغموسة في القلب، آفاق السعادة، بمداد احمر.. بلون الورد.

يعزف على أوتار قيثارته غير المرئية، النابتة بين الضلوع، ويغني بصوته الهادئ الرصين ونبرته المنغمة الندية الحنون.. اغنيات للانسان..للاشجار.. للاعشاب للعصافير.. ويطلق اناشيده الساحرة.. الواثقة، للغد الآتي.. الآتي رغم كل شيء واعدا بالآمال والأماني والأحلام . يبذر حروفه الملونة بالوان القوس قزح.. يزرع كلماته الثورية المعطرة برائحة خبز الامهات وعطر الهيل في شاي الامسيات.. فتتلون الزهور.. وتتراقص الغصون.. ويتضوع القداح.. فيزهو البرتقال.. و تشرع العائلة العراقية، على امتداد الوطن، تعيد صياغة الحياة..تصنع الحياة..من جديد، على انغام القصائد والاغنيات، في صمت مجلل بالكبرياء، رغم الفقر والبؤس والجوع.. ورغم التعاسة والاضطهاد.. والجلاد.. فتزهو النهارات.. وتسطع الليالي بالأفراح والمسرات..

ولكن دائما.. ثمة من لا يروق له الغناء.. ويكن له البغضاء ويعتبره من الد الاعداء ودائما ثمة من يبغض الشعر والعذوبة والصفاء..

ففي ليلة شباطية سوداء ظلماء ظلماء، اظلم من القبر عمرها اربعون عاما ونيفا، كل يوم فيها عام.. كل عام فيها دهر.. اغتال القمر فيها حفنة اشقياء، شذاذ الآفاق.. من اللصوص والقتلة الاوغاد.. فتوارت النجوم خجلا، من مخلوقات شوهاء، تكره النور والضياء واحتجبت الشمس.. من كائنات تحنق الانوار.. فاستحال الزمن كله، ليلا دامسا، اسود، اشد سوادا من قلوب القتلة، وتناسل الليل الادكن، مع النهار الاظلم.. في عرس باركه الشيطان.. اسموه «عروس الثورات».. وحبلت العروس.. بكل نجاسات الارض والسماء.. فولدت غلمانا.. يعبون الدم.. ولا يرتوون الا بالدم.. فسفحوه جداول وانهارا..تحت استار ليالي الظلم والظلام.. فتمخض ذلك العرس الشيطاني عن ليال.. وليال.. وليال.. اشد ظلمة وعتمة.. وقبحا وشرا.. من الشيطان نفسه.. وسقط العراق كله، من اقصاه، الى اقصاه، في ليل طويل .. طويل .. طويل . بدا.. كأنه بلا نهاية.. اتلف من اعمارنا.. ومن منابع الحياة فينا.. نصف قرن الا عقدا.. او اقل من العقد. قليلا.

في تلك الليلة الشاذة من الليالي، في منتصفها او قبل منتصفها او بعده بقليل او كثير.. لا ادري.. فليالي الشر، كلها متواصلات لها بدايات وليست لها نهايات.. ولا منتصات. وربما في احد النهارات السود، السود حقا، فكل شيء في ذلك الزمن البعثي الكابوسي، الخرافي في كابوسيته، ولا معقوليته، كان اسود، حتى النهار المشرق المشمس، عادة ، صار اسود.. والشمس.. الشمس نفسها غدت سوداء . فقد حقنوا كل شيء وبسرعة مذهلة، بحقدهم الاسود. فاختفت كل الالوان وتلاشت الا اللون الاسود في ذلك السواد القاتم البهيم، سرقوا منا، من ضمائرنا من بين ضلوعنا، من ضمن من سرقوا وهم بعشرات الالاف، قنديلنا الاخضر، قنديل بساتين بعقوبة الخضراء، وشوارعها المضيئة به. التف عليه الظلام.. احاط به الظلاميون اخفوه عن العيون، انتزعوا من الناس عيون خليل التي بثها فيهم، او منحها لهم ليروا.. ابعد واوسع واعمق.. انهم اعداء العيون التي ترى..اعداء الرؤية على الاطلاق.

اقتلعوه من جذوره، انتزعوه من ينابيعه اطفأوا فيه الشعاع، هكذا هم الظلاميون في كل زمان ومكان.. في كل الأزمنة والأمكنة، يكرهون النور يخشون الضياء.. يخافون الشعر.. وقد كان خليل دفقة نور وشلال شعر.. وكان همهم ان يجففوا الشلال.. وان يطفئوا النور.. ولكن خسئوا هيهات.. «فكل ظلام العالم، يقول ناظم حكمت، عاجز عن اطفاء شمعة» فما بالك حين تكون الشمعة .. شاعرا..

ملعون منذ الابد.. والى الابد.. من يقتل شاعرا.. ملعون من البشرية كلها، من يخنق نورا، ملعون .. الف مرة من يطفئ شمعة.

اطفأ الملعونون (خليل) لأنه ابى ان يضيء لهم.. ابى بإباء ان ينير لأعداء الانسان.. اعداء الحياة.. الذين توهموا، وما اكثر اوهامهم وما اشد قسوتها، ان الليل الشاذ الذي حاكوا عباءته الثقيلة من جلود الناس.. واوردتهم وشرايينهم.. وفقأوا عيون نجومه.. وافاضوا محاجرها بدماء الضحايا، سوف يظل جاثما على صدورنا.. الى الابد.. وانهم سيظلون يمارسون هواياتهم المجنونة القذرة.. ويشبعون رغباتهم النهمة الشرسة المريضة في المزيد من الدم.. وهم يرقصون.. ويؤدون طقوسهم البدائية الدموية.. ويقيمون اعراس القتل والذبح والخطف.. واغتيال الشعر.. واطفاء الشعراء, وردم ينابيع الحياة في كل مكان، تحت ستار الظلام وحمايته.. المسدلة عليهم . وعلى افعالهم.. جاهلين، وكل القتلة، أغبياء وجهلة.. بالرغم من كل غطرستهم ووحشيتهم.. فهم يجهلون حقيقة علمية جدلية، بسيطة جدا، ولكن عميقة وصادقة، وهي ان لا شيء يبقى ثابتا على حاله، مستقرا في وضعه.. «وان الانسان لا يخوض النهر نفسه مرتين.. فإن مياها جديدة تجري دائما تحت القدمين» حقيقة ادركها هيروقليطس، قبل الاف السنين، وان الشاعر الذي يضيء بشعبه بإرضه، قد ملأ قنديله بزيت الحياة.. زيت الحب، زيت التمرد.. زيت الثورة الذي لا ينضب، وقد نشر نوره في كل مكان، وجعله يشع في دهاليز العقل والفكر، في مجاهل النفس والروح في اوردة القلب وشرايينه.. في عروق الجسد ونبضه.. وهو يحيا به، و.. فيه.. يمده بالمزيد من عرق الجهد والكد..وتحسين ادواته.. وتجميل صياغة لغته.. واقتناص روائع صوره الشعرية.

وا.. لهفي على خليل..

وا..لهفي على ذلك الكيان الناحل الاصيل..المشع بالقوة والعزم والاصرار.

وا..لهفي على ذلك الرأس العالي المرفوع..الفائض بالشعر والجمال والافكار..لقد عذبوه بقسوة الجبان ودناءته وخسته.

نهشوا لحمه، قضموا عظامه.. مثلما فعلوا.. بأب له من قبل، يدعى «بروميثوس»، الذي اغتصب من الالهة، قبساً من الشمس، واعطاه للانسان، متحدياً.. اوامرهم واوامر كبيرهم «زيوس» الذي غضب واحتد وثار.. وفرض عليه اغرب عقاب واقساه وافظعه. اذ قيده الى صخرة هائلة.. وارسل عليه من ضوارى الطير نسراً.. يأكل كبده كل يوم. وما يكاد الكبد ان يلتئم حتى يأتيه النسر، من جديد، وهو اشد جوعاً وضراوة، فيقضمه مرة اخرى..وهكذا دواليك.. طيلة سنوات وسنوات.. استحالت الى قرون وقرون وبروميثوس، صامد، لايئن ولايضعف ولايلين.. واذ تهيأ لزيوس انه قد نال منه وانه فتت قوته وبدد شجاعته.ارسل اليه رسوله.. ليساومه ويعيده الى حظيرة طاعته.. ويمنحه بركاته وهباته.. بيد ان بروميثوس الذي كان يزداد كل يوم رغم الامه الفظيعة وعذاباته التي لاتطاق، قناعة بصواب موقفه.. ونبله وشجاعته.. قال للرسول: عد الى سيدك.. وقل له.. اني، وانا ارسف في اغلالي ويأكل النسر كل يوم كبدي.. اكثر حرية منه.. ان سيدك، زيوس، هو العبد، وانا الحر.. حقا.. ان من يهتد الى منابع النور والحقيقة.. فلن يتراجع عنها.

وا.. لهفي على خليل!

لقد سفحوا دمه..

دم الشاعر في بعقوبة..

بعقو بته..

التي صنعها،بناها..من دمه واعصابه.. واعاد صياغتها عشرات المرات في قصائده.. وحمل صليبها.. الاف المرات.. على ظهره الاعجف.. مدقوقاً بمسامير الفاشست..في عظامه مغروزاً في لحمه وجلده..

لابأس عليك.. يا خليل. يا شاعر.. يا شجاع.. فقد سفحوا قبلك دم.. لوركا في مدريد.. وسفحوا دم نيرودا في شيلي.. وقتلوا بالرصاص ايلوار واقفاً في باريس.. وهو يصرغ بقتلته العبيد المأمورين مشفقاً عليهم

رغم كل شيء: «ايها الحمقى، اني اموت من اجلكم..»

اجل.. يا خليل.. يا صديقي الذي غاب.. الى الابد عني.. ان للقتلة وجهاً واحداً. وان تعددت الاقنعة.. واختلفت الازمنة.. وتباينت الامكنة.. ويتواصل القتل والذبح والشنق والحرق.. مادام ثمة انسان.. يقول لجلاديه،بصوت عال.. «لا» ويأبى ان يفكر ويتعامل مع الكون والاشياء الا بالطريقة التي يريد.. ويرفض ان يسير مع القطعان البشرية التي هي في كل الاحوال، احط من القطعان الحيوانية. في الطريق التي يفرضونها عليه او يسوقونه اليها.. حتى وان بقي وحده.. يسبح عكس التيار.. ويطير.. خارج السرب.. فقد ظل..صادقاً مع نفسه،أمينا لرأيه وفكره..وقد قال الامام علي «رأي واحد شجاع.. اكثرية» وقد كان سبارتاكوس، شأنه شأن كل الثوار العظام، واحداً.. ولكنه حين صلب.. صار عدد نجوم السماء واقمار الاكوان وشموسها. «فاذا لم احترق انا.. واذا لم تحترق انت..فمن يضيء الدرب امام الاخرين» يقول ناظم حكمت..

واحترق خليل..
واحترق،قبله،اخرون سابقون.
ويحترق،بعده،لاحقون..

وتستمر المحرقة.. وتتسع.. ويزداد عددها.. كلما زاد القائلون «لا» بوجه الطغاة والأنظمة.. والمتسلطين.. يسومونهم سوء العذاب، بما هو أفدح وأبشع، يعاقبونهم بالحرق.. لا لذنب اقترفوه.. ولابسبب جريمة ارتكبوها.. وانما بسبب ذنب دنيء.. أبوا ان يرتكبوه.. ولجريمة خسيسة استنكفوا ان يقترفوها «ان اكثر ما يثقل الضمير الانساني-يقول ماركس- ان ترى عقاباً.. وليست ثمة جريمة.. وان ترى جريمة.. ولاترى لها، او عليها عقاباً»

كم عقاباً رأينا؟ بل ذقنا وعشنا؟ دون اية جريمة، ولا اي ذنب.. و لا حتى خطأ! وكم جريمة وقعت ونالت أحبتنا..اجزاءً منا مبثوثة في الاخرين.. دون اي عقاب! بل نال مرتكبوها الاوسمة والنياشين.. حتى ضاقت بها صدورهم.. وظهورهم ايضاً. من يحصي..؟ من يعد؟ من يحسب..؟ من.. من يحاسب؟ من؟ من؟ من؟

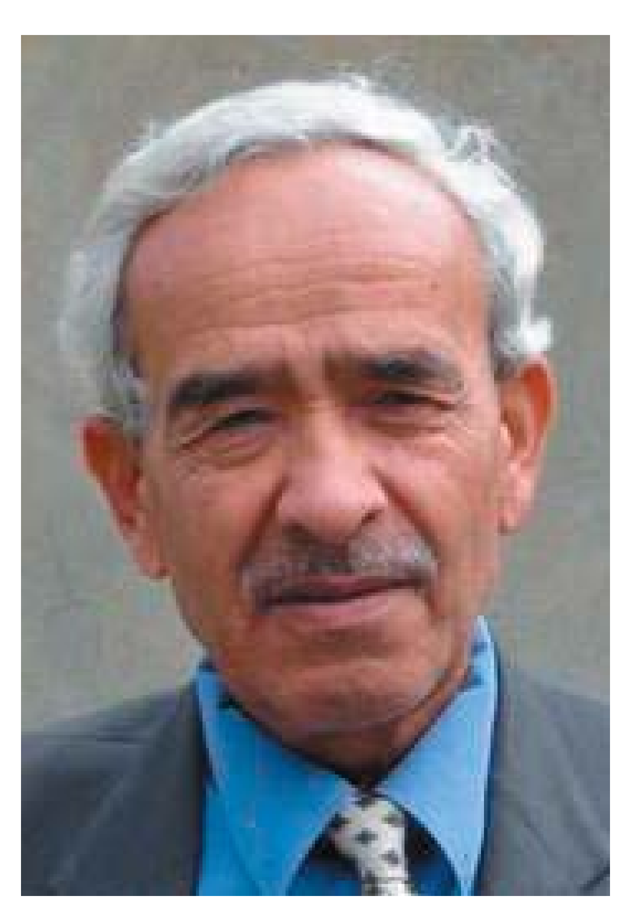
يحلو لأحبة خليل.. واصدقائه.. وكلنا احبته واصدقاؤه.. ان يروه بعين الخيال المجنح وهو يرفرف مع الفراشات الملونة في الجنة.. بيد انى اراه هنا، في ربوع الوطن وفيافيه.

وتحت ظلال نخيله.. وتوته وبرتقاله.. وبلوطه وجوزه.. فقد وضعوا الشاعر في الجنة فصاح،متحسراً.. متشوقاً.. اه. يا وطني و أنا اسمع صوت خليل ملء اذنى ملء كياني وهو يترنم.. ويتغني.. ويقول.. اه.. يا عراقي.. اه.. يا بعقوبتي... اه.. يا خريساني!!

اني اراه.. سارحاً على ضفاف خريسان.. مثلما كنت اراه.. امسية كل يوم.. ماشياً مذهولاً.. كالغائب عن الوعي.. وهو غائب فعلاً.. دوماً.. ولكنه حاضر.. بقوة في قصيدة جديدة يروم نظمها.. يتصيد لها صورة شعرية.. لم يرسمها من قبل.. فلنحيي في ذكرى حياته المتجددة.. الثامنة والعشرين.. خليل الشاعر.. خليل الانسان الشجاع.. الذي اختار الحياة في الشعر.. او اختاره الشعر.. واحسن كلاهما الاختيار.. ولنحيي.. جميعا.. قوة الشعر.. وشجاعة الشاعر. أمام كل التحديات.. بما في ذلك الموت.

القاص جليل محمد شريف: كركوك تشهد ثقافة كبيرة

اجرى اللقاء: رزگار شواني



ولد عام1942 في قرية (قره ده ره) التابعة لمحافظة كركوك وانتقلت أسرته بعد ثلاث سنوات من ولادته إلى مركز محافظة كركوك، ومن الذين عاشوا أحداث المدينة المرة والحلوة إلى الوقت الحاضر وفي مختلف مراحل حياته.. بدأت دراسته في الجوامع والكتاتيب وبعد ذلك انتقل إلى المدرسة المسائية الابتدائية وقُبِلَ في الصف السادس دون المرور بالصفوف الأولى، ثم انتقل إلى المدرسة النهارية وكان أسمها الأمير عبد الإله في محلة شاطرلو بمدينة كركوك وأكمل دراسته الابتدائية هناك بعد ذلك أكمل دراسته المتوسطة والإعدادية في هذه المدينة أيضاً، وفي عام1965 قُبِلَ في قسم اللغة العربية في كلية التربية بجامعة بغداد، وبعد تخرجه عمل مدرساً في مركز قضاء الحويجة ومن ثم وبعد سنتين انتقل إلى كركوك وعمل في مدارسها مدرساً لحين إحالته على التقاعد سنة1993 بناء على طلبه.. إنه القاص الكردي جليل محمد شريف الذي إلتقيناه في داره الكائنة في حي تبه ملا عبد الله بمدينة كركوك

* كيف ولع القاص جليل محمد شريف بكتابة القصص؟

- كتابتي الأولى كانت منذ المرحلة الابتدائية حيث نشرت أول مجموعة أبيات شعرية في مجلة (به يام) التي كانت تصدرها الاستعلامات الأمريكية ببغداد وذلك عام١٩٥٥ وبعد ذلك أهملت هذا الجانب من قابليتي ومع ذلك بدأت بالكتابة باللغة العربية في جريدة (كل شيء) على شكل مقالات قليلة ولو بعدد قليل لكن كتاباتي الأساسية بأن أعتبر نفسي كاتباً منذ ذلك الوقت تبدأ مع صدور مجلة (كاروان) في أربيل بداية الثمانينيات ومنذ ذلك الوقت بدأت أنشر ما كان عندي من القصص المكتوبة سابقاً والمحتفظ بها عندي لحين إيجاد فرصة ملائمة، حيث نشرت العديد من القصص القصيرة باللغة الكردية وثم في أماكن أخرى وفي منشورات وجرائد أخرى بدأت أكتب مقالات أدبية ونقدية ولغوية إلى جانب اختصاصي الأول وهو كتابة القصص القصيرة..

* وكيف كان التشويق إلى عالم القصة ولمن كنت تقرأ؟

- القصة عالم جميل، عالم مشوق، عالم يجذب القارئ والمطالع إن يتابع ويعيش في ذلك العالم، ومنذ طفولتي عندما بدأت أطالع كنت أقرأ لكتاب قصص عديدين من الأوائل وبالأخص محمد نوري توفيق، ومصطفى صالح كريم. وبعد ذلك تطورت القصة الكردية بالأخص في عصر عبد الله سراج وحسين عارف وأحمد محمد إسماعيل وكنت متابعاً وحريصاً على أن أقرأ كل ما يصدر عن القصص، من هنا نشأت لدي الرغبة في الكتابة وقد تأثرت كثيراً بـ (حسين عارف وأحمد محمد إسماعيل) بالدرجة الأولى إضافةً إلى القصص العربية وبالذات المصرية وكذلك القصص العالمية لاسيما قصص (جيخوف وموباسال) والآخرون..

* ماذا بشأن شعراء (روانكه) أي (المرصد) الذين كان لهم دور مؤثر في الثقافة الكردية إبان السبعينيات هل كانت لك علاقات مع هؤلاء الشعراء؟

- في الحقيقة لم تكن لي علاقات بهذه الفئة أولاً لأني لم أكن شاعراً لكن مجرد قارئاً للشعر وكنت أتابع ما يصدرون من مقالات وآراء وكانت في الحقيقة يعني بداية مرحلة جديدة لتجديد الشعر الكردي ومحاولة لتحرير القيود السابقة مع الاحتفاظ بقوة القصيدة وصدقية القصيدة وبالأخص من ناحية الفكرة، وأنا أعتبر تلك المرحلة علاقة بارزة من علاقات الانعطاف نحو كتابة الأحسن والأحسن..

* أبرز مؤلفات القاص جليل محمد شريف؟

- طبعت ثلاث مجموعات قصصية هي مجموعة (كولى دةستكرد) أي (الورد الصناعي) و (هەوارگەی سێ دەنگ) أي (مرابع أصوات ثلاثة) ومجموعة (چاوی هەتاو) أي (عين الشمس) وبعد هذه المجاميع الثلاث صدرت لي رواية بعنوان (من هضبات بغداد إلى بوادي العرب) ولدي رواية أخرى وهي مقدمة إلى جهة ثقافية من المحتمل أن ترى النور قريباً..

* أبرز القصاصين الذين كان لهم دور في هذا المجال والذين مازالوا يواصلون عطاءهم؟

-هناك كتاب قصص من أهل كركوك كثيرون وإن كان قسم منهم قضى نحبهم أو ابتعدوا عن مدينتهم كركوك بسبب الظروف السابقة منهم (عبد الله السراج، أحمد محمد إسماعيل، غفور صالح، محمد نوري توفيق وآخرون) ومن الموجودين الآن في المدينة والمستمرين على الكتابة أمثال (محمد صابر محمود، معتصم ساله يي، فيصل طاهر همونذي وأنا أعتبر نفسي أيضاً ضمن هذه المجموعة الأخيرة التي ذكرتها ولا ننسى القاص المرحوم جليل القيسي، القاص المرحوم إسماعيل روزبياني)، أما بالنسبة للثقافة التركمانية والعربية في كركوك في الحقيقة إن الظروف السابقة لم تكن تسمح لنا بأن نهتم بهذا الجانب والإطلاع عليها ولكن مع ذلك هناك كتاب عرب وتركمان في هذه المدينة لهم حضورهم المتميز أمثال (رعد مطشر مسلم، قاسم حميد فنجان، فاضل العزاوي وآخرون)

ومن التركمان قرأت لـ (وهبي أقصو، صلاح الدين الهرمزي، حمزة حمامجي، فاروق فائق كوبرلو وفاروق مصطفى) وكذلك بعض الكتاب الذين اهتموا بالتاريخ والثقافة القديمة وتاريخ مدينة كركوك وأعتذر عن نسيان بعض الأسماء في هذا المجال..

* كيف ترى القصة بين الأمس واليوم؟

- القصة شأنها شأن أية ظاهرة حياتية أخرى لابد لها أن تتطور من مرحلة إلى أخرى وهذا التطور عادةً في مجمل الحياة يكون نحو الأحسن لأن القصة تمر بتجارب سواء كانت تجارب عالمية أو عربية أو كردية أو محلية فاستمرار الكتابة واستمرار القراءة تنشئ وتولد قصصاً جديدة ونتاجات نحو الأحسن لذلك أنا أعتبر ان القصة الكردية سارت مع هذا النهج وكذلك مرت بمراحل عديدة مثلاً مرحلة محمد نوري توفيق ومرحلة مصطفى صالح كريم من المراحل الخاصة في أواخر الخمسينيات ثم جاءت مرحلة حسين عارف وعبد الله السراج وثم بعد ذلك جاءت المرحلة الحاضرة التي تظهر قصص جديدة أكثرها قوة ومتانة يمكن أن نسميها انها ليست أقل شأناً من الإنتاج العالمي للقصص.

* وكيف ترى الواقع الحالي لثقافة كركوك؟

- الثقافة في مدينة كركوك ترى نهضة كبيرة في مختلف المجالات سواء كانت ثقافة فنية أو تشكيلية أو غنائية أو من فن الكتابة وبفضل الحالة التي نعيشها هي الحرية بعد سقوط النظام ويمكن أن نقول إذا كان هناك عيب في الثقافة في الوقت الحاضر بكركوك هي عدم وجود جانب مسرحي في المدينة حيث إن المسرح فيها مهمل وضعيف ونادر وأيضاً هذه لها أسبابها ونتمنى أن تقوم الجمعيات الثقافية سواء كانت تابعة للأحزاب أو الجمعيات الرسمية أو المستقلة من مختلف اللغات والثقافات أن تهتم بالجيل الجديد من الكتاب لأن الجيل الجديد أكثر حاجة إلى الرعاية والدعم وعادةً الجديد من النتاجات يظهر بين الجديد من البشر وأقصد الجيل الجديد الذي يعيش جواً من الحرية والصراحة والصدق في الكتابة..

* كلمة أخيرة للقاص جليل محمد شريف؟

- جميع الكتاب والشعراء المعروفين مروا بمرحلة الشباب وأهم شيء في هذا المجال هو أن لا يصاب الإنسان بحالة الإعجاب بالنفس ونوع من الغرور عندما تنشر له بعض المواد فكلما أهتم الشباب بالمطالعة الأكثر والإطلاع الأكثر والقراءة الأكثر والعمل الجدير من أن يحسن من نتاجاته ويحاول أن يكون كل نتاج من نتاجاته من الذي سبقه هذا هو درب النمو وقابلية الكتابة على أن تستمر المسيرة لأن توقف الكاتب أو الشاعر في مرحلة معناه موته الأدبي والثقافي..

* القاص جليل محمد شريف شكراً لاتساع صدرك لنا ونتمنى لك عمراً مديداً لمواصلة كتابة القصة وأغناء الثقافة الكردية في مدينة كركوك العريقة.

- أهلاً وسهلاً بكم وأنا بدوري أشكركم وأمتن لزيارتكم لنا..



مساهمة العلوم الاجتماعية

البروفيسور: ميشيل فيفيوركا

ترجمة: عدالت عبدالله

كي تكون العلوم الإجتماعية حاضرة، فانها بحاجة الى الديمقراطية، ولا مكان لها في الأنظمة الديكتاتورية و الشمولية و لاتنمو في ظلها. ولكي تكون هذه العلوم قائمة، فانها تتطلب مجتمعاً مفتوحاً و ديمقراطياً بحيث يقبل بعملية العودة الى الذات و إقامة مسافةٍ بين الذات و الأشياء. و لا يمكن لهذه العملية أن تخضع بشكل غير متوازن لقوى المال و المنطق الأُحادي للسوق اللامحدودة، ذلك لأن سلطة المال المطلقة مثلما هي عدوة للسلطات الشمولية فهي عدوة للعلوم الإجتماعية أيضاً.

و في الوقت الذي نأتي نحن و نُذكر الجميع بالظروف التي تنشأ فيها العلوم الإجتماعية والتي تساعدها في البقاء و التطور، ينبغي أن نتحدث أيضاً عن الأشياء التي يمكن أن تقدمها هذه العلوم.

هناك باحثون و أساتذة يعتقدون أن تلك الأشياء التي تقدمها العلوم الإجتماعية تقتصر نفسها في الحياة الأكاديمية للجامعات و لا تتعدى تلك الحدود. و في مثل هذه الظروف يحسب اولائك الأشخاص أنفسهم، كممثلين، على خشبة المسرح و يعتقدون بأنه لابد أن تنبع جميع القرارات من أناس من أمثالهم و جامعاتهم و من مجلاتهم العلمية و ندواتهم و لقاءاتهم الخاصة بينما يعتقدون أيضاً بأن مساهماتهم في حياة المجمتع هي عبارة عن تنشئة الطلبة.

بطريقة اخرى، فنحن لدينا العديد من الباحثين يشاركون في المناقشات العامة و الجماهيرية كإختصاصيين، و حزء من هؤلاء الباحثين يوظفون علومهم و معارفهم التي أكتسبوها لخدمة السلطة، وجزء آخر منهم يستخدمونها ضد السلطة، و مجموعة كبيرة منهم محاطون من قبل القنوات الإعلامية إذ من خلال تصوراتهم و تأويلاتهم يجعلون تلك القنوات مضطرة للإتصال الدائم معهم. و لا أقول ان هؤلاء الباحثين أصبحوا أناساً مطيعين و موظفين و مدافعين عن تلك الأقطاب : (السلطة ، المضاد للسطة، الاعلام) و إنما أقول انهم يوظفون معرفتهم العلمية خدمةً لتلك الأقطاب التي هي بحاجة الى آرائهم وتأويلاتهم في المجالات الخاصة.

و في الوقت نفسه لدينا باحثون آخرون، حيث لا يريدون لأنفسم الإنغلاق على عالم جامعاتهم فحسب بل يريدون أن يكونوا أُناساً ملتزمين أيضاً ، فقسم من هؤلاء الباحثين يعملون بالنمط الكلاسيكي القديم كمثقفين ناقدين و يظهرون بإستمرار في الإعلام والساحات العامة. والمعلوم هو أن في الماضي القريب مُثِّل الفكر النقدي من قبل مدرستين هما المدرسة الماركسية التي كانت في تقهقر مستمر و المدرسة البنيوية التي تعتقد بأن البنى و الآليات هي قوى مبطشة لدرجة إعلان موت الذات و الذاتية.

ولكن مع ذلك، فاليوم اصبحت الذات ذات مكانة متميزة في الفكر الاجتماعي وذلك بخلاف الفكر النقدي الذي صار اليوم فكراً نقدياً خارقاً يختزل نفسه يوماً بعد يوم في حدود الرفض و الشك و الفضح. ومن هنا فان كان الباحثون يبحثون عن نمط آخر للإلتزام و يطورونه. و في هذا النمط يسعون الى أن يكونوا بنائين و مشتغلين على التعايش موجهين تأويلاتهم بإتجاه الإصلاح بدل أن يرفضوا كل شيء و يشككوا في كل شيء و يفضحوا كل شيء. كما أنهم يسعون الى انتاج معرفة علمية يرتقون بها الى مستوى فاعلية الممثلين الإجتماعيين و السياسيين و الثقافيين.

ولا مراء من أن كل هذه المفاهيم إزاء دور العلوم الإجتماعية بإمكانها أن تتعايش معاً و ليس من المقرر أن يعادي بعضها بعضاً و إذا ما إنغلق أي من هذه المفاهيم على ذاتها فعندئذ سيؤول ذلك الى الفساد بينما وجودهم معاً هو نوع من طمأنة المجتمع من أن يعرف نفسه بشكل أفضل و يؤهب مستقبله بدقة وبرؤية واضحة.

*عن صحيفة كورستانى نوي- الترجمة من الفرنسية الى الكوردية: عادل باخوان

بين جماعة كركوك وجماعة الناصرية
العلاقة الصداقوية المتميزة

فاروق مصطفى

دخلت عالم جماعة الناصرية عن طريق الاصدقاء الذين كنت تتلمذ معهم في كلية الاداب ببغداد بين عامي ١٩٦٣-١٩٦٧ وفي مقدمتهم الصديق «عيسى رضيد ملا عمران» وقد كنا في مرحلة واحدة وفي القسم ونسكن القسم الداخلي نفسه وهو شاب مبتهج مقبل على الحياة تنسكع شوارع بغداد ونتسول وجوه البغداديات السمراوات ونأوي الى مقاهيها المكتظة بضوضائها اللزج والمنتشرة على جانبي شارع الرشيد في هذه الفترة انضم الى حلقتنا المقهوية شابان آخذان من مدينة «الناصرية» «محمد مهاوش» وهو يدرس اللغة الفرنسية في كلية اللغات وفاضل عباس عادي يتخصص في الادب الانكليزي في الكلية عينها، محمد مهاوش شوهد اوائل السبعينيات وهو يدور في شوارع «باريس» واظن انه بقي هناك واما عن «فاضل» فقد رحل هو الآخر الى «لندن» بعد ان نال شيئا من الشهرة في عالمي الترجمة والنقد.

القاص «عبدالرحمان مجيد الربيعي» ترفته في بيوت «جديد حسن باشا» كان مستأجرا لغرفة في احدى الدور وكنت ازور بعض الاصدقاء الذين كانوا نذلاء في البيت نفسه ومن ثم كنت اراه في مقهى «البلدية» في ساحة الميدان وهو شاب متأنق في ملابسه يتخصص في مادة الرسم في اكاديمية الفنون وله محاولات شعرية وقصصية بالاضافة الى موهبته التشكيلية وكان بعض من كتاباته قد ظهر في المجلات البيروتية، ثم احتج مشرفا على الصفحة الثقافية في جريدة «الانباء الجديدة» وقد فتح صفحته لنا وظهر فيها العديد من محاولاتنا الشعرية في تلك الايام تحت عنوان «قصائد من كركوك» ونزوره مرارا في مكتبة في الجريدة في عمارة انيقة تتوسط شارع الرشيد نذهب اليه انا وعيسى ومحمد مهاوش واقدم اليه القصائد التي كنت اجلبها من كركوك لصحبتي من جماعة كركوك.

وعن هذه الصفحة يحدثنا الشاعر «فاضل العزاوي» في كتابه السيروي «الروح الحية» وانا في السجن كتبت في العام ١٩٦٤ رسالة الى القاص عبدالرحمان الربيعي، الذي كان يشرف على الصفحة الثقافية في جريدة

الانباء الجديدة فعمد الى نشر بعض مافيها الاشارة الى اسمي بعنوان «كلمات من شاعر» في هذه الرسالة التي كانت طويلة كما اذكر تحدثت عن جيل منتظر سوف يضع الاسس لادب جديد كما اعلنت ان القصيدة بالنسبة لي هي اعادة بناء للعالم ص ١٣١.

وفي مكان آخذ من الكتاب نفسه يحدثنا العزاوي عن السنة التي التقى فيها بـ «عبدالرحمان» في غرفة بسريرين في فندق رخيص تعرفت في العام ١٩٦١ على معلم من مدينة «الناصرية» يكتب الشعر المنثور كان يتابع ما انشره كما يبدو، كان ذلك الشاب المتأنق الصوت الرفيع المخنوق الذي قدم نفسه لي هو عبدالرحمان مجيد الربيعي الذي قرأ علي بعضا من قصائده ص ١٠١.

وبعد ذلك انعقدت اواصر الصداقة بينهما وظل الربيعي يزوره في كلية التربية كلما قدم من «الناصرية» لقضاء اجازته في العاصمة وعبدالرحمن مجيد الربيعي بدوره هو يتحدث عن «فاضل العزاوي» وباقي الصحب في جماعة كركوك في كتابة الموسوم «اصوات وخطوات» مقالات في القصة العربية، والمطبوع في بيروت عام ١٩٨٤، يقول عن العزاوي «ينتمي فاضل العزاوي الى مجموعة من الادباء الشبان الذين نشأوا في مدينة كركوك البترولية الهامة، ونتيجة لوجود عدد من القوميات العراقية فيها فهم يتكلمون هذه اللغات كلها اضافة الى اللغة الانكليزية» ص ١٤١.

ويضيف الربيعي عن العزاوي بانه بدا شاعرا منذ اوائل الستينيات من القرن المنصرم «وكانت له اجتهاداته ومفاهيمه في الشعر مثل الشعر الميكانيكي الذي دعا اليه وكتب النماذج التبشرية له» ص ٢٤٢.

ثم يستطرد في الحديث عن فاضل العزاوي الروائي ويشير الى اعماله الروائية مثل: «مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة» و «القلعة الخامسة» ثم «الديناصور الاخير» ويسوق الربيعي طائفة من آرائه وانطباعاته عن هذه الاعمال السردية وهذا لايعني اننا نتفق مع تلك الاراء ولانريد ان ندخل في تفاصيلها وانما نتركها للمتلقي ان اراد الاطلاع عليها فما عليه الا الرجوع الى كتاب الربيعي «اصوات وخطوات».

اصدر الربيعي مجموعته القصصية الاولى «السيف والسفينة» عام ١٩٦٦ وقد استقبلناها بحفاوة وحرارة وحماس منقطع النظير وقد قمت شخصيا بالترويج لهذه المجموعة وبعث نسخا عديدة لزملائي وزميلاتي داخل كلية الاداب والى اصحابي خارجها، ثم تتالت مجاميع الربيعي القصصية الاخرى الى ان ظهرت روايته الاولى «الوشم» عام ١٩٧٢ في بيروت.

دعوت «جان دمو» مرة الى زيارة حدائق كلية الاداب وبالفعل قدم اليها صباح اليوم التالي وراق له الجو هناك بما حظي من حفاوة زملائي لقد احبوه وفتحوا قلوبهم له و «جان» هو الآخر لايحتاج اي استئذان عندما يريد ان يطرق بوابة اي قلب ثم تتالت زياراته الى كلية الاداب وكان اصدقائي يحتفون بمقدمه خاصة رفقتي من مدينة الناصرية حتى انه عندما سيق الى خدمة العلم نقل الى الناصرية – ولكن من في مكنته ان يتخيل «جان دمو» عسكريا، «حيث وجد هناك حفاوة ولكن لم يطل به المقام حتى تخلى عن العسكرية دونما رجعة» لا اذكر كيف تعرفت التشكيلي «فائق حسين» ولكنني اذكر جيدا ذهابي كثيرا الى الغرفة التي كان استأجرها في مكان قريب من منطقة «باب المعظم» يدعوني اليها ويعرض علي لوحاته وتخطيطاته ولا انسى احدى لوحاته التي ظلت عالقة في الذاكرة «البحث عن الاقليم» نتأمل عالمه اللوني والتشكيلي ثم سرعان مانتنقل الى عالم آخر وهو قراءة الاشعار التي اجد بعض القصاصات المحبرة بها في جيوبي فاسمعها اياه ثم يطلب مني ان ادون بعضا منها ليصحبه معه في اليوم التالي الى اصدقائه في اكاديمية الفنون وبين فائق حسين وفاضل عباس هادي صداقة حميمة وهو يحدثني عن ايامهما ومسامراتهما في مدينة الناصرية وفائق حسين عندما يحل في اي مكان يفيض حوله مناخا من الطيبة ويشعل طقسا من السخاء وكثيرا ماشوهد

في ليالي بغداد وهو يحمل سلة ملأى بضروب من الحلوى يوزعها على الاطفال والاولاد الذين يلتقي بهم في الازقة والدروب التي يقطعها، رحل فائق حسين الى اسبانيا ثم الى الاكوادور في امريكا الوسطى وانقطعت كل اخباره عني باستثناء الحب الكبير الذي تركه لي والمودة الاثيرة التي مازلت تظللني ازهارها الفاغمات.

في عام ١٩٦٩ وانا راجع الى العراق من بلاد الجزائر لقضاء العطلة الصيفية اشتقت الى صحبتي في الناصرية فركبت القطار الهابط من بغداد الى البصرة، جلست في المقطورة السياحية، واذ انتشيت بقناني الجعة التي تناولتها مازلت اذكر صور بساتين النخيل وهي تنزى امامي من النافذة والسهوب الممتدة بشكل لا متناه والقرى المتواضعة التي يخيم عليها هدوء من النسيان والقرويات وعن يخبزن الخبز في تنانيرهن الصيفية وصلت الناصرية وعانقت «عيسى رشيد ملا عمران» وجالست طويلا الكتاب والمسرحي «عزيز عبد الصاحب» مررنا من شارع «الحبوبي» أو «عقد الهوى» ثم تجولنا في متنزة بعد ان قطعنا النهر اليه وقد شيد بعد ثورة الرابع عشر من تموز وكان الفرات ينساب بحزن ووقار ولم اجد عليه الا مقهى متوحدا وقد اغرقت بكرم وسخاء صحبتي ولا ادري اذا كان هؤلاء الاصحاب يتذكرون ذلك الفقير الكركوكي الذي احبهم ومازالت ايامهم وذكرياتهم تتوهج في مخيلته المضنكة.

احالات

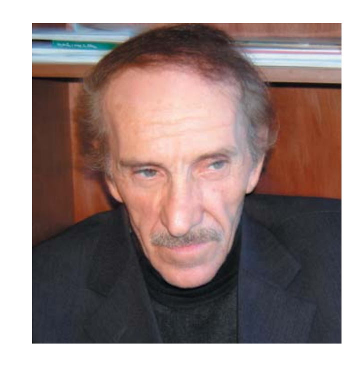
١-«الروح الحية» جيل الستينيات في العراق/ فاضل العزاوي/ الطبعة ٢- ٢٠٠٣ دار المدى-دمشق.

٢-«اصوات وخطوات» عبدالرحمن مجيد الربيعي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت ١٩٨٤.

٣-«جماعة كركوك» الاستذكارات الناقصة- فاروق مصطفى- مبطعة ارابخا- كركوك ٢٠٠٥.

الشاعر الكوردي علي برزنجي:

الادب الكوردي لايعاني من مشكلة ويسير بخطوات ثابتة نحو الامام



اجرى اللقاء: رزگار كاكەمير

بدأ بالكتابة عندما كان طالباً في الإعدادية عام١٩٦٨ ونشرت أولى قصائده باللغة الكردية في جريدة (برايتي) عام١٩٧٣ حين كان طالباً في الكلية في بغداد.. إنه الشاعر على برزنجي الذي ولد في مدينة كركوك في(١٨/٢/١٩٥٠)، تأثر كثيراً بالشاعر الكردي المبدع عبد الله كوران وكان بالنسبة له نموذجاً منفرداً في الشعر الكردي الحديث..

* قلت له لماذا ولعت بقصائد الشاعر كوران؟

- أجاب قائلاً: علمني الشاعر المبدع كوران كيف أتفاعل مع النص الشعري بلغة مرنة لتواكب الشكل والمضمون في القصيدة الجديدة بتركيب مدروس للجملة الشعرية وعلائق المفردات فيما بينها..

* من هم شعراء العراقيين والعرب الذين تأثرت بهم؟

- قرأت كثيراً للبياتي ومظفر النواب وقرأت لمحمود درويش وصلاح عبد الصبور وسميح القاسم وغيرهم ولكن تأثرت بالشاعر المبدع عبد الوهاب البياتي.

* هل لنا أن نعرف شعراء (روانگه) أي (المرصد) وكيف بدأت الفترة الذهبية لهذا النهج من الثقافة والشعر؟

- باختصار شديد أقول ممكن إحصاؤهم بعدد أصابع اليد منهم الشاعر الكبير (شيركو بيكه س) والقاص (حسين عارف) و(كاكه مه م فخري بوتاني) والشاعر المخضرم (جلال ميرزا كريم) ومن ثم انضم إليهم الشعراء (صلاح شوان، عبد الله عباس، عبد الله به شيو) على ما أعتقد، هؤلاء كانوا من مؤسسي هذه الحركة الأدبية (روانگه) ثم الحق بهم شعراء من جيل السبعينيات..

* ولماذا قدم المرصديون من مشاريع أدبية آنذاك؟

- فترة (روانگه) أي المرصد وبيئتها الثقافية تحديداً حملت الكثير من المتغيرات السياسية والاجتماعية، ففي نيسان من عام(١٩٧٠) أي بعد بيان آذار أعلنت الحركة الأدبية تحت يافطة (روانگه)، قدم (المرصديون) مشروعهم الأدبي ببيان مقتضب عن الخارطة الإبداعية للأدب الكردي السائد آنذاك، وأنتجت هذه البيئة مجموعة من الشعراء والكتاب تمردوا على النهج السابق، لأن الأغراض الكلاسيكية قد انحسرت في زاوية ضيقة، هنا ربما يتفق الجميع

على ان سيادة النمط الواحد أو القول الواحد لم يتغير ولم تطله حيوية بكل متصلاته في الصميم بسبب وطأة القداسة النصية.. على أية حال للتأريخ أقول إن أدبيات (روانگه) كانت حلقة وصل في الانتقال من حقبة كوران وما سبقه إلى ما بعد كوران وإلى القصيدة النثرية السائدة اليوم..

* معظم قصائدك نابعة من أعماقك، فهل هذا الإلهام تعتبره حقيقة أم خيالا؟

- هذا الوصف ينطبق على كل شاعر حقيقي، ولكن اسمح لي أن أقول إن القصيدة تتصل مباشرة بالمخزون الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي.. للشاعر. إذن القصيدة تمثل نمط تفكير الشاعر وتنبعث من الواقع وتنعكس على الواقع، أما الإلهام وهل هو حقيقة أم خيال.. أقول فهو مثل كل الأشياء موجود بالطبقات المعرفية في ذات الشاعر ويمثل احتدام اللاوعي بالوعي في ساعة صفر ما، ويشكل فضاءً لجماليات الشعر..

* كيف تقيم الشعر والشعراء في كركوك؟

- برأيي إن شعراء أو جيل شعر كركوك بالتحديد، الجيل (التسعيني)، استطاعوا أن يتمردوا على جيل (روانگه الجديدة) أي (المرصد الجديد) ومروا بكل المخاضات الداخلية وغير الداخلية، في كركوك ثقافات متعددة وتيارات متعددة متفاعلة مع بعضها البعض وخلف هذا نجد نموذجاً متحفياً في الشعر الكركوكي لا حاجة للتعريف بهم.

* المؤلفات التي حظيت بطبعها؟

- قمت بطبع المؤلفات الآتية:

١. رقصة الشعر والعشق (ديوان شعر).

٢. عاصفة الأوراق/ رواية لـ(ماركيز) مترجمة من الفارسية إلى الكردية.

٣. الذئب / مجموعة قصصية مترجمة/ مشترك.

٤. قطوف من الشعر الكردي الحديث/ إعداد وترجمة إلى العربية.

٥. آثار دمك على الثلج/ مجموعة قصصية عالمية مترجمة من العربية/ مشترك.

6. الحية الصفراء/ رواية قصيرة لـ(محمد سعيد زنكنه) مترجمة إلى العربية.

* أخيراً كيف يسير الأدب الكردي في كركوك برأيك؟

- الثقافة الكردية لا تعاني من أية مشكلة وتسير بخطوات ثابتة نحو الأمام وخاصة جيلنا المعاصر والشباب وأتمنى أن تقوم الجهات المعنية بتأسيس مجمع لطبع الكتب والمجلات في كركوك.

ادب المهجر:

مشروع (الكلمة واللون) واسئلة الهوية

د. زينب بحراني
ترجمة: دانا احمد

ماهو ادب المهجر؟ وما هو مدلول العمل الفني في المهجر، فقد قال الشاعر عبدالوهاب البياتي: ان المهجر يستجرب بين العوالم. فيصبح المهجر نفسه الدولة التي تصبح الشاعر المتناكبة توازي الذات، كما يقول الناقد المابعد الكولونيالي (هو حي بابا): يحدد مفترقا تراثيا متساقما. متحركا. لان الادامة الفنية في المهجر ضمن انماء المثقفين تلزم ان يشعر المهاجر ان العالم كان في معناه الواسع هو (البيت). ينبغي ان ننتقي نوعا من التعليق ببئية ما لنبقى فيها دوما كأجنبي. الهوية بمعناها القومي او التراثي اصبحت في الدنيا المعولمة وما بعد الناسيوناليزمية موضع القلق الكبير.

ان (ريبوار) فنان كردي يعيش في المهجر، يتحدث عن البيئة الكردية المفعمة بالمشاكل والتهميشات في الخارج ضمن عالم الجمال. في مشروعه (الكلمة واللون) تتمظهر الاقطاب المتضادة، المفترقات، محصلة الاختلافات- المشاعر المتجدبة، الحقود، كعناصر الحياة في الخارج، حيث يقوم بتجريبها خارج وداخل نطاق اعماله الفنية.

رغم ان الفهم الحداثي للفن يتضمن علاقة العمل الفني بذات الفنان الا انه في هذا المشروع كانت الاعمال بدل ان تتجاوز المعوقات امام الهوية في الخارج. اصبحت نفسها مبدعة تلك المعلومات.

قبل كل شيء ان مشروع (الكلمة واللون) يعرض كدعوة. حسب قول الفنان عينه، ان المشروع عمل مشترك بين الفنان وعصبة من الشعراء العالم. بعثت لويحات (ريبوار) الى هؤلاء الشعراء المدعوين ليكتبوا على مساحتها شيئا.

كانت رسالة الدعوة لـ(ريبوار) تركز على ان طرفا مشاركا في هذا العمل يستقيل عليه بشكل ناقص (لم يتم عمله بعد).

ان ريبوار لم يوقع على اي من اللوحات، والشعراء مخيرون بين ان يوقعوا على العمل ام لا. ولان الشعراء كانوا ذوي اللغات المختلفة كما كانوا دوليين لذلك فان الدعوة مشاركة عالمية وتراثية.

مع ذلك فان هذا لم يكن محفلا بسيطا لتواصل التراثات المختلفة والاخوة. ان مشروع (الكلمة واللون)

كان مشروعا كرديا وفي الوقت نفسه مشروعا غير كردي. كان نتاجا تعدديا وغير ثابت. كان مشروعا يقوم باستعراض تلك التعددية والاثباتية في المهجر من خلال العمل الفني.

ماهو الفن الكردي؟ من هو الفنان الكردي؟ كيف تعبر الهوية الكردية عن نفسها من خلال فن مسيس؟

بالنسبة لـ(ريبوار) الذي يستخدم المتريال الحية والتعابير المحلية، والالوان الفريدة.. كل ذلك يذكرنا باساليب واستخدامات السيراميك والحياكة الكوردية. ان الفن الكردي المعاصر هو جزء من فن الشرق الاوسط والذي كان ذا علاقة متينة مع تاريخ المكان (البيئة).

ربما ان ابرز سمة تمييزية لفن الشرق الاوسط والفن الاسلامي هو مزج الكلمة والفيجر من النحوث المنقوشة على القصور الاشورية الى مخطوطات العصور الوسطى والسيناتورات الايرانية. امتزجت الفيجر والكلمة منذ الف سنة ان فتمكنت ان تتسلم الكلمة من الفيجر شكلها. او يمثل الفيجر الكلمة. ومن ناحية اخرى تعرف الكلمة حسب التراث الاوربي للجمال عند كانط بأنها ليست فيجرا بل هما مختلفان حسب المنطق.

ان لويحات (ريبوار) تلج في اطار الفن المنياتوري مع انها ليست فقط ايماء الى الفن الشرقي التقليدي، وكانت الاحجام الصغيرة للاعمال هي ذاتها التي تضع علامة الاستفهام على المؤسسات الفنية الاوروبية الاميريكية، التي تعرف اللوحات الكبيرة بالفن الرفيع. وفي الوقت نفسه كانت الميناتورات اشكالا مسهلا حملها وانتقالها والتي توجد في المخطوطات والالبومات. ان معنى سهل الانتقال يذكرنا باستطاعة التحرك وتكرار تغيير البيئة المهجرية، ومقاومة المهجر للاسكان. اما اذا كان مشروع (الكلمة واللون) محتويا لهوية (ريبوار) ككوردي يعيش في المهجر فان هذه الهوية توضع تحت الاستسال وذلك بسبب دعوته، فكان يدعو اللغات ومصطلحات اناس آخرين في اطار عمله ولوحاته (اذا اردنا ان نستخدم مصطلحات كانط) ليكون الامر اذا كانت اللوحات محتوية لهوية (ريبوار) فانه بدوره يغير الهوية هذه، فالهوية هي الشيء الذي يفتقر دوما الى المناقشة لينتج نفسه، و بنفس الشكل فان المشروع يضع فكرة الفن (حسب ماورد في التراث الاوروبي الفني السائد) تحت التساؤل.

ان الفن الرفيع او الفن الاساسي يقوم بعزل الفيجر عن الكلمة كما يقوم بتمييز المخطوط المزين بالالوان والمنياتور من الفن الرفيع. ان عملية تمييز الرفيع من المنخفض، الفنان والكاتب، المرسل والمرسل اليه، في هذا المشروع لم تكن ماثلة كما لم يكن للحدود التقليدية فيها وجود.

ينبغي ان تكون الحدود لدى (ريبوار) تحت التساؤل، مع ذلك فانه يعرف مشروع (الكلمة واللون) حسب الدعوة والتعاون، فالمشروع ذاته كان تحديا للشكل. الحجم، التعاون. عدم وجود التواقيع، جميع جوانب تذكار وهوية الفنان، الموهبة وجميع افكار الفن الرفيع. ان (ريبوار) رغم كونه يستخدم المواد والتكنيكات الشرقية الاوروبية الا ان ذلك لم يكن تقليدا مابعدحداثيا لاساتذته الشرقية القديمة، فان لوحاته تعكس الفن الشعبي، كما تمثل زخارف والوان الدور الكوردية القديمة مع الميناتورات والمخطوطات المزينة.

كما بينها جاك دريدا (المثقف المنفى) في نقده على الجمالية لدى كانط، انه لايمكن ان نميز بين جوهر ومظهر الاعمال الفنية. ماهو ماثل ضمن جوهر وخارج اطار الاعمال الفنية، لم يكن معينا فان هذا الاطار نفسه لايميز من الدور الذي يلعبه. كتحديد السور. ان اسئلة (ريبوار) على حدود الفن والهوية الفنية، وفي الوقت نفسه اسئلة حول الفن الرفيع حسب العادة الغربية، ووضع تلك الحدود التي تكون الهوية نفسها، تحت الاسئلة. اليوم فان الهوية الكردية تعرف بسبب التعذيب السياسي والتراثي (مثلا هناك دول

لاتعترف بمثولة اللغة الكردية) وبالنسبة لـ(ريبوار) لايمكن ان يهمش هجمات بالاسلحة الكيمياوية في كردستان العراق، في تجاربه الشخصية ففي هذه اللوحات الميناتورية، ان الالوان الجميلة والحية للتراث الكردي انقلبت وتحولت الى احضان النعي، وان تكرار هذه الفيجرات تصبح النياحات.

اليوم وبسبب التعذيب السياسي الكبير، فان الوطني الكردي لم يكن ذلك الوطني في عصر اخر. وان ولادة الدول الوطنية المعاصرة، وولادة القوم الجديد، اثمرت هوية كردية على المستوى العالمي، حيث تعرف في الشرق الاوسط على اساس آلام التعذيب التراثي –وذلك بالتهميش والهدم، وفي الوقت نفسه، فان الفن في المهجر كان فنا مهمشا، في حافة السلطة العليا للفن الرفيع- وفق العادة الاوروبية. وضع الحدود تحت التساؤل. معها فان اطارات الهوية والتركيز على الجانب التحويلي واللانهائي لها، اصبح سمة مشتركة في نتاج عديد من الفنانين والمثقفين الذين يعيشون في الغرب.

ان سلسلة لوحات مشروع (الكلمة واللون) هي سلسلة متشابهة وفي الوقت نفسه مختلفة من هنا توجد طريقة، كما يوجد نوع من التكرار والصيرورة. ان عدم الاقرار والاعدادية للتحول هو الذي يهيئ شرط التعولم. للقومية الكردية وللمهجر يكون هذا الثبات الذي عن طريقه يجري النقاش على الهوية ضمن الشعور الممتزج الارضي العادي، الثبات الذي يخصب الارضية لامل التغيير.



سامي داوود
مدير غاليري سردم

الحراك الثقافي لغاليري سردم

بدأنا أولى نشاطاتنا في غاليري سردم بتاريخ ١ / ١٢ / ٢٠٠٦. و وضعنا نصب أعيننا نقل الخبرة التي لدينا من تجربيتنا في غاليري أتاسي بدمشق و المركز الفرنسي بدمشق و اطلاعنا المعرفي على عمل المنابر الثقافية العالمية ،إلى هذا الغاليري بفريق عمل مؤلف من شخصين..!!؟ في الأشهر الأولى. وقمنا بالأعمال الآتية :

طاولة حوار :

بتاريخ ١ / ١٢ / ٢٠٠٦ .و بعنوان « الموسيقا و الإعلام الكوردي» و التي حاضر فيها كل من الأساتذة الآتية اسمائهم : الاستاذ مظهر خالقي و الدكتور محمد عزيز ظاظا و الموسيقي نجاد أمين. و التي دامت ساعتين و



نصف الساعة. تناول فيها المحاضرون حاضر و ماضي الموسيقا الكوردية .

الفن التشكيلي :

- اقمنا معرضا شاملا للفنانة جيمن اسماعيل، واستمر المعرض لمدة عشرين يوما.
- معرض للفنانين سامان كريم و سازكار أبو بكر . والذي استمر لأكثر من خمسة عشر يوما.
- معرض فوتوغرافي لصور الصحافة التشيكية التي حازت على جائزة العين الذهبية العالمية ، و ذلك بالتنسيق مع القنصلية التشيكية في بغداد.

السينما :

عرضنا و بشكل منتظم في كل يوم خميس فلما سينمائيا، و ما مجموعه سبعة عشر فلما سينمائيا. مع استراتيجية خاصة في كل شهر. حيث بدأنا بأفلام السيرة الذاتية كفلم عقل جميل و فلم إصلاحية شاوشانك. كما عرضنا فلم ليلا قالت هذا و كذلك معتقدات إرجنتينة. ثم انتقلنا إلى سينما الزمن واخترنا أفلام المخرج المكسيكي أليخاندرو كونزاليس، فعرضنا له فلم ٢١ غراما وكذلك فلم بابل و عرضنا لديفد فينشر فلمين متتاليين بعنوان الخطايا السبع و فلم اللعبة. و ذلك لتعريف السينما التي ترتكز على الزمن في تركيب الصورة الخارجة عن إطار الأرضية. و كذلك عرضنا أفلاما أخرى نذكر عناوينها فقط :

فلم المجروف من البحر لجوهن بارف.
فلم نهاية العلاقة لنيل جوردن
فلم الحاسة السادسة لنايت شيامالان
فلم الكمان الأحمر لفرانسوا جيرار
فلم أسطورة ١٩٠٠ لغويسيبي تورناتوري
فلم البيانو لجين كامبيون
فلم ليلا قالت هذا لزياد الدويري. و أفلام أخرى ذكرناه آنفا.

الشعر الأوربي كورديا:

مشروع الشعر الأوربي مازال في بدايته و نعمل على تفعيله و ذلك بترجمة أشعار جهابزة الشعر الأوربي إلى اللغة الكوردية و تقديم الشعر الأوربي باللغة التي ترجم منها و كذلك قراءة الترجمة الكوردية بحيث يطلع المتلقي الكوردي على نمط موسيقا الشعر الأوربي على الشعر الأجنبي في لغته الأصلية. فقدمنا الشاعر الالماني فريدريش هولدرلين بترجمة لآوات دولت و صياغة و قراءته كورديا من قبل الشاعر لطيف هلمت مع موسيقا هايدن.

الندوات النقدية:

الفن التشكيلي:

نعمل في غاليري سردم وفقا لعرف خاص بنا و هو أن تنعقد ندوة نقدية تشكيلية بكل معرض يقام في الغاليري و ذلك إسهاما منا في تأسيس خطاب تشكيلي نقدي يتناول بالدراسة تجارب الفنانين الكورد، فنقوم بدعوة اساتذة الفن في أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد و السليمانية كذلك الفنانين التشكيليين ونبدأ العمل. و إلى الآن أقمنا ندوتين. إحداهما كانت عن معرض جيمن اسماعيل و الأخرى كانت عن معرض سامان كريم و سازكار ابو بكر.

السينما:

كذلك لدينا هدف معلن من عروض السينما و هو تأسيس متلق سينمائي يمكنه بعد عام من متابعة عروضنا السينمائية أن يقرأ بصريا الفلم السينمائي و يتناوله بالنقد بلغة سينمائية و ليست أدبية



أو عشوائية. لذلك أقمنا ست عشرة ندوة نقدية سينمائية بعد كل فلم عرضناه.

النحت :

اقمنا ثلاثة ايام خاصة بتكنولوجيا النحت، قدمها الإستاذ بيان ماني .

المحاضرات :

محاضرة بعنوان «مقومات الإستقلالية في الإعلام الكوردي» حاضر فيها الإستاذ و المدرب الإعلامي في معهد صحافة السلم و الحرب آسو أحمد.

الموسيقا:

ضمن نشاطاتنا أيضا، أقمنا كونسيرتا موسيقيا للفنان كاوا فقيه زادة ، عزف منفرد على السنتور.
كذلك سنقيم كونسيرتا آخر على آلة التنبور في ٢٩ / ٤ / ٢٠٠٧. لكل من الفنانين أسامة دادا و ياسين حسين.

ملاحظة:

الكادر العملي في غاليري سردم:
- كاوا حسن.
- آوات عزيز.

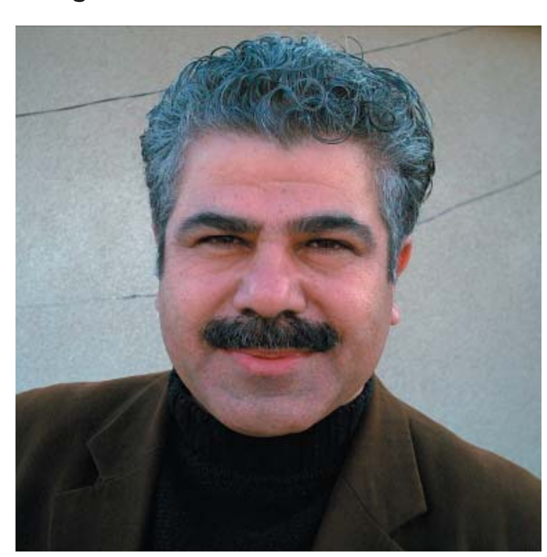
حوار مع الفنان ريبوار سعيد

اجراه: شوان احمد
ترجمة: دانا احمد

شوان احمد: ان مشروع (خمسة آلاف بوتريت لخمسة آلاف شهيد) يعبر عن مأساة حلبجة، خلال الخمس عشرة سنة الماضية، حاول كثير من الفنانين الكرد ان يعبروا عن هذه الكارثة التي حدثت لشعبنا من خلال الفن، فما الذي يميز مشروعك هذا عن مشاريع الفنانين الآخرين في هذا المنوال؟

ريبوار سعيد: ربما من الصعب ان أقول بالانفصال عن الرسامين الكورد على كارثة حلبجة، حيث من المحتمل ان يكون جلها مظلة ونحن مجتمعون تحت فيئها. مع ذلك فانه من الممكن ان تُنتج أعمال كبيرة أخرى ولم تصل إلينا او لم ننتبه الى تقديمها. لذلك فلم استطع ان أميز نفسي منهم، فقد يكون هذا كلام ناقد ليميز نتاجاتي عن أعمالهم. لكنه يمكن أن أقول إن نتاجاتي هي جديدة من نوعها والتي تسمى (انستيشن)، إذ يحتمل ان يستخدم لدينا نزرا في مجال الرسم. ان (انستيشن) هي قراءة جديدة في جل المجالات المختلفة، لمشروع على شكل النحت والكرافيك وأساليب فنية أخرى. أو لنقل جل الاساليب التنكنيكية المختلفة الماثلة في العمل الفني، استطعت ان ألجها في في خدمة مشروع (خمسة آلاف بوتريت لخمسة آلاف شهيد).

يكمن ان تكون احدى النقاط هي ان لفن كل شعب خصوصياته الخاصة، حيث تكون موضع قبول



أو تحريك فضولية الانسان الاوروبي. فقد يكون بعض من أعمالي هو جزء من الفضولية التي يبحثها

الانسان الاوروبي، من حيث الألوان. فمثلا ان تيما مشروع (خمسة آلاف بوتريت لخمسة آلاف شهيد) كان تيما محزنا، وجميع هؤلاء الزائرين يتوقعون قبل ولوجهم، انني استخدمت الألوان الرمادية أو الألوان المحزنة، لكن عندما يلج في المعرض فيرى عكس ذلك، حيث عبرت عن مشروع تراجدي لشعبنا. وهذه هي قراءة تراثية، تراثنا القديم، لا التراث الذي فرض على شعبنا في تاريخ متأخر.

شوان احمد: عن أي كلمة بحثت في مشروع (الكلمة والالوان)، لتضمها الى لوحاتك معا.

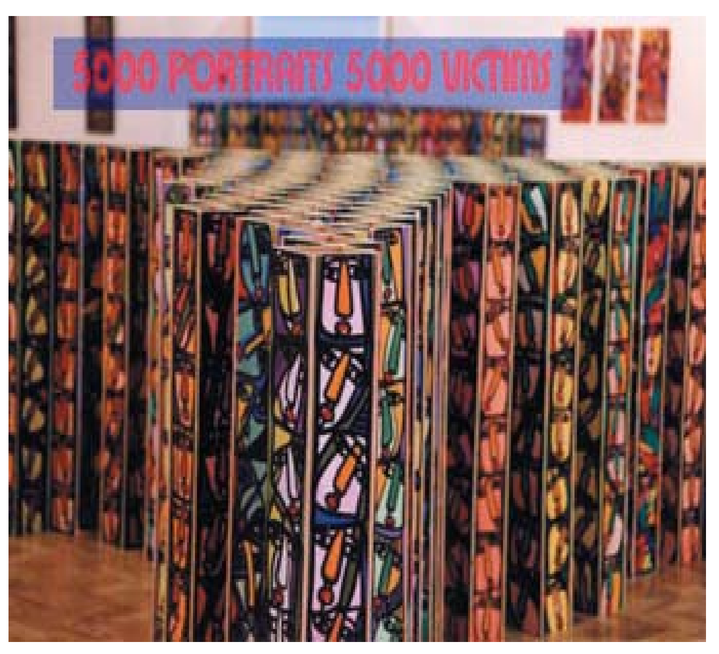
ريبوار سعيد: ليس عملي هو البحث عنها، بقدر ماكان قراءة لهؤلاء الشعراء للاعمال الفنية، فقد منحت الشعراء، الحرية المطلقة فيقرءونني كما يشاءون. كيف يقرءونني ويقرءون الفيجرات والخطوط، ليعبروا عن الاعمال بهذه الطريقة. فكان هذا بمثابة جسر تواصلي بيننا. فبقدر حضور عملي على ظهر الصفحة، كانت كلماتهم ايضا ماثلة على عملي. فنكتمل المشروع معا، وليس وحدي. او بحثي عن الكلمات او بحث عنها.

شوان احمد: هل من الممكن ان نقول ان مشاريع الكلمة واللون، الطير والمطر، (خمسة آلاف بوتريت لخمسة آلاف شهيد)، كانت ثلاثة مشاريع متكاملة للبعض. أم ينظر الى كل واحد منها كمشروع فني مختلف ومستقل؟

ريبوار سعيد: لاشك ان لكل مشروع خصوصيته، وبحثه الخاص، والتتبع الخاص. ورؤيته الخاصة، ولم أرد ان امتزج رؤيته، ولكن ربما يوجد في رؤية كلها فضاء يهمه، وهو فضاء العمل المشترك، عمل اناس كانوا مشاركين في أعماله. ففي مشروع (طيور الغيث) لم أكن وحدي، بل هناك فنانون آخرون يعملون فيها. وفي مشروع (الكلمة واللون) ايضا هنالك آخرون يعملون فيه. اما مشروع (خمسة آلاف بوتريت لخمسة آلاف شهيد) صحيح لم اكن وحدي، لكنه مزج من الفنون الاخرى كالموسيقى والصوت والمسرح. فان مشاريعي تتراءى بعضها عند مشاركة الآخرين.

شوان احمد: الاعمال التي ذكرناها آنفا، أ هي من نتاجاتك الشخصية، وثمرة تفكير (ريبوار سعيد)، ام انها تضم الى مرجعيات فنية لفانين آخرين؟

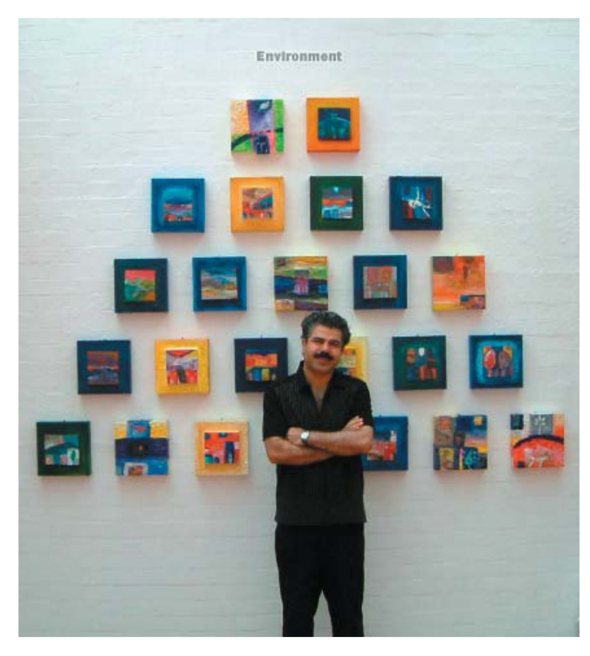
ريبوار سعيد: ان هذه الاعمال كانت بمثابة شمعة



اشعلتُها في البداية، ثم يضيء مواطن قدم الاخرين، كنت استفسر آراء الاخرين في اعمالي، وفي كثير من الاحيان آخذ رأي زوجتي، في وقت هي لم تكن فنانة تشكيلية... ان أخذ رأي اناس آخرين كان بمثابة تقييم لعملي، لكن العمل و التفكير يعودان الي، او لنقل كنت اشرع في الامر، لكنني القح الآراء والافكار التي تلج في خدمة العمل.

شوان احمد: هل يمكن ان نقول ان مشروع (الكلمة واللون) هو محاولة لتوسيع مساحة العمل الفني؟

ريبوار سعيد: لاشك، لانه مشروع يمضي من جغرافيا صغير الى جوغرافيا كبير، او من حدود معينة الى حدود واسعة، اللغات المختلفة، التراثات



المختلفة، من صين الى السوفيت، ومن السوفيت الى اميركا، ومن اميركا الى ايران، ومن ايران الى بولونيا، اذ هو في سفر مستمر، دون الركون الى اختلاف اللغات، واختلاف التراث، واختلاف البيئة.

شوان احمد: لماذا ان كثيرا من الرسامين الكرد ركزوا على الالوان والخطوط، ولم يحاولوا الاستفادة من الشعر والصورة والسينما؟

ريبوار سعيد: من المحتمل ان يكون احد مشاكل رسامينا هو عدم وصول المعلومات الهائلة التي وصل اليها الفن في العالم ولم تصل الينا، فاذا كنا غافلين عن تلك التطورات المطروءة في مجال الرسم فقد تؤدي الغفلة هذه الى عدم امتلاك الفنان الجرأة التي تدفعه الى رسم اعماله في اساليب و اشكال مختلفة.

واحدى هذه المشاكل هي اننا لم نتمكن من تربية فنانينا وفق التطورات الفنية التي تصلنا من العالم الخاجي، فدون ايصال هذه المعلومات لا نستطيع ان نفيد نظرتنا الى الفن وكذلك استفادتنا من الشعر والماديات الاخرى. وهذا لايولد بمجرد فعل نظرة من خلال تجاربنا. فانني لا اريد ان اضع الخطوات الالوف للفنانين الاخرين جانبا واخطو بتجاربي. انني لا اريد ان ابدأ بتلك النقطة التي تبدي أين وصل تاريخ الفن، ثمة اضيف شيئا الى الفن ام لا. فطالما كنا لم نمتلك تلك المعلومات، فلاشك لم نستطع ان نخطو خطوات زائدة عليها. وفي بعض الأحيان يحتمل أن لا تتقدم الخطوات الى الامام بل تتراوغ، فانها كانت للفنان صعبا، لأن الفنان يفتقر الى رؤية الأشياء الجديدة، على الرغم من ان العالم الان يدور حول التكنولوجيا ومن الجائز ان تصلك المعلومات عن طريق شاشة.. لكن هل ان فنانينا يمتلكون وقتا كافيا لزيارة مواقع الانترنيت يوميا بهدف الاطلاع على مسيرة الفن.. وكم منهم يمتلكون زمكانا يجمع فيهما معلوماتهم ليعلم كيف يخطو نحو عالم جديد، او اسلوب فني جديد.

شوان احمد: نحرص على التطور الاوروبي في مجال الفن وعدم توصل كردستان الى ذلك المستوى، الى أي مدى حاولت ان تكون جسرا بينهما؟

ريبوار سعيد: يحتمل ان اكون جسرا ولكن ليس جسرا متينا، لأن اعمالي فردية ولم تكن متينة، فقد بعثت كل المعلومات والكتب والاقراص الصادرة دوما الى مدينة السليمانية، وربما دون اربيل ودهوك لذلك فان تلك الجسور لم تكن متينة. نحن الان بامس الحاجة الى جسر لايصال اغلب المجلات الشهرية الى السليمانية، ان مثولة تلك الجسور كانت بحاجة الى مصادر مالية وفيرة، ولم تكن قدر المستطاع الفردي.

رغم ان هناك محاولة من قبل منظمة (طيور الغيث)، التي كنت عضوا تأسيسيا فيها، بفرنسا، لهذا الصدد، لكنها نزر عندما قارنناها بجوكرافيا كورستان الكبيرة، رغم ذلك فان الفنانين مقصرون في مسألة بناء هذا الجسر مع الفنانين الماثلين في المنتديات الفنية في كوردستان.

شوان احمد: تشير في مقابلة مع جريدة (ريوان)

الى: «الان فان اغلب اعمالي تمضي صوب الامتزاج بالتكنولوجيا»، ألا تعتقد ان التكنولوجيا تهمش الفن اكثر مما تخدمه؟

ريبوار سعيد: ينبغي ان نواكب التغييرات، كما على الفنان ان يعدل الستوديو تلك الدائرة، فاذا اردت ان تواكب التغييرات، وتُقْبَل في تلك الاوساط الفنية التي تمتلك القوة والكفاءة والمركزية الان، فلن تستطيع ان تبقى في هذه العزلة. فان لم يستطع الفنان في اوروبا ان تولج اعماله الفنية في المواقع الالكترونية ليشاهدها الناس في العالم بأجمعه، حينذاك يصبح فنانا مهمشا. لقد غطت التكنولوجيا حياتنا سواء شئنا ام ابينا خصوصا في اوروبا وربما في عن كثب في كوردستان ايضا.

فلم تستطع بدون ان تجدد نفسك دوما. انني لا اقول ان التكنولوجيا يفسر بمحو اصالة الفن، بل بمعنى تطوير وتوسيع الفن الاصيل. لا اعني انني اقعد على الكومبيوتر وانجز اعمالي الفنية مئة بالمئة، بل اعني ان اتم اعمالي الفنية خارج اطار التكنولوجيا ولكن اجعل من التكنولوجيا وسيلة لخدمة لاعمالي ويكون سندا لي في تطويرها.

شوان احمد: ابان كارثة هولوكوست، كتب المفكر الالماني «تيودور آدرنو»: (بعد كارثة هولوكوست لا يستطيع احد ان يكتب شعرا)، فاننا ازاء كارثة حلبجة ومأساة الانفال، بعدهما، اي شعر نستطيع ان نكتب، اية لوحة نرسم؟ تُرى هل يبلغ ما نكتبه ونفعله مستوى ضخامة تلك المأساة التي ذاقها شعبنا؟

ريبوار سعيد: بكل تأكيد، فاذا تحدثت عن مشاريعي في هذا الصدد، فربما لم يبلغ مشروع (خمسة آلاف بوتريت لخمسة آلاف شهيد) مستوى مأساة اي شخص واحد استشهد في هذه الكارثة. بمعنى انك لا تستطيع ان تعوض بعمل فني عن حياة شخص او حتى حياة نبات، لكنها هي اسلوب من اساليب استصاحة الصمت، وابراز اخلاقيتنا ازاء المأساة. فقبل ان نكون مسؤولين عنها ككرد، وكوطنيين، كنا مسؤولين عنها اخلاقيا ازاء كارثة حلبجة، فماذا لدى الفنان ليقوله ويفعله اخلاقيا ازاءها، هذه هي مسؤوليتنا. ومن المؤكد ان هذه المسؤولية لا تعوض عن الكارثة، او تجسد ضخامة المأساة في عمل فني. فربما هذه كلها هي نظرات متشتية للفنانين والشعراء الى الكارثة. ربما يستطيع شخص ان يقرأ الكارثة بشكل حي، بحيث لم يستطع شخص آخر ان يقرأها بهذا الشكل. ولكن المأساة بشكل عام هي أضخم من ان تبلغ اعمالنا الفنية مستواها، اتصور ان اعمالنا لمّا ترتق الى ذروة سنامها حتى الان.

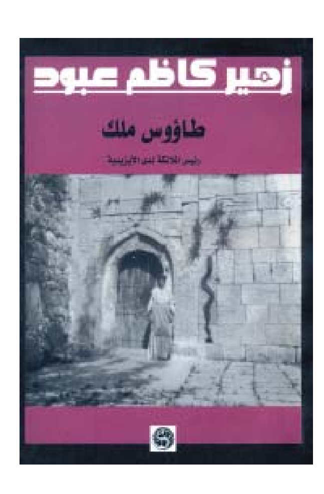
شوان احمد: كل فنان يحلم بمشاريع اكبر وجدد، فما هو المشروع الذي تحلم به للمستقبل؟

ريبوار سعيد: ان مشروعي وحلمي للسمتقبل، هو ان انجز لكارثة الانفال (١٨٠) عملا فنيا لـ(١٨٠) ألف ضحية، ربما هذا الحلم هو اكبر حلمي حيث استطعت فيه ان اقرأ الضحايا بشكل متساو، واشكركم على هذا اللقاء.









خالد سليمان

الأنفال

حكايات من زمن مستقطع

سلسلة الكتب العربية

الصادرة في دار سردم





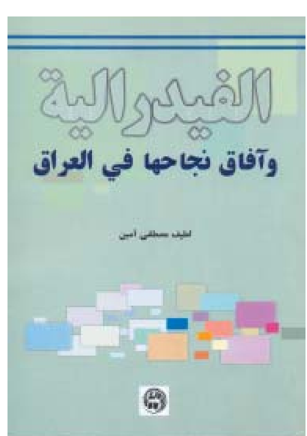
د. سروه أسعد صابر

كوردستان الجنوبية

1939-1926

دراسة تاريخية - سياسية









Vol,4 Spring 2007

SARDAM AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by Sardam Printing & Publishing House

Sardam Printing & Publishing House
www.sardamco.com

Kurdistan- Sulaimany

سعر النسخة: 1500 **دينار عراقي**